

شعـر
سلمان بن محمد قاسم الحكمي الفيفي
(دراسة موضوعية فنية)

إعداد

صالحة علي مفرح صهلولي



الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

 مؤسسة محمد احمد محمد الحازمي للنشر، ١٤٤١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

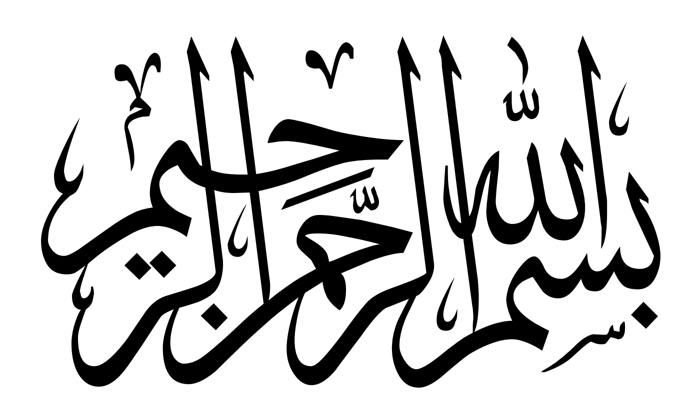
صهلولي، صالحة علي مفرح
شعر سلمان بن محمد قاسم الحكمي الفيفي: دراسة موضوعية فنية. / صالحة علي مفرح صهلولي- جازان، ١٤٤١هـ
١٦٠ص، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٣-٢٥٥٧-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- الشعر العربي - نقد - السعودية - العصر الحديث
أ. العنوان
ديوي ٨١١,٩٥٣١٠٠٩ ١٤٤١/٢٧٧٧

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



مؤسسة الحازمي للنشر
السعودية - ضمد
جوال: ٠٠٩٦٦٥٠٢٣٨٩٠٣١

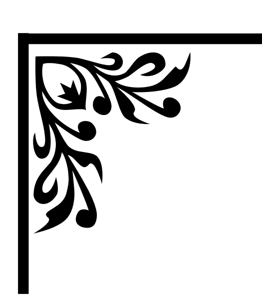
Email: hazpubication@gmail.com



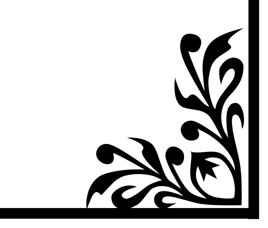
﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤ ﴾

[طه: ١١٤]

إهـــداء

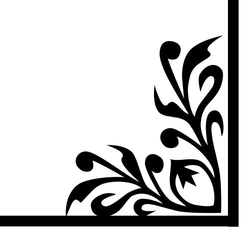


إلى والديَّ الغاليين -حفظهما الله-، وإلى الصرح العلمي الشامخ (جامعة جازان)، وإلى أساتذتي الكرام، وإلى جبالي الشامخة التي أنا منها وهي مني.



الشكر والتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان لجامعة جازان ، ولأستاذي المشرف الدكتور/ خالد ربيع الشافعي، كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ/ فرحان بن محمد الفيفي ؛ لتعاونه معي وإمدادي بمعلومات حول الشاعر ، ولن أنسى كل من وقف معي بكلمة طيبة شجعت وأحيت وبعثت فيَّ روح الهمة والعزيمة.



الملخص

تدور فكرة الدراسة حول تجربة الشاعر سلمان بن محمد بن قاسم الفيفي -رحمه الله- الذي عاش فيما بين عامي ١٣٦٣-١٤٢١هـ -١٩٤٣-٢٠٠٠م، وجاءت الأغراض الشعرية متنوعة بحيث شملت: السياسي، والوطني ، والعاطفي، والاجتماعي إلى غيرها من الموضوعات؛ فآثرت دراسة شعر الشاعر، ووقع اختياري عليه قاصدة التعريف به شاعرا ، ومعرِّفة بتجربته الشعرية ، من خلال ما كتب هو من شعر يصف فيه حياته، وما يحيط به من قضايا، وسأعتمد في دراستي هذه على ديوان (مرافئ الحب)، ومن خلاله يستطيع الباحث أن يجد صورة واضحة للشاعر، والحقيقة أن انعدام الدراسات المتوسعة المتخصصة في شعر (سلمان الفيفي) عدا إضاءات جامع الديوان سيجعل المهمة تصعب أكثر، ولكن طموح الباحثة في إضافة عمل نوعي يكون دافعا لها إلى مزيد من بذل الجهد والبحث والاطلاع والصبر، وقبل ذلك وبعده الأمل في توفيق الله تعالى.

وقد احتوى البحث على مقدمة، ومدخل، وبابين هما: الدراسة الموضوعية التي ضمت أربعة فصول: (الاتجاه الوجداني، الاتجاه الاجتماعي، الاتجاه الوطني، الاتجاه السياسي)، والباب الثاني كان تحت عنوان: شاعريته وخصائص شعره الفنية، وقد ضم أربعة فصول هي:(عوامل شاعريته، واللغة الشعرية، والموسيقى، والصورة)، وبعدُ الخاتمة التي كانت ملخصًا لكل جوانب الرسالة، وقد اعتمدت في الدراسة على المنهج التحليلي.

ويلاحظ الدارس لشعر سلمان الفيفي -رحمه الله- أن البساطة والعفوية كانت المهيمنة على شخصيته في شعره، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه العفوية -برأيي- أظهرت الكثير من الثقافات لدى الشاعر، سواء على مستوى الألفاظ

والتراكيب، أو على مستوى موضوعات النصوص؛ وقد برزت ملامح شخصية الشاعر من حالة نفسية، وثقافية ، ومكانة اجتماعية، وكما أوضحت الدراسة غنى شعر الفيفي على مستوى الموضوعات؛ فقد نظم في أغلب الاتجاهات الشعرية، وظهر من خلال ذلك الذات المتواصلة مع مجتمعها وبيئتها، المتفاعلة مع كل ما يدور حولها، فشعره واقعي موضوعي، حاول الخروج به إلى عالم الفن والإبداع، وتوافرت التجربة الشعرية الصادقة، وتفوق شعره على مستوى الأسلوب والصورة، وأشارت الدراسة إلى العيوب على مستوى الوزن والقافية، وكشفت عن أهم المؤثرات التي كان لها الفضل في صقل موهبته الشعرية، وكشفت الألفاظ وتأثرها، و التراكيب والظواهر الأسلوبية في شعره، وكشفت عن تقنيتي الحوار والقص، ويمكن الباحثين فيما بعد مناقشة موضوع السرد في شعر سلمان الفيفي.

ونستطيع أن نورد الشاعر في دائرة المحافظين؛ فقد أخذ من المحافظين جزالة الألفاظ وسكبها، وشرف المعنى وبيانه، والتزام الوزن والقافية، والصور والخيال مألوفا بعيدان عن التعقيد. إذن: كنا بصدد شاعر واضح الفكرة والصورة والألفاظ، وأما التجديد عند الشاعر، فقد كان متمثلا في طرقه لموضوعات جديدة ناسبت عصره الذي يعيش فيه؛ فناقش على المستوى الاجتماعي قضية حرمان الفتاة من التعليم، والتقاعد، والشباب، وعلى المستوى السياسي ناقش قضايا الأمة الإسلامية، وعلى رأسها قضية فلسطين، وغزو الكويت، ولبنان، والبوسنة؛ فهذه الأحداث التي تطرق إليها الفيفي من أهم الأحداث الدائرة في زمنه؛ فحاول التعايش مع مشكلات عصره، لأنه كان واعيًا لما يدور حوله.

***



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صفيه وخليله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

يضل الشعر ديوان العرب، ولسان الحضارات والمجتمعات، يعبر عنها، ويظهر مفاخرها ويسجل أمجادها، وللشاعر مكانته الرفيعة على مر العصور؛ فهو المنافح عن مجتمعه، يباهي بمآثره ويعظم من شأنه، ويدافع عن قضاياه؛ ولذا كان موضوع بحثي حول الشاعر سلمان بن محمد الحكمي الفيفي، وتدور فكرة الموضوع حول تجربته الشعرية من عام ١٣٦٣هـ إلى ١٤٢١هـ، ومن الدوافع والأهداف التي جعلتني أختار هذا الشاعر:

١. أن الشعر في منطقة جازان لا زال بحاجة ماسة إلى إعطاء شعرائه حقهم من الدراسة، وتناول أشعارهم بالتحليل، وبيان لغته وصوره وفنونه، ولاسيما شعراء المنطقة الجبلية، الذين لديهم من الشعر الجيد ما ينافس الشعر في مختلف البلدان، ولكن لبعدهم عن الإعلام لم يتمكن الباحثون من الوصول لإبداعهم، وإعطائه حقه من الدراسة، والتحليل، والنقد.

٢. أنني من خلال قراءتي لديوان الشاعر، آثرت دراسة شعره، ووقع اختياري عليه، قاصدة التعريف به كشاعر له تميزه، واستقلاله الشخصي.

٣. استخلاص القيم الأدبية، والمبادئ التي يحملها شعر الفيفي.

٤. التعرف على الخصائص الشعرية لديه، والنظر في الموضوعات، والعوامل المؤثرة، والأدوات الفنية: من لغة وموسيقى وصور.
٥. معرفة مدى تأثر شاعرنا بما دار حوله من أحداث، وبما مرَّ به في حياته من ظروف ومصاعب.
٦. القيمة الأدبية التي من الممكن أن يكون شعر الفيفي قد أضافها إلى الشعر السعودي بخاصة، والشعر العربي بعامة.

وعند العزم على الدراسة، وفي بداية الأمر واجهت صعوبات؛ تمثلت في عدم وجود دراسات سابقة حول الشاعر الفيفي؛ فلم أجد أية دراسة سابقة سوى مقدمة ديوان (مرافئ الحب)، التي تناولت الحديث حول حياة الشاعر، وسيرته، وطرح بعض الآراء عن شعره، من ناحية الوزن والموسيقى واللغة، وقد وفرت المناخ المناسب لإجراء البحث، وساعدت على التوصل إلى نتائج دقيقة لأهداف وطبيعة البحث، ولكن رأيت أني بحاجة للمزيد من المعلومات حول سيرة الشاعر، فاضطررت للاتصال بأحد أقربائه، وصعوبة ثالثة تكمن في الحصول على المراجع، لاسيما عند دراسة اللغة والموسيقى.

وقد استهللت البحث على النحو التالي:

المقدمة، التي احتوت على التحديد العام للموضوع، وأسبابه وأهدافه، وذكر أقسام البحث وفصوله، وطريقة تقسيمه، والصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث، والمصدر الذي اعتمدت عليه في الدراسة، وبعد ذلك المدخل، الذي تناولت فيه تعريفًا بالشاعر، وحياته العلمية والعملية والأدبية، ومعاناته، وظروفه التي مرَّ بها في حياته، والمؤثرات في شعره، وموقفه من الشعر ونظرته إليه، وقد تم تقسيم البحث إلى بابين هما:

الباب الأول: عالج الدراسة موضوعيًا، واحتوى على فصول أربعة:

❋ **الفصل الأول: الاتجاه الوجداني**، وضم ثمانية محاور هي:

- الحنين إلى زمن الصبا، ومرابع الطفولة .
- الشكوى من البعد والغربة.
- الشكوى من الشيب.
- الشكوى من المرض.
- شكوى تبدل الحال، والناس، وتغير الزمن.
- الغزل.
- وصف الطبيعة.
- اللجوء إلى الله، وظهور شخصية الشاعر المتدينة.

❋ **الفصل الثاني: الاتجاه الاجتماعي**، وضم خمسة محاور هي:

- الشباب.
- التقاعد.
- المرأة، وقضاياها.
- المناسبات.
- أعيان المجتمع وأدباؤه

❋ **الفصل الثالث: الاتجاه السياسي**، وضم محورين هما:

- البعد القومي والإسلامي

❋ **الفصل الرابع: الاتجاه الوطني**، وضم أربعة محاور هي:

- الفخر بالوطن، وصدق الانتماء.
- النهضة، والتنمية.
- قدسيته.
- مدح قادته.

أما الباب الثاني: فقد عالج الدراسة فنيًا، واحتوى على فصول ثلاثة هي:

❉ **الفصل الأول: اللغة الشعرية**، وضم المحورين الآتيين :

- لغة الشاعر، والمعجم.
- التراكيب

❉ **الفصل الثاني: الموسيقى**، وضم محورين هما:

- الموسيقى الخارجية
- الموسيقى الداخلية

❉ **الفصل الثالث: الصورة**، وضم المحاور الآتية :

- تعريف بالصورة
- الصورة الوصفية
- الصورة الذهنية
- الصورة البلاغية
- الصورة الحسية
- الحس القصصي والحواري

وختمت هذه الدراسة بخاتمة، وضحت فيها ملخصًا لكل ملامح الدراسة، وأهم النتائج التي توصلت إليها، مع بعض التوصيات.

وقد اعتمدت في دراسة شعره على المنهج التحليلي .

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل لجامعة جازان، ممثلة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ولأساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية وآدابها ممن تتلمذت على أيديهم إبان دراستي، ولأستاذي المشرف الدكتور/ خالد بن ربيع الشافعي- المشرف على هذا البحث- على صبره، وسعة صدره، وتوجيهه لي في هذا البحث، والوقوف إلى جانبي في هذه الدراسة من بدايتها، حتى الانتهاء منها، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من مدّ يد المساعدة.

مدخــل

حياتــه:

سلمان بن محمد بن قاسم الحكمي الفيفي، ولد في بقعة الخشعة بجبل بلحكم بفيفاء سنة ١٣٦٣هـ-١٩٤٣م. توفي والده وهو طفل صغير، وأمه من قامت بتربيته حتى شب، وتوفيت وهو في ريعان الشباب، وقد أفادني في ذلك ابن خال الشاعر الأستاذ/ فرحان الفيفي.

وتلقى تعليمه في مدرسة الخشعة، التي أسسها الشيخ أحمد بن علي بن سالم الفيفي ١٣٧٣هـ-١٣٧٤هـ، وهي إحدى مدارس القرعاوي، التي حظيت باهتمامٍ بالغٍ من قبلها، فقد كانت مدرسة الخشعة(معهد الخشعة) هي الانطلاقة والبدايةَ التعليمية لشاعرنا سلمان الفيفي، ثم انتقل بعدها إلى ضمد ليلتحق بمعهدها، وعاد بعد ذلك إلى معهد الخشعة معلمًا، بعد ذلك ألغيت مدارس القرعاوي التي كان معهد الخشعة جزءًا منها؛ مما اضطر الشاعر إلى الانتقال للالتحاق بمعهد صامطة العلمي، ودرس في قسمه التمهيدي ثم المتوسط ثم الثانوي، وقد حصل على شهادة المعهد لينتقل بعد ذلك إلى الرياض، ويلتحق بكلية اللغة العربية، حيث حصل على درجة الليسانس سنة ١٣٨٩هـ-١٣٩٠هـ، وبهذا المؤهل التحق بالتدريس في معهد الرياض سنة ١٣٩١هـ، وعمل فيه سنة دراسية، ثم انتقل إلى عرعر؛ ليعمل في معهدها العلمي، واستمر في التدريس فيه حتى شغل وظيفة وكيل المعهد ثم مديرًا له»[١].

وعانى الشاعر الأمراض في شبابه أولها الفشل الكلوي، وقد أفادني في ذلك ابن خال الشاعر الأستاذ/ فرحان الفيفي، «وأخرها سرطان الكبد اكتشفه الأطباء في مطلع سنة ١٤٢١هـ،حيث أعلنوا يأسهم من علاجه»[٢]، ويتجلى لنا

١- الفيفي، سلمان بن محمد بن قاسم الحكمي، مرافئ الحب. تحقيق: د/ عبد الله بن أحمد الفيفي، نادي جازان الأدبي، ط:١/ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص:٦.

٢- نفسه ص:٦.

ذلك بصورة واضحة في شعره في قصيدة (السلام عليكم)[1].

كان رحمه الله محبًا للغة العربية وآدابها، وكان مطلعًا قارئًا مثقفًا حافظا، حاضر الذاكرة، سريع البديهة، وكان حاد الذكاء لمَّاحًا محبوبًا، كان الجميع يلجأ إليه، ويحتاجون مشورته علميًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وكان كريمًا، جميل المعشر حتى في أصعب الظروف، لم تؤثر عليه حالة المرض والضعف التي مرَّ بها، بل كان ذا همة عالية قويًا»[2].

عاش شاعرًا معروفًا بين أهله وقبيلته، وله مشاركات في أمسيات أشبه بصالون أدبي، ويظهر لنا جزء من ذلك في قصيدته (صرح على صدر السماء) في قوله:[3]

وفي نَــدْوَةٍ صُـغْـرَى سَعِـدْنـا بِفِـتْـيَـةٍ ** لَـهُـمْ بَـيْـنَ أَضْـلاعِ المُحِبِّيْنَ مِـنْـبَـرُ[3]

و له معارضة مع شعراء من أبناء منطقته، وقد أشار إليهم في قصيدة(على شاطئ الأخطار)، وهم القاضي علي بن قاسم الفيفي، والقاضي علي بن مديّش بجوي

في قوله: [4]

أأَجْـرِيْ مَــعَ الشَّـيْخَيْنِ والبَوْنُ شَاسِـعٌ ** وحَرْفِـيْ جَرِيْـحٌ مِـنْ تبَارِيْـح مَنْطِقِي؟!
وقَــدْ ذَكَّرَانِـي دِيْــرةً سَــفَّ تُرْبَـها ** فُـؤَادٌ مُلِيــئٌ بالأَسَــى والتَّمَـزُّقِ [4]

وهي المعارضة الوحيدة التي شارك فيها الشاعر- رحمه الله- وليس له أية معارضات أخرى تذكر، ولكن كان له مشاركة في صوالين أدبية، يحضرها شعراء آخرون يتبادل معهم قصائد شعرية، وله ثلاثة لقاءات في التلفزيون السعودي، وقد أفادني في ذلك ابن خال الشاعر الأستاذ/ فرحان الفيفي.

١- نفسه ص : ٩٤.

٢- نفسه ص:٧.

٣- مرافئ الحب ص: ٩٤.

٤- نفسه ص: ١٤٣.

لم يصدر له إلا ديوان واحد هو(مرافئ الحب)، وهو ديوان جمعه، وحققه الأستاذ الدكتور عبد الله بن أحمد الفيفي، أستاذ النقد الحديث بجامعة الملك سعود، وقد نشره بعد وفاة الشاعر سلمان -رحمه الله-، ولشاعرنا أشعار أخرى غير منشورة عبارة عن مقطوعات بعضها لم يكتمل، وذكر المحقق أسباب ذلك في مقدمة الديوان بأن هذه الأشعار كانت في البدايات لم يستكملها الشاعر، ومنها ما كتبها على سبيل التفكه في لحظات عابرة، ومنها ما جاء في باب الإخوانيات، وغلب عليها طابع الارتجال، ومنها ما صاغه على ألسنة تلاميذ المدارس للإنشاد في حفل مدرسي، ولاستقبال ضيف ما.

المؤثرات في شعره:

وللشاعر مؤثرات كان لها الفضل في صقل موهبته الشعرية منها:نشأة الشاعر يتيم الأب، وفي حال غياب الأب يظهر دور الأم في التأثير على شخصية شاعرنا وحضورها في شعره بشكل بارز، والبيئة التي كان لصلابتها، وقسوتها دور كبير في تكوين شاعريته، وظهر في ذلك -لديه- عدة نصوص، والتعليم الذي أنا ر عقل الشاعر، وكشف له الحقائق ، وهذا ما ظهر في كثير من نصوص الشاعر، وكان لمعاناة الشاعر من مرض وبعد وغربة وفراق للأحبة والديار، دور كبير في تكوين الموهبة الشعرية لدى الفيفي، وأغلب النصوص عند الشاعر تدور حول هذا .

والشاعر الفيفي كغيره من شعراء العرب المعاصرين، كان للبيئة، والمجتمع، والزمن تأثير شديد على شعره، وقد تنوعت لديه الأساليب والفنون، ما بين وجداني، واجتماعي، ووطني، وسياسي؛ فالشعر في نظر شاعرنا وسيلة للتعبير عن خلجاته، وحكاية للتجارب، والمواقف والظروف التي يمر بها في حياته، والشعر عبارة عن فكرة تخطر في باله، ثم يعبر عن تلك الفكرة بقصيدة يسرد فيها كل ما وراء تلك الفكرة من تجارب ومشاعر، وتتلون هذه القصائد، وتختلف باختلاف هذه الظروف والتجارب الحياتية التي يعيشها، أو يمر بها، ما بين فرح وحزن، والشعر لسان المجتمعات والديار يعبر عنها في وفاء وانتماء.

وفاته:

توفي الشاعر سلمان بن محمد الحكمي الفيفي في رمضان من سنة ١٤٢١هـ_٢٠٠٠م، في مدينة الرياض، بعد معاناة مع المرض[1].

***

١- مرافئ الحب ص: ٦





(الدراسة الموضوعية)

الفصل الأول : الاتجاه الوجداني.
الفصل الثاني : الاتجاه الاجتماعي.
الفصل الثالث : الاتجاه السياسي.
الفصل الرابع : الاتجاه الوطني.



الفصل الأول
الاتجـاه الوجـدانـي

❊ الحنين إلى زمن الصبا، ومرابع الطفولة.

❊ الشكوى من البعد والغربة.

❊ الشكوى من الشيب.

❊ الشكوى من المرض.

❊ شكوى تبدل الحال والناس، وتغير الزمن.

❊ الغزل.

❊ وصف الطبيعة.

❊ اللجوء إلى الله، وظهور شخصية الشاعر المتدينة

ونقصد بالوجداني في شعر الفيفي: ذلك الشعر الذي تظهر فيه ذاتية الشاعر، ويعبر عن إحساسه ومشاعره، وهو ذلك الشعر النابع من وجدان الشاعر، والمعبر عما يختلج في صدره من آهات، وفي عقله من تجارب وأفكار؛ فشاعرنا تغنى بكل ما جال في خاطره، وأسرف في ذلك حتى ظهر للقارئ ككتاب مفتوح يقرأ كل ما بداخله.

الاتجاه الوجداني هو: الموضوع الأبرز لدى الشاعر الفيفي، وهو أقوى الأغراض من حيث التجربة، وصدق العاطفة وحرارتها، وجمال التصوير، وخصوبة الخيال، وقد كان الشاعر أسرع تأثرًا بما دار حوله، وأكثر اصطدامًا بمشكلات الحياة؛ مما مكن النظرة التشاؤمية والسوداوية للحياة من السيطرة على نفسه، فبدأ الحزن والألم ينتابان شاعرنا، ولا يكادان يفارقانه؛ مما جعله أحيانا يتمرد على الواقع ويهرب منه إلى عالم آخر يبحث فيه عن سعادته، وهو عالم الخيال، وآزر ذلك ما مرَّ به من بُعد وغربة ومرض.

* الحنين إلى زمن الصبا، ومرابع الطفولة:

أيام الطفولة من أهم المراحل التي يمرُّ بها الإنسان، وتؤثر عليه، وتنطبع أحداثها في شخصيته؛ قد تؤثر سلبًا أو إيجابًا، ولا سيما إذا عاش الطفل يتيم الأبوين أو أحدهما، فإنه سيعيش حياة مختلفة مليئة بالأحداث والصعوبات:[1]

كِدْتُ أَنْسَى التي احْتَوَتْنِيْ وليْداً ** وارْتَضَعْتُ الحَلِيْبَ منها الصَّرِيْفا

عِشْتُ في حُضْنِها يَتِيْمًا ولكنْ ** لم أَكُنْ للضيَّاعِ يومًا عَسِيْفا

كَيْفَ أَنْسى ؟ لا كُنْتُ إنْ كُنْتُ أَنْسَى ** بَسْمَةَ الأُمِّ والسُّلُوْكَ العَفِيْفا

واندِفَاقَ الحَنانِ نَبْعًا نَقِيًّا ** وارْتِضَاءَ الصِّعَابِ نَهْجًا مُخِيْفا

«واصْطِبَارًا وعُنْفُوَانًا وعَطْفًا ** واحْتِمَالَ الأَسَى وقَلْبًا لَهِيْفا»

فهنا يروي شاعرنا أيام الطفولة والصبا، دون أب يرعاه ويقوم على شأنه، فيصب كل اهتمامه لأمه، فهي الحضن الدافئ التي ارتوى من حنانها، ورضع من حليبها، ونراه يسرد أوصاف الأم العظيمة التي تحلت بها من عفة وحنان وصبر؛ فقد ارتضت طريق الصعاب، وتحملت المآسي في سبيل تربيته، وغرس المبادئ والأخلاق السامية.[2]

في مَعْهَدِ الخَشْعَةِ المَرْحُوْمِ أَسْرَارُ ** لِيْ في زَوايَاهُ أَصْدَاءٌ وتِذْكَارُ

كَتَبْتُ أَوَّلَ حَرْفٍ فَوْقَ تُرْبَتِهِ ** والكَفُّ غَضٌّ ولا في الذِّهْنِ أَفْكَارُ

وكانَ يَمْشِيْ حَثِيْثًا للعُلَى عَجِلاً ** فاغْتَالَهُ الدَّهْرُ إنَّ الدَّهْرَ غَدَّارُ

ومن ذكريات الطفولة (معهد الخشعة) الذي درس فيه الشاعر، ولقد كان له في كل زاوية ذكرى وصدى، فقد كتب أول حرف خطَّه بأنامله الغضة في حضن ذلك المعهد، كان ذلك الصرح الشامخ بمثابة المهد الذي ترعرع فيه، وارتوى

١- مرافئ الحب ص: ١٢٢-١٢٦.

٢- نفسه ص: ٩٦.

من نبعه الصافي.[1]

«هناكَ في مَوْكِبِ الأَطْفَالِ ما بَرِحَتْ ** في القَلْبِ مِنْ سِرِّهِ نَارٌ وأَنْوَارُ

ولا زال الحنين لمعهد الخشعة يراود شاعرنا؛ فنتلمس منه الوفاء له، والاعتراف بالفضل لأهله، وينقل لنا صورة حية لمشهد الأطفال الذين كانوا يشاطرونه العلم في دوحة هذا الصرح.[2]

بَعِيْدٌ عن الدَّارِ لَكِنَّ فِكْرِيْ ** يُحَدِّثُنِيْ أَنَّ فَيْفَا المَآلْ
فِفِيْها تَنَسَّمتُ زَهْرَ الصِّبا ** وأَسْمَارَ جَدٍّ وعَمٍّ وخَالْ

وحنين شاعرنا لمرابع الصبا يتجلى في حديثه عن فيفا، فهي المآل مهما طال السفر، وأبعدته عنها صروف الحياة، وهي مرتع الصبا، وزهرة العمر، وموطن الأهل والأحباب.[3]

ألا يَا صَبَا فَيْفَا ويَا مَسْرَحَ الصِّبَا ** ذَكَرْتُكِ في بُعْدِيْ فَهَاجَ الهَوَى يَغْلِي
ذَكَرْتُ مَغَانِيْ اللَّهْوِ والزَّهْوِ والهَوَى ** يَغليْ ذَكَرْتُ مَبَانِيْ الأُنْسِ والوَجْدِ والعَدْلِ
ذَكَرْتُ شَبَابَ الحُبِّ والصِّدْقِ والوفا ** ذَكَرْتُ أَيَادِيْ الودِّ والجُوْدِ والبَذْلِ
ذَكَرْتُ بِلادًا قَدْ سَفَفْتُ تُرَابَهَا ** مَدِيْنٌ لَهَا بالبِرِّ والعَطْفِ والفَضْلِ
سَرَى عَبَقُ الوَادِيْ وما أَبْعَدَ السُّرَى! ** تَضَوَّعَتِ الأَزْهَارُ أَزْكَى مِنْ الفُلِّ
سَرَى يَقْطَعُ الأَمْيَالَ في حَلْكَةِ الدُّجى ** يَحثُّ رِكَابَ العِطْرِ بالعِطْرِ مِنْ أَجْلِيْ"

حيث يستعيد شاعرنا ذكرياته في أرض الصبا والشباب والجمال فيفا، ويتذكر مغاني اللهو والزهو والحب ومبانيها وأوديتها وجبالها وسهولها؛ فيظهر ارتباط الشاعر بالمكان عاطفيا، مستخدما أسلوب الاستفتاح بـ (ألا)، فثمة نفس مليئة بالحسرات والآهات؛ نتيجة معاناة بعد وحنين كانا مدفونين في الأعماق؛

١- مرافئ الحب ص:٩٦-٩٧.
٢- نفسه ص:١٤٨.
٣- نفسه ص: ١٦٨.

فظهرا بصورة أحدثت أثرًا ووقعًا على نفس المتلقي.

و يذكرنا استهلاله (ألا يا صبا فيفا) بقول الشاعر عبد الله بن الدمينة الخثعمي في حنينه لمرتع صباه نجد:[1]

ألاَ يا صَبا نَجْدٍ مَتَى هِجْتَ منْ نَجْدِ ** لقَدْ زادَنِي مَسْراكَ وَجْدًا عَلى وجْدِ[1]

* شكوى البعد والغربة:

يتضخم الإحساس بالذات لدى شاعرنا الفيفي؛ فهو يشعر أنه مجموع من الذوات في ذات واحدة، وذلك عائدٌ لامتلاكه إحساسا مرهفا، فائقا، قادرا على التأمل، والشعور بخلجات الحياة، ومن ثم التعبير الجمالي القائم على اللغة الموحية ،والخيال الخصب، والعاطفة المتأججة، والرؤية المختلفة؛ فهو يقف عند مكابدات الحياة على نحو أعمق، يتأثر بها، ويلتقطها، وليس كالموت والفقد والغياب ما يؤزم الشاعر، ويعمل في شخصيته المبدعة:[2]

طالَ سُهدي وهَمْهَمَتْ كلماتي ** في فؤاديْ بالآهِ والحَسَراتِ

صارَ لَيْلِيْ كأَنَّه أَلفُ شّهْرٍ ** في بحارِ الأفكارِ والذِّكْرَياتِ

تُجْهِشُ النَّفْسُ في سُكونٍ رَهيبٍ ** وأرَى العَيْنَ تُسْبِلُ العَبَراتِ

لِمَ يا نَفْسُ ما أصابكِ هلاّ ** تَرْعَويْ عن مسالكِ التُّرَّهاتِ؟

ثُمَّ يا عَينُ هل رُزِئْتِ بخَطْبٍ ** يَجْعَلُ الدَّمْعَ كالمَسِيْل الفُراتِ؟

فحين ضرب البعاد بجرانه، وكان الفراق؛ اختلطت أمشاجه بأنداده، فامتزجت أرواحهم، واتحدت عواطفهم، ولكن لظروف الحياة ابتعد، فطال همه وعجز الحرف عن التعبير، وطال الليل عليه حتى صار كألف شهر، يهيم فيه شاعرنا في بحار من الذكريات والأفكار، تأخذه هنا وهناك، فلا يستطيع التعبير

١- ابن الدمينة، الديوان، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة/ ١٣٧٩هـ، مصر،ص:٨٥

٢- مرافئ الحب:٦٠-٦١.

عنها، إلا بالدموع الغزيرة التي تنهمر كالأنهار دون توقف.[1]

أَفِــرَاقٌ أَمْ غُرْبَـةٌ أَمْ بُعَــــــادٌ ** عَنْ رُبُوْعِ الخِلاَّنِ؟ قُوْلِيْ وهاتي؟!
أَمْ هَـوىً فِي الفُـؤَادِ أَجَّجَـهُ الشَو ** قُ حَنِيْنًـا إلى البُنَــاةِ الــعُــلاةِ؟!
أَمْ هُـوَ الطَّيْـشُ في نُفُوْسٍ ضِعَافٍ ** غَيْـرِ أَهْـلٍ لِقُـــوَّةٍ وثَبَــــاتِ؟!
أَمْ لَـعِيْنٌ مِنَ الشـياطيـــنِ غِـــرٌّ ** قـادكِ عاجـلاً إلى الشَّـهَواتِ؟![2]
خبِّرِينيْ بربِّـــكِ واصدُقِينيْ الـ ** ـقَوْلَ منْ قَبْلِ أنْ تَشِيْبَ شَـواتـي
أَوَلَسْـتِ يَوْمًا تَقُوْلِيْـنَ فَخْـــرًا ** ليسَ فِي الكَـوْنِ مَنْ يَفُـلُّ قناتي؟!
أَوَلَسْـتِ يَوْمًــا تَقُوْلِيْـنَ فَخْـرًا ** أنا أَقْـوَى منْ شامِـخِ الرَّاسِيَاتِ؟!
قـالتِ النَّفْـسُ: ما دهانيْ عَظِيْـمٌ ** مُـؤْلِـمٌ فادِحٌ جَـليـلٌ وعَـــاتِ

فألم الشاعر ومعاناته جعلاه في تساؤل هل ذلك بعدٌ أم فراق؟! أم طيش وضعف نفسه أمام تلك الظروف؟! أم ذاك هو الشيطان يقوده إلى الشهوات؟!،وهنا تتشتت ذات الشاعر، وتتبعثر، ويدرك غربته، فيزيد حزنه يطويه طيًّا، ويقيم حوارًا مع نفسه، ويطلب منها أن تصدقه القول: ماذا أصابها بعد أن كانت قوية صلبة شامخة كالجبال الراسيات؟!، فكأنها تجيبه بأن ما حدث لها شيء عظيم، وجلل، لم تستطع أن تقوى أمامه، مستخدما أسلوب الاستفهام، فنلاحظ توالي الاستفهامات في هذا النص، وتوالي الاستفهامات دليل انشطار الذات، وتعدد وجهاتها وحيرتها.

١- نفسه ص:٦١.

٢- لابد من إشباع كسرة الكاف في كلمة(قادك) كما أشار إليه محقق الديوان.

ويظهر ألم البعد، وأثره في مناجاته للمساء، حين أقبل وبدت نجومه في هذه الأبيات: [١]

يـا مَسَـاءً مُعْتِمًـا يَجْتـاحُنِـيْ فِيْـهِ الأَنِيْـنْ
أَرْقُـبُ الأَنْجُـمَ بالمِرْصَـادِ شَـأْنَ السَّاهِرِيْـنْ
أَكْتُـبُ التَّشبِيْـبَ بالمَقْلُـوْبِ فِعْـلَ العَاشِقِيْنْ
أَحْسِـبُ السَّاعـاتِ والأَيَّـامَ فِيْـهِ والسِّنِيْـنْ
أَقْطِـفُ الـوَرْدَ خَيَـالاتٍ وأَسْقِـيْ اليَاسَمِيْنْ
يا مَسَـاءً واجِمًـا حَيْـرَانَ مَشْدُوْهًـا حَزِيْنْ

ففي هذا النص يحضر المساء بأنجمه، فيزهو الشاعر فيه بأفكاره، ويبثه شكواه وحيرته، ويعبر عن ضعفه، كسجين مأسور؛ ففي النص دلالات ومعانٍ تتلاءم مع الذات البعيدة المغتربة عن الأهل والديار، معاناة بثها الشاعر لمسائه الحزين، الذي انعكست مرآته في ذات الشاعر الموتورة المتلهفة للقاء غاب واشتياق حضر.

وها هو الشاعر عانى الغربة، وقاسى بعده عن الأهل والصحب والديار، وأكل الشوق قلبه، كما تأكل النار الحطب، ويكاد يفقد الأمل بالعودة مرة أخرى.

ويرى في نوح الحمائم وهديلها معادلا موضوعيا لشخصه: [٢]

بَـدَتْ فِي شَمَارِيخِـها تَسْجَـعُ ** مُطَـوَّقَـة بالـغِـنَـا تَـصْـدَعُ
علـى فَنَـنِ الـدَّوْحِ فـنَّانَـةً ** صَـدَى الصَّـوْتِ مِنْ صَوْتِها أَمْتَعُ
تُـذَكِّـرُنِـيْ بِـرَبِيْـعِ الشَّـبَـابِ ** وقَـدْ أَوْحَـشَ الـدَّارُ والأَرْبُـعُ
غِـنَـاهَا نَـزِيْـفٌ مِـنَ الذِّكْرَيَاتِ ** على قَـلْـبِ سَـمَّاعِـها تَـطْبَـعُ
وصَوْتُ القَـمَارِيْ وعَهْـدُ الشَّبَابِ ** إذا فـاتَـكَ الـفَـوْتُ لا يَـنْفَـعُ
ومِـنْ عَجَـبٍ أَنْ يُـثِيْرَ الشُّجُوْنَ ** حَـمَـامٌ علـى شَجَـنٍ يَسْجَـعُ»

١- مرافئ الحب ص:١٨٩.

١- مرافئ الحب ص:١١٥-١١٦.

فهناك عاطفة مشبوبة، وحضور طاغ للآهات، حيث يبكي الشاعر حياته المليئة بالأحزان والمآسي والمرض والشوق والبعد، والغربة عن الأهل والصحب والديار.

وحين اقتراب اللقاء تبدلت نفس شاعرنا، فيغالبه مع الشوق الفرح: [1]

وعـادَ لِوَكْـرِهِ الطّيْـرُ الطَّلِيْـقُ ** تُـحَرِّكُـهُ الوَشَائِـجُ والرَّفِيـقُ
أُحَـلِّقُ في الخَيَـالِ وفي الأَمَانِيْ ** وبَيْـنَ جَوَانِحِيْ طَـرَبٌ وشَـوْقُ
قَطَعْتُ الدَّرْبَ يَحَفِزُنِي اشْتِيَاقِيْ ** وكـادَ القَلْـبُ يُقْطَعُهُ الطَّرِيْقُ
إلـى أَرْض تُطَالِبُنِـيْ بِـدَيْـن ** ويَـجْرِيْ في شَرَايِيْنِيْ العُقُوْقُ»

فلا أجمل من عودة الطائر المهاجر إلى دياره، بعدما ذاق مرارة البعد والغربة، عاد وفي الطريق الطويل شوق يعتصر قلبه، مع شعور بالتقصير اتجاه أرض لطالما احتضنته، وأعطته من حنانها، ولهفة للوصول لها بلا معوقات.

ولكن بعد التلاقي فراق وألم يعاود الشاعر الذي بدأ المرض ينهشه: [2]

شـاعِـرٌ مِـنْ بَنِي الحَكَـمْ ** يَـحْتَسِـيْ الـهَـمَّ والأَلَـمْ
يَـجْـرَعُ الـمُـرَّ كُـلَّـمـا ** أَظْـلَـمَ اللَّـيـلُ وادْلَـهَـمْ
فـي شـرايِيْنِـهِ الأَسَـى ** والتَّـبـارِيْـحُ والسَّـقَـمْ
كُـلَّـمـا رامَ سَلْـوَةً ** زَمْـجَـرَ الـفِـكْـرُ واضْـطَـرَمْ
وأنــا سـاهِـرٌ عـلـى ** دَفْـتَـرِ الشِّـعْـرِ والـحِكَـمْ
داهَـمَتنـي خَـواطِـرٌ ** مِـنْ رُبَـى مَـوْطِـنْـي الأَشَـمْ
رِحْـلَـةٌ في عَـواصِـفٍ ** كـالـكَـوابِيْـسِ لَـيْـلَ غَـمْ»

فثمة معاناة شاعر، ابتعد عن الديار والأهل والصحب، واحتسى السقم والمرض والألم والتعب والحنين، ولم يجد سبيلا للتخفيف من أوجاعه سوى القلم والشعر، ينفس من خلالهما عن حقبة من الزمن، مرت به، وعاشها

١- نفسه ص:١٣٨.

٢- مرافئ الحب ص:١٩٤-١٩٥.

كالكابوس الموحش، وقد آخى شاعرنا الليل بحلكته، واستأنس وحشته وظلمته؛ فارتمت حروفه في أحضانه.

ويعود شاعرنا المتألم إلى مناجاة حمام الدوح، فليس له في غربته وكربته سواه أنيسا وجليسا:

يا حَـمَـامَ الـدَّوْحِ أَبْكَـانِيْ وأَشْجَـانِيْ الهَدِيْـلْ
ما لِعَــوْدِ الإلـفِ للـدَّوْحِ ولا لــيْ منْ سَبِيْلْ
المـآسـيْ وحَّـدَتْنـا كُـلُّنـا يَـبْكـيْ الخَلِـيْـلْ
هــذه الـدُّنيا، فـلا رَوْحٌ ولا ظِــلٌّ ظَـلِيْــلْ
حَـمَّلتْنـا مِنْ تكاليفِ الهَـوَى الحِمْلَ الثَّـقِيْـلْ[1]

فيخاطب الحمام، ويشكو له أحزانه وأتراحه، فلقد أشجاه وأبكاه هديله؛ لأن كلاهما مشتركان في الحزن والبكاء والعويل، فقد لعبت بهما الحياة، وحملتهما الكثير من المتاعب، فالشاعر يعاني ألم الفراق والبعد والغربة، وحملته الحياة من ذلك الحمل الثقيل، وكذلك الحمام هديله وبكاؤه دلالة على الحزن والفراق والغربة.

* الشكوى من الشيب:

من التغيرات التي تطرأ على الإنسان في مراحل عمره (الشيب)، ولننظر لموقف شاعرنا منه:[2][3]

ولاحَ الشِّيْبُ كـالشَّبَـحِ المُخِيْـفِ ** يُهَــدِّدُنـي بِـمُعْتَـرَكِ الخَـرِيْـفِ
أَطَـلَّ مـنَ الـسَّـوَادِ كَـضَـوْءِ نَـجْـمٍ ** بَـدَافي حِنْدِسِ الحَـلَكِ الكَـثْيْفِ
أُحِــبُّ كُــلَّ أَبْيَــضَ إلاّ هـذاً ** وأُكْـرِمُ كُـلَّ ضَيْـفٍ إلاّ ضَيْفِـي
أُتَــابُعـهُ بِمـنْظَـرَةٍ ومـا لــيْ ** سِوَى التَّسْـلِيْمِ بالحَدَثِ الطَّرِيْـفِ

١- نفسه ص:١٨٤.

٢- مرافئ الحب ص:١٢٧.

٣- نفسه ص:١٢٨.

أُشْـبِّهُـهُ- لِتَـهْدِئَـةِ اضـطِرَابـيْ ** بِنَوْرِ الزَّهْرِ في الشَّجَرِ الوَرِيْـفِ
أُقُـوْلُ- تَعِلَّـةً- هـذا وَقَـارٌ ** ونُـضُجُ الأَرْبَعِيْـنَ رَبِيْـعُ رِيْفِـيْ()
وهَـلْ أخْـفِـيْ السِّنْيْنَ وما أَعَدَّتْ ** مِـنْ الأَهْـوَالِ للجِسْـمِ الضَّـعِيْـفِ
أُدِلُّ بالـفُتُـوَّة ثُـمَّ تَـمْـضِيْ ** كما مَرَّ السَّحَـابُ نَهَـارَ صَيْـفِ
وما شَـرَخُ الشَّبَـابِ سِـوَى لَيَالٍ ** (تَمُـرُّ حَالِمَـاتٍ مُـرُوْرَ طَيْـفِ)()

فها هو يبكي أيام الفتوة والقوة والشباب، التي مرَّتْ مرور السحاب، فما كانت تلك السنون إلا ليال وأيام عبرت كطيف، إننا هنا بإزاء ذات متخوفة من تبدل الحال من القوة إلى الضعف، ذات متحسرة على مضي العمر بسرعة، وموقف شاعرنا منه متذبذب، فبرز مرة بإظهاره في صورة سلبية تتمثل في الخوف منه، وعدم الترحيب به، وأخرى إيجابية تكمن في التسليم به، ونعته بأجمل الأوصاف؛ تعزية لنفسه، وهنا تظهر الذات المتشتتة بين الجزع والرضا، وإن كانت إلى الرضا أقرب.

وتمضي به الحسرات على ذهاب شبابه وتوليه سريعا:[(١)]

أَقُـوْلُ والشَّبَـابُ يَنِـدُّ عَنِّـي ** ويَضْطَـرِبُ الفُـؤَادُ مِـنَ الوَجِيْـفِ
لِـمَ الإِسْـرَاعُ يـا عُمْـرِيْ رُوَيْدا؟! ** تَمَـهَّلْ يـا شَّبَـابُ وكُنْ حَلِيْفِيْ
لَعَـلَّكَ أَنْ تَـرَى مِنِّـي سُلُـوكًا ** يُغايِـرُ سَالِفَ الزَّمَـنِ العَسِيْـفِ

فيخاطبُ الشاعرُ العمر، ويبكي مضيه بسرعة، وما ذلك في -نظره- إلا نذيرٌ للإنسان لمحاسبة النفس؛ فتظهر من خلال الأبيات أنات ضمير حي ونفس لوامة، وفي معية الحرف الصادق تأسر الدلالات ذائقة المتلقي، وإن كانت مباشرة، لكن صدق الكلمة يجعل صداها أوقع في النفس، وأبرز أثرا، وهذا ما يميز الشاعر الفيفي.

ويمضي الشاعر يبكي تغير الحال من القوة إلى الضعف، والخوف بعد الأمن، وشيب زار المفارق بعد شباب وفتوة وحبور، ولكنه يتظاهر بالقوة،

١ – نفسه ص:١٢٨.

وعدم الخشية من مواجهة الأخطار، حتى لا يتعرض لنظرة شفقة من أحد، وهذا الصراع نتيجة الإباء الذي يعيشه الشاعر، ويخفي في نفسه واقعا مؤلما:

وغَـزَا الشَّيـبُ سَـوادَ الـرَّأسِ يَنْعيْ ليْ شَبابـي
نـاصِحًا لـيْ بعـدَ هـذا العُمْـرِ أن أَطْـوِيْ كتابي
وكتابـيْ صَفحَـاتٌ فيـهِ أصـنافُ العَـــذابِ
وصـروفُ الـدَّهْـرِ فيـهِ سُطِّـرتْ في كُـلِّ بـابِ
كَيْـفَ أَطْوِيْـهِ وهَـلْ في طَيِّـهِ أَلْقـى ثَوابـــي؟!
إنني المسـؤولُ عَمَّـا فيـهِ في يَـوْمِ الحِسـابِ[١]

وهذه النغمة ليست ببعيدة عن سابقاتها، فما زال الشاعر يبكي رحيل العمر، ويشكو غزو الشيب، وما ذلك - في نظره- إلا دلالة على قرب الأجل، وطي صفحات حياة، كانت مليئة بالمآسي والأحزان. هي ذات قلقة إذن؛ ونفس لوامة، ومتحيرة، ومتشتتة، ومتخوفة.

* شكوى المرض:

حاقت الأمراض والأدواء بشاعرنا الفيفي، وبرغم المقاومة تمكنت منه، ففر إلى الله ـ جل وعلاـ شاكيا وراجيا: [٢]

تـأُزُّنيْ الـطَّعْنَةُ النَّـجْلاءُ في كَبِـدِيْ ** فـأتَّقيـها بـذِكْـرِ الـواحِدِ الصَّـمَـدِ
أُحِـسُّ يا بارئيْ التَّمـزيْـقَ في بَدَني ** فـاجْعَلْ لَهِيْبَ المُدَى يا ربِّ كالبَـرَدِ
كَـأَنَّ قَلْبِيْ على السَّـفُّوْدِ يُحْرِقُـهُ ** في جاحِمِ النَّـارِ يَـوْمًـا كَـفُّ مُفْتَئِـدِ
يَقُـوْلُ ليْ حَضْرَةُ الدُّكْتُوْرِ: «لا أَمَـلٌ» ** فقلتُ: «لَكِنْ على ذيْ العَرْشِ مُعْتَمَدِي»

فها هو يشكي المرض والألم الذي يصحبه، كالطعنة النجلاء تمزق كبده، وليس هذا فحسب، بل ألم الطبيب الذي آيسه من شفائه أشد وأنكى، واستخدام

١- مرافئ الحب ص:١٨٦-١٨٧.

٢- نفسه ص:٧٦.

مفردات (الطعنة، لهيب، التمزيق، يحرقه) كفيلة بنقل مواجع الشاعر للمتلقي عبر تقنية الحوار مع طبيبه: [1]

يـا ذا الطَبِيْبُ الـذي أَعْلَنتَ فاجِعَتيْ ** أما تَرَى أَنَّنـيْ كـالضَّيْغَـم الحَـرِدِ؟!
لَـمْ أَهْتَـزِزْ عندمـا قَالُوا كذا مَرَضِي ** بَلْ زَادَنيْ قُـوَّةً إِذْ لم يَطُلْ أَمَــدِي
وقَدْ يَمُوْتُ الفَتَى مِنْ غَيْرِ ما مَرَضٍ ** بل كان يَخْتَالُ في النَّعْمَـاءِ والرَّغَـدِ

ومن منطلق إيماني ثابت يعود الشاعر، فيبثَّ رسائله إلى متلقيه المشفق الراحم، مظهرا جلده وقوة صبره، مبرزا الاعتزاز بالذات المؤمنة القوية أمام ما تواجهه، بعزيمة، وعدم الاستسلام.

ولأنه مؤمن، موقن بقضاء الله وقدره، خالجت شكواه نغمة إيمانية، تمثلت في الاستسلام لما جرى به القلم: [2]

لا تُيْئِسنَ أَيُّها الآسي، فأنتَ علـى ** ما قَــدَّر اللهُ لـم تَنْقـصْ ولـم تَـزِدِ
إنَّ المنايـا لُكُـلِّ النـاسِ مُرْصَـدَةٌ ** فهل هنالِكَ مَنْ يَنْجُوْ مَـنَ الرَّصَـدِ؟!
والمـوتُ حَـقٌ فـلا أَخْشَـى بوادِرَهُ ** وسَوْفَ أَلْقاهُ بالتَوحيدِ والجَلَـدِ»

فحين تشبث به المرض خاطب طبيبه، وكأنه يوبخه، ومعه يبعث نداء لليائسين، مستشعرا رحمة ربه، ومؤمنًا بقدرة خالقه عز وجل؛ فإذا نحن بإزاء شاعر قوي الإرادة، صلب المكسر، مدرك لمعاني الحياة، يخوضها ولا ينكسر، ولكنه قبل ذلك بشرٌ مؤمن بعظيم أمر الله.

* الشكوى من تبدل الحال وتغير الناس:

لطالما شكا الناس زمانهم، وتقلبه بين سرور وأحزان، ومع هذا التقلب، أنكروا تقلب الإنسان نفسه، وتنكره لأخيه الإنسان؛ ففي حال التنعم والغنى تجد القوم موافين يهشون ويبشون، وفي حال الفقر والحاجة يولون عن صديق

١- مرافئ الحب ص:٧٨.

٢- نفسه ص: ٧٧.

الأمس مدبرين، وشاعرنا الفيفي ممن أرقه هذا التنكر، وأوجعه هذا الخلق، فسطر أشعارا كثيرة في توصيفه، والتحذير منه :[1]

في البَحْرِ يَسْبَحُ بيْ خَيَالٌ مُغْرِقُ ** ويَسِيحُ بيْ في الأَرْضِ فِكْرٌ مُعْنِقُ
يَجْتَازُ أَجْوَازَ الفَضَاءِ مُرَفْرِفًا ** حُلُمٌ لَهُ بَيْنَ الحَقَائِقِ رَوْنَقُ
في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيْمِ يُغِذُّبيْ ** لأَرَى الصَّبَاحَ يَلُوْحُ مِمَّنَ أَعْشَقُ
وأنا أَسِيْرٌ يُمِضُّني لَيَلُ السُّرَى ** نَفْسٌ تُشَجِّعُني وقَلْبٌ يَخْفِقُ
والفَجْرُ يُنْذِرُ بالطُّلُوْعِ على الدُّنَى ** والشَّمْسُ تَنْتَهِكُ الظلامَ وتُشْرِقُ
وإذا الزَّمَانُ هُوَ الزَّمَانُ وظَرْفُهُ ** قدْ خُطَّ فِيهِ تَمَرُّدٌ وتَمَزُّقُ
وإذا الحَيَاةُ هِيَ الحَيَاةُ بِبُؤْسِها ** وشَقَائِها حتى يَشِيْبَ المَفْرِقُ
سُوْقُ التَّبَاغُضِ و التَّدَابُرِ رَائجٌ ** أَبْوَابُهُ مَفْتُوْحَةٌ لا تُغْلَقُ
والحِقْدُ عَشَّشَ في القُلُوْبِ يَبُثُّهُ ** فينا التَّخَاذُلُ والعَدُوُّ المُحْدِقُ
والماءُ رَنْقٌ والشَّرَابُ مُكَدَّرٌ ** كُلُّ المَنَاهِلِ قَدْ عَلاها الغَلْفَقُ[2]
دَسَّ التَّحَاسُدُ في النُّفُوْسِ بُذُوْرَهُ ** فَزَكَتْ وآزَرَها النِّفاقُ المُوْبِقُ»

فيشكو الشاعر من سوء تصرفات الزمان وتنمر أهله، وما صاحب ذلك من تغيرات في المفاهيم وتبدل في القيم مما أدى إلى إصابة الشاعر بحالة تمرد على الواقع ليهرب إلى فضاء الخيال، الذي كان بعيدا كل البعد عن الحياة الواقعية لديه، محلقا فيه كالطير، ويحلم بصباح مشرق وفجر باسم بعد ليل مظلم مكدر، وتمنى أن ذلك الحلم لم ينقطع ففي بقائه سعادته وهناؤه، وبعده عن واقعه المؤلم.

ولكونه لا يملك تغيير الواقع المعيش، فليس أمامه سوى الفرار إلى الأمس الدابر، الذي لا يعود، والارتماء في خيالات تنسجها مخيلته :[3]

١- مرافئ الحب ص: ١٣٤-١٣٦.

٢- الغلفق: الخُضْرةُ على رأسِ الماءِ، وهو الطُحْلُب. كما جاء في كثير المعاجم منها: تاج العروس.

٣- نفسه ص:٢٣٦-٢٣٧.

مالهذا العَصْرِ، أَجَدْبٌ ضَنْيِنُ؟ ** أَمْ مُصَابٌ بالعُقْمِ؟ أَمْ عِنِّيْنُ؟
أَمْ لُيُوْثُ الآجامِ أَضْحَتْ نَعامًا؟ ** أَمْ تَساوَي زَئِيْرُها والطَّنِيْنُ؟
عادَ بيْ الفِكْرُ للقُرُوْنِ الخَواليْ ** مَنْهلَ الصَّفْو أَيْنَ ذاكَ المَعِيْنُ
فاسْتَلَلْتُ اليَراعَ أَقْتاتُ شِعْرًا ** مِنْ يَراع مُلَوَّع يَسْتكِيْنُ
كُلَّما حَلَّقَتْ مَعِيْ خَطَراتٌ ** في سَمَاءِ الماضيْ تَقَرُّ العُيُوْنُ»

فهذا الزمن الذي أصابه الجدب والعقم، وتبدلت فيه كل المبادئ والقيم، يجعل المرء يبكي الماضي، حيث زمن الطهر والعفاف والصفاء والبساطة، وما من مفر سوى الهروب إلى الوراء واسترجاع الذكريات، وبكاء الماضي خير معين لشاعرنا المنكَّد، الذي لا يرى في حاضره إلا أدواء حاقت به تريد أن تفترسه، وتغير نهجه وطريقته المثلى.

ولكن ليس ثمة هروب من الواقع، فسرعان ما يعود له وعيه، وتمزقه المشاهد من حوله، فيعود فارّا لذكريات الأمس المبهجة، ولكنها لا تحتوي قلقه، ولا تستوعب نكرانه، فيفر إلى الطبيعة بعناصرها المتنوعة، يجاذبها، ويبثها، ويحتمي بها:[1]

بَدَأَتْ تَسْقُطُ في الأَرْجَاءِ أَوْرَاقُ الخَرِيْفْ
وتَوَارَتْ رَوْعَةُ النَّضْرَةِ في الوَادِيْ الرَّفِيْفْ
وذَوَى الغُصْنُ وماتَ العُشْبُ والظِّلُّ الوَرِيْفْ
واخْتَفَى الطَّلُّ وجَفَّ النَّهْرُ أَفْنَاهُ النَزِيْفْ
وفَحِيْحٌ مَنْ هُبُوْبِ الرِّيْحِ يَغْتَالُ الحَفِيْفْ
وصَدَى بُوْم وغِيْلانٍ وأَشْباحٌ تُخِيْفْ
هَمْهَمَاتٌ أَحْدَثَتْ في قَلْبِيَ القاسيْ الوَجِيْفْ
فاستحالَتْ ذَكْرَياتُ الأَمْسِ كالطَيْفِ الطَّرِيْفْ
وبقايا الحُبِّ صارتْ غَيْمَةً في يومِ صَيْفْ

١- مرافئ الحب ص: ١٨٧-١٨٨.

وغنَاءُ البُلْبُلِ النَّاعِمِ في الدَّوحِ الكَثِيْفْ
كنَعِيْقٍ مِنْ غُرَابٍ صَاحَ بالصَّوتِ العَنِيفْ»
ومع ذلك تبقى النظرة السوداوية التشاؤمية، ماثلة في مرأى شاعرنا، الذي وإن فرَّ إلى الطبيعة الحاضرة، لا يسجل إلا المشاهد السلبية منها، فلا يرى إلا سقوط الأوراق، وذوي الأغصان وموت العشب، وانزواء الظل الوريف، واختفاء نضارة الوادي، وجفاف النهر، ولا يسمع إلا نعيق البوم، وصداه الموحش، وبعد ذلك بقايا من حبٍّ في القلب أصبح كغيمة في يوم صيف، وتبدل الحال من الفرح إلى الحزن، ومن الجمال إلى القبح، ومن القوة إلى الضعف، ومن الحلو إلى المرِّ، ومن الوصل إلى الفراق، ومن القرب إلى البعد، ومن التفاؤل إلى التشاؤم؛ مكن لسوداوية المشهد في وجدان شاعرنا، فلا يجد إلا المناكد والويلات، ولا يبصر إلا تحولات الزمان وتبدلاته

ويمضي في عزف حزنه باكيا وشاكيا اختفاء البهاء والجمال، وافتراق الأحباب بعد اجتماع، فالقلب حزين على الأمس الذي غدا ذكريات وحلمًا، من المستحيل أن يعود، والأشياء الجميلة في الماضي لم يعد لها لون ولا طعم في الحاضر:[1]

مُحِيْطٌ مِنْ تُرَاثِ المَجْدِ آت ** مِنَ الماضِيْ يُحاصِرُهُ المَضِيْقُ
رَأَيْتُ تَغَيُّرًا في كُلِّ شَيْءٍ ** ونَفْسِيْ فِي التَّغَيُّرِ لا تُطِيْقُ
تَغَيَّرَتِ المَواقِفُ والنَّوايَا ** وبَاءَ بِحُزْنِهِ الماضِيْ الوَثِيْقُ
أَخِيْ أَيْنَ التُّراثُ؟-جُزِيْتَ خَيْرًا- ** لِمَ الآثَارُ ضَاعَتْ يا شَقِيْقُ

١- مرافئ الحب ص: ١٣٩_١٤١

أَهَـذِيْ دِيْـرَتـيْ أَمْ تِلْـكَ رُؤْيَـا؟ ** أَمْضِيْ فِي سُبَـاتِيْ.. أَمْ أُفِيْــقُ»

وها هو يشخص الداء، ويبرز عمقه، ويظهر مدى تغير الإنسان، حتى في فيفا، بيته الأول، الذي يكاد يكون منغلقا، وفي حمى من تغيرات الحضارة، ونلاحظ بغض الشاعر لذلك التغير الطارئ على بلدته الصغيرة النائية، فكان استخدامه لأسلوب القص، وكوبه تقنية الحوار، وسرده لأحداث الحاضر، ومقارنتها بالماضي، وإثارة التساؤلات، دلالة على ذات الشاعر المتحسرة النابذة للتغير والتبدل، ولكل ما هو متناقض مع الماضي العريق.

وتؤرقه تلك التغيرات، ويتعبه انجرار الناس إليها، واحتفاؤهم بها، فينعي عليهم ذلك، مذكرا بما كان عليه الأوائل، وما مضى فيه السابقون :[1]

وأَيْنَ الجُـدُوْدُ؟ وأَيْـنَ الصُّمُـوْدُ؟ ** وأَيْـنَ الشُّمُـوْخُ؟ وأَيْـنَ الرِّجَـالْ؟
أَتَى بَعْدَ أَفْـذَاذِهِـمْ ثُـلَّـــةُ ** مع الـرَّوْدِ تَجْرِيْ على أَيِّ حَـالْ
وأَيْـنَ المُـرُؤْءَاتُ كَـانَـتْ هُنَـا؟ ** تَسَامَـتْ، عَلَيْها وِشَـاحُ الجَـلالْ
وأَيْـنَ؟ وأَيْـنَ؟ ومـاذا أَقُــوْلُ؟ ** وقد نَدَّ عَنِّي جَـوَابُ السُّـــؤَالْ
ومـــا كَـــانَ إلاّ كَمُسْتَنْـطِقٍ ** جَـمَادًا، ونُطْقُ الجَمَادِ مُحَـالْ»

ولازال شاعرنا يتساءل عن الماضي المفقود، ويعود ليتذكر الزمن الماضي وجماله، فيسرد بعض القيم والمبادئ، التي كان يتحلى بها الجدود، ونلحظ في سرده توالي الاستفهامات في النص: «أين الجدود، وأين الصمود، وأين المروءات. وأين، وأين...»، ونلحظ من ورائها نبرة متحسرة، باكية، حزينة على ماضٍ، قد ولَّى واندثر، فمن المحال أن يعود.

١- نفسه ص:١٤٩.

وحتى في العيد نلمس الحزن والبكاء:[1]

يُجَدِّدُ العِيْـدُ أَحْزانـيْ وآلامــيْ ** أُنُـوْءُ فِيْـهِ بــأَوزاريْ وآثامي
أراهُ ذا صَفْحَـة شَهْبَـاء شاحِبَـةٍ ** تَعُجُّ بالرُّعْبِ مِنْ بُلْهٍ وأَقــْزَامِ
والنَّاسُ في بَهْجَةٍ مِنْ عيْدِهِمْ وأنا ** في حَسْرَةِ المُبْتَلَى أَجْتَرُّ آلامي

فتتجدد الأحزان في العيد في وجدان شاعرنا، فيحمل حروفه نشيجه وشجونه، ببكاء حالته ومرضه.

ويطلب النجدة من زمان انهكه وأتعبه:[2]

رَحْمَـةً بيْ يا زَمــانَ البُـؤسِ لا تَقْـسُ عَلَيَّا
حَـوِّلِ الإعصـارَ عَنْ وجْهِـيَ إنْ كُنْتَ تَقِيَّا
تَـرَكَتْنِيْ عِـزَّةُ الأَحْــرارِ شَمَّـاخًـا أَبِيَــا
لو تـرَى قَلْبِـيْ مِـنَ الآهــاتِ أَبْصَـرْتَ دَمِيَّـا
أو تَـرَى قَلبيْ مِنَ الأحقـادِ أبْصَرتَ نقيَــافيعود يشكو سوء حاله وتكالب الحياة لدناياه، وكأنها تسمع ما به من هم وكـرب ماضيه وحاضره، وما ذاك إلا دلالة على شدة الوجع، وفقد الأمل، ولكن مع شكوى شاعرنا من تغير الـزمـان، ومما قاساه من الأوجـاع والآلام، فإنه يبقي وفيا لأهله محبا ودودا وفيا، لم يتسرب النسيان ولا الحقد إلى قلبه

١- مرافئ الحب ص:٢١٦.

٢- نفسه ص:١٨٥.

*** الغزل:**

كان للغزل نصيب-لابأس به- من شعر الفيفي، والغزل في أغلبه لدى الشاعر صريح، يصف جمال المحبوبة، وحركتها، قدومها، وذهابها، ويرصد بعض حواراته معها، و ذكر ما قاساه من آلام في سبيل ذلك الحب، والعقبات التي حالت دون الوصول إلى من يحب، وهو غزل صريح، وصادق ويمكننا تقسيم الغزل في شعر الفيفي إلى محورين :

وصف المحبوبة، والشكوى من البعد وما يثيره الفراق.

- وصف المحبوبة:

وكانت أوصافه لمحبوبته تحمل نفسا كلاسيكيا باذخا؛ حيث تغزل كما تغزل أسلافه، وأضاف إليه نفسا رومانسيا عميقا يشي بخلجات فؤاده ومعاناته:[1]

جاءتْ كنَفْحِ المِسْـكِ ذاتَ مســاءِ ** خَجْلَـى تُهَامِسُنيْ على استحياءِ
جاءتْ كزنبقَــةِ الرَّبيـع، كبَسْمَــةٍ ** مزهـوَّةٍ، كالدِّفْء، كالأنــــداءِ
قالتْ:"مساءالخير"،وانكشفَ الدُّجَى ** عـن وَهْـجِ وَجْـهٍ مُشْـرِقٍ وضَّاءِ
أَلْقَتْ سلامًــــا أريحيًّا وأَرْدَفَــتْ ** حَيَّاكَ، أهلاً بالقريب النَّائـــــي
فاستَعْجَمَتْ عنديْ الحروفُ مهابــةً ** حتى غـدوتُ كناطــقٍ فَأْفــاءِ

بنفح المسك، تمشي على استحياء، أو كفراشة الربيع، أو كبسمة كدفء الأنداء، ووصفها بالوجه المشرق الوضاء، واعتمد الشاعر تقنية القص، مع أسلوب الحوار؛ ليقرب هذا الجمال المرجو إلى نفسه الراغبة في وصال صاحبته، فيبثها ما يلاقيه من ويلات، وما يعانيه من صبابات :[2]

١- مرافئ الحب: ص:٤٥.

٢- مرافئ الحب ص:٤٦.

قُلْتُ، وقد مَلَكَ الجمالُ مشاعريْ، ** مَنْ أنتِ؟ أنت تَوءمُ الجَــوْزَاءِ![1]
أُدْنِيْ، اجلسيْ يا شمسُ، يَنْقَلبُ الدُّجَى ** نُوْرًا أَقِيْمِيْ بواحتيْ الجَــرْدَاءِ[2]
أَدْنِيْ، ليَفْرَحَ مَرَّةً» محسوبُكــُمْ» ** أُدْنِيْ لِيَسْعَدَ بالضيــاءِ شقائـي[3]
خَلِّيْ بساطَكِ «أَحْمَدِيًّا» رَدِّديْ ** عَذْبَ الكلام ولّطِّـفيْ أجوائـي
قـالـتْ: بعيدٌ ذاكَ إنَّ حرارتـي ** تشويـكَ ثـمَّ تمـوتُ في أفيائـي
قلتُ:الشَّذا الـفـوَّاحُ ضَـوَّعَ ريحُهُ ** عنـديْ قُبيْـلَ مجيئـكِ الوَضَّـاءِ
مَـنْ أَنْـتِ؟،قـالـتْ: وردةٌ فوَّاحَـةٌ ** مِـنْ رَوضـةٍ محميَّـةِ الأرجـاءِ
الـوردُ فيها لا يُبـاحُ لعابـثٍ ** في الشَّـمِّ أو في اللُّعْبَةِ العَمْياءِ»

وكان لاستخدام الشاعر أسلوب الحوار وتقنية السرد، أثر قوي في توصيف محبوبته الأبية المتمنعة، ذات الطابع السمح البسيط، بلهجتها المحلية التي تحمل في طياتها اعتزازا بالذات، وثقة في قدراتها الجمالية، ومقدرة على تصنع التمنع كما هو حال الأنثى، فلقد قدم لنا مشهدا دراميا متناميا لحوار دار بينه وبين تلك المحبوبة، لعل هذه الصورة التي رسمها الشاعر لأنثاه من باب المواساة للشاعر في بعده عن أهله، وتبدو الرقة في استخدامه مفردات (الجمال، الضياء، عذب، الشذا، فواحة) برغم مباشرته في الوصف، لكنها ألقت بظلالها الإيحائية. فإذن نحن بإزاء شاعر واضح الفكرة والعبارة، جيد في توظيفهما.

١- تجنبا للخزل -أي اجتماع الإضمار والطي، وهو قبيح في البحر الكامل- لابد من إشباع حركة التاء من كلمة «قلت» وكذا إشباع حركة التاء في كلمة «أنت»، الثانية، تجنبا للوقص، أي حذف الثاني المتحرك من «متفاعلن» وإن كان الوقص صالحا هنا حسب العروضيين كما أشار المحقق في ديوان مرافئ الحب.

٢- لا يستقيم الوزن إلا بحذف ياء» أقيمي» ويمكن جعله: «نورًا يقيم بواحتي الجرداء أو «نورًا يقيم بواحتي الظلماء» كما أشار المحقق في ديوان مرافئ الحب.

٣- «محسوبكم» كذا! وقد تكون «محبوبكم» كما أشار المحقق في ديوان مرافئ الحب.

لكن الحسية تبرز في معاني الغزل لدى الشاعر الفيفي، فيقرب لنا شدة جمال جيد محبوبته، وحسن مبسمها، وانتظام أسنانها بجمال عقد منظوم بدع خياله صنعه:[1]

بِـرِيْشَـــةِ الـحُـــبِّ أَرْسُـــــمْ ** حَـبَّـــاتِ عِـقْـــدٍ مُـنَـظَّـــمْ
يَـــزْهُـــوْ بِـــهِ جِيْـــدُ أُنْثَـــى ** حَـسْـــنَـــاءَ ثَـغْـــرًا ومَـبْـسَـمْ

والسير على منهاج القدماء في التعاطي مع حالات الحبيب في وصاله وهجره ديدن شاعرنا الفيفي، فحضور الليل، وتشبيه المحبوب بالغزال وبالبدر في أعالي السماء، مما سنه الأقدمون في هذا الباب:

«قُمْـتُ أَشْـدُو وأُغَـنّي بِهَـوَى الظَّبْيِ الغَرِيْـرِ
سَكَـنَ اللَّيْـلُ وظَبْيِـيْ سِاكنٌ أَقْصَى ضَمِيْرِي
في خياليْ في قُعــوديْ في قيامي في مسيري
أتمنَّـى يا ضيـاءً لاحَ كـالبـدرِ المُنِيــــرِ
أنَّ ليـلاً ضَمَّنـا تحتَ غِطاءٍ مِـنْ حَرِيْــــرِ
آهِ يـا ممشوقـة القَدِّ لقـد كنتِ أميــــري
سـاعـدينـيْ في هـمـوميْ وجّهـينـيْ وأشيــــري
وأفيضيْ مِـنْ حنانيكِ على قلبيْ الكَسيــــرِ»[2]

فلقد سكن حبها بين أضلعه، وتمكن منه، وأضحت معه في خياله وفكره، وفي مسيره وقيامه وقعوده، يخاطبها، يطلب منها ألا تتركه وأن ترأف به وترق لحاله، ونحس الصدق في العاطفة والمشاعر الشفافة الواضحة في وصف المحبوبة وحين مخاطبتها، والشاعر كغيره من الشعراء استحضر الليل في أشعاره ولاسيما عند الحديث عن المعاناة والآلام، وعند شوقه للأحباب، فالليل له ارتباط وثيق بالوحدة والألم، ولما يحتويه من هدوء يريح الأعصاب، ويجعل الإنسان يزيد من تأملاته، فوحدته في الليل تهيج آلامه وأشواقه وآهاته.

١- مرافئ الحب ص:١٩١.
٢- نفسه ص:١٧٣-١٧٤.

وهنا يستحضر الشاعر عناصر الطبيعة (الأزهار، الربا ،نور الفجر، السماء، الشذا، ترانيم العصافير، نسيم الروض)؛ كما هو حال الرومانسيين الرواد، فترسم تلك العناصر فيه أبعادًا جمالية، وهنا يتبع شاعرنا أسلافه من الشعراء العشاق، الذين أسقطوا على المعشوق جماليات الطبيعة من نُور ونَوار.

«سـأكونُ حـارسَ الأزْهَـارِ فـي أَبْـهى رُبـاكِ[1]
وأكـونُ طائـرَ اليُمْـنِ أُغَنِّـي فـي سَـمـــاكِ[2]
إنَّ نُـورَ الفَـجْـرِ عنـديْ مُسْتَمَـدٌّ مِنْ سَنـــاكِ
ونَسِيْـمَ الـرَّوضِ ممزوجٌ بعِطْرٍ مِنْ شَـــذَاكِ
وتـرانيـمَ العصافيـرِ بلَـحـنٍ مِنْ غنـــاكِ»[3]

وشاعرنا الفيفي حين يتغزل؛ مباشر في شكواه ونجواه، صريح في إطلاق الأوصاف على محبوبته، التي يتخذها نموذجا أو مثالا للجمال:

يا أسيـلَ الخَـدِّ يا أَحْلَـى وأَغْلَـى منْ عيوني[4]
يا ضياءَ الشمسِ في الآفـاقِ يا سِحْرَ الجُفُوْنِ
أيُّ فَــنٍّ أنـتِ يا مَــنْ ترتقـيْ فـوقَ الفُنـوْنِ
ضَـمَّنا ليلُ السَّهـارَى في هــدوء وسُـكـونِ
فمـدَدتُ كَفّـيَ المَلْهُـوفَ للكَفِّ المَصـــوْنِ
منعـتْ كَفِّـيَ بلُطْـفٍ وعِتـابٍ وشُجُــــونِ
نظـرَتْ لـيْ بعُيُـوْن جَمَعَتْ كُلَّ الظُّنُــــونِ
قَطَّبَـتْ ما بينَ جَفْنَيْـها فـزادتْ مِنْ جُنُـوْني
ثُـمَّ لَمَّـتْ شَعْـرَها المَسدُولَ مِنْ فَوْقِ المُتُوْنِ»[5]

١- حركة النون في كلمة «سأكون» مشبعة كما أشار المحقق.

٢- حركة النون في كلمة» وأكون» مشبعة كما أشار المحقق.

٣- مرافئ الحب ص:١٧٥.

٤- جمع «العينين» منا لضرورة القافية، وجريًا مع الاستعمال الدارج في العامية. كما جاء أشار إلى ذلك محقق الديوان.

٥- مرافئ الحب: ص:١٧٦.

فنجده يصف جمال محبوبته، ويبرز بعضا من صفاتها الخَلقية، ويظهر لنا من خلال الأبيات السالفة صورة أخرى للقاء بينهما قد حصل، وجرى فيه عتاب بالكلام وبالفعل من خلال: مد كفه إليها مصافحا، فردت كفه بلطف وعتاب وشجون، ونظرت له بعين الشك والظنون، بلغة صريحة وواضحة، كسابقاتها من النصوص الغزلية، وكان لليل الوصل/ الهجر حضور كوعاء وزمان مستوعب، ومحتو لأحوال العشاق.

- الشكوى من البعد وما يثيره الفراق:

قدم شاعرنا الفيفي نفسه محبا متألما، فمزج مشاعره الوالهة المعجبة بحزن وأسى؛ فكان حديثه عن الهجر والفراق والبعاد، بين استعطاف، وإباء، وتذلل، واعتزاز، حيث تذبذبت تلك المشاعر، وترددت آماله وتطلعاته، وكأنه يرجو منها مبادرة تزيل عن كاهله همَّ الصدود:[1]

«لقَدْ تَرَكْتِ بِجِسْمِيْ ** يا بِنْت- قَلْبًا مُحَطّمْ
يا رَوْعَةَ الحُسْنِ إنِّيْ ** مُضْنًى بذا الحُسْنِ مُغْرَمْ
أَتِيْهُ فَيْهِ، وأَشْقَى، ** بالرُّوْحِ والعَظْمِ والدَّمْ»

فبثُّ الشكوى، واستعطاف الأنثى، هو ملاذه للتنفيس عما يجده، وجل مطمحه توصيف حالته، ووصف جمالها، ومن بعد ذلك الإبانة عما يعانيه من لهيب الحب، وما خلفه من أثر في قلبه، وخيبة بدا أثرها على جسده، وما يتبعه من عناء وشقاء، ولم يتبق له سوى الهم والحزن.

ولكون نهج القدماء مؤثرًا في شاعرنا؛ وجدناه يذكر العاذل والواشي في هذا الموضوع ، ويلقي عليهم باللوم مستنكرا نبوهم عنه:[2]

«يا مَنْ تُرِيدُونَ عَذْليْ ** ما عُدْتُ بالعَذْلِ أَهْتَمْ
لا تَعْذُلُوْنِيْ فإنِّي ** أَصَمُّ في الحُبِّ أَبْكَمْ

١- نفسه ص:١٩٢.

٢- مرافئ الحب ص:١٩٢.

هَـــلْ تُـدْرِكُــــوْنَ عَذابـــيْ ** وما بِفِكْـريْ مِـنَ الغّـمْ؟!»

ولكنه لا يحيد عن طريق الحب، فقد أصبح به أعمى وأبكم وأصم، ولم يعد يهمه عذل العاذلين، ونعيق الواشين، فليس له إلا الشعر يسرد فيه قصته مع الحب، وما قاساه من آلام، يعزي به نفسه، ويصبر قلبه ووجدانه.

وليس الصدود والجفاء منها وإنما قد يكون منه وهي من تشتكي هذا الفعل وتنعي هذا البعد:[1]

قالتْ ومنْ عَيْنها تَنْسَابُ لُؤلؤةٌ ** أينَ الصَفِيُّ الذي بالوُدِّ أصفاني؟!
قد كُنْتَ شَبَّابةً، أَنْفِيْ بها سَأَمِي ** أَسْلُـوْ بأنغامِـها إنْ عَزَّ سُلْواني
وكَنْتَ أُنْشُوْدَةَ أَشْكُو بها أَلَمِـي ** في وَحْدَتِيْ عندَما تَـزْدادُ نِيْرانـي
وكُنْتَ قيثارةً أَشْـدُو بها طَرَبًـا ** دَقَّاتُ أوتارِها قَلْبي ووِجْدانــي
كُنْتَ التواضعَ في أَرْقَـى مَدارجِهِ ** وقـد تَكَبَّرْتَ إذْ أصْبَحتَ ذا شَـانِ
ظلَّتْ تُسائلني هَلْ أنتَ تَذْكُرُني؟ ** يومَ الـوداعِ وهَـلْ ما زِلْـتَ تَهواني

فهنا عتاب فتاة محبة لحبيب جاحد، حيث استطاع شاعرنا عبر تقنية القص، وأسلوب الحوار، أن يقدمه بحرارة العاطفة، فتبدو لنا صورتها وهي تعاتبه، وتحادثه، وتجادله، وتوضح ما كان يعنيه لها؛ حين كان الملاذ والأمان، ويبدو أثر الشاعر أبو ريشة في هذا النص، وإن عكس شاعرنا الفيفي الأدوار، فجعل الفتى جانيا، بينما الأول جعل الحبيبة هي الجانية والفتى مجنيا عليه في قصيدته (عودي)» «(قالتْ مَللتُك اذهبْ لستُ نادمة.. على فراقِك إنَّ الحُبَّ ليسَ لنا.[2]

سقيتُكَ المرَّ مِنْ كَأسي شُفيتُ بِها ** حِقْدي عَلِيكَ ومَالي مِنْ شَقاك غنى!)»

١- نفسه ص:٢٥٢.

٢- عمر أبو ريشة، ديوانه، دار العودة بيروت،١٩٩٨م، الجزء:١ ص:٢٠٢

ويمضي الشاعر في توصيف لقائه بمحبوبته، واقفا عند وداعه لها، حاشدا مجموعة من الصور البيانية، توضح مدى الأسى، وشدة اللوعة التي أصابتهما:[1]

مَـدَدْتُ كَفِّيَ للتَّوْدِيْعِ مُرْتَعِشًـــا ** كادتْ تشَـلُّ مِنْ الإعـياءِ أَرْكانـي
وعُـدْتُ كالطَّيْرِ قَدْ قُصَّتْ جوانحُهُ ** أو والـغ في شَـرابِ الإِثـم نَشْـوَانِ
عَضَّتْ أناملَها في لَهَفَةٍ وبَكَـــتْ ** فَحَرَّكَتْ مِنْ نِيَاط القَلْبِ أَشْجَاني
تقولُ: حَسْبِيْ على مَنْ كَـانَ فَرَّقَنا ** مِنْ غَيْرِ ذَنْب سِوَى أَنَّا حَبِيَبـانِ
سَلَّتْ لِسَانًا فَصِيْحًا في مُعَاتَبَتِيْ ** ما كنتُ أَحْسَبُهُ في بِنْتِ عَدْنــانِ
كَـلاَّ ولا كُنْتُ أَدْرِيْ أنّني سَـأَرَى ** لسانَها المُنْتَضَى في بِنْتِ قَحْطانِ
وأَخْرَسَتْنِـيْ بِسْحِرٍ مِـنْ بَلاغَتِها ** وأَلْجَمَتْ ناطِقِيْ عَنْ رَدِّ تِبْيَانـــي
قَدْ ضَاقَتِ الأرضُ بيْ ذَرْعًا بما رَحُبَتْ ** وأَجَّجَتْ نـارُها أحشـاءَ سَلْـمَانِ
وأَظْلَمَ الصُّبْحُ في عَيْنَـيْ وأَقْلَقَنَـــيْ ** صَـوْتٌ قَدِيْمٌ مِنَ الأَعْماقِ ناداني
فَقُلْتُ يَكْفِـيْ بِنَفْسِـيْ أَنَّها هَجَـرَتْ ** كُـلَّ الأَحِبَّـةِ مِـنْ أَهْـلٍ وخِـلاَّنِ»

فها هو رسم لنا مشهد الوداع، وصوره على خير مبتغى ، قربه للمتلقي بل أدخله فيه ، وأشركه، فهي تتحدث والحبيب صامت صامد، لا يلوي على شيء، ولا ينبس ببنت شفة أمام ذلك الحديث الصادق، الذي أفاضت فيه له بمكنون فؤادها، تروم بقاءه إلى جانبها، وإن عز تلاق، ولازالت المحبوبة في عتاب وشكوى وأنين مما قاسته، وها هو الآخر ليس ببعيد عنها؛ فلقد حلت بقلبه كل الآلام والأحزان في بعده عنها.

وليس له بعد ذاك إلا التصبر وطلب المعذرة :[2]

للهِ صَبْرِيْ وأحلاميْ وقَـــدْ بَعُـــدتْ ** عَنْ أَرْضِ رَبْعِيْ وأَصْحَابِيْ وإِخْوَانِي
لم أَرْتَكِبْ في قَرَارِ الهَجْرِ مِنْ خَطَـإٍ ** لكنْ جَفافُ هَـواكُـمْ كانَ أَظْمَـانـي
أَقُوْلُ إِنْ كانَ ذَنْبِي أَنَّنِـــي رَجُـلٌ ** أَنْفِتُ بَيْعَ الهَوَى مِنْ غَيْرِ مِـــيْزَانِ

١- مرافئ الحب ص:٢٥٢_٢٥٥.

٢- مرافئ الحب ص:٢٥٥.

فَسَامِحيْنِي ! وأَرْجُوكِ، كَفَى عَتَبًــا! ** فما نَسِيْتُ وليسَ الغَدْرُ مِنْ شَــاني
طُرْقُ الوَفَاقِيَمِيْ، حُبُّ الصَّفَاشِيَمِـيْ ** والـوُدُّ يَنْشُـرُهُ في الأَرْضِ دِيْـوَاني
وكَيْفَ أَنْسَى وفي قَلْبِيْ مَوَدَّتُكــمْ؟! ** وفـي كِيـانيْ، وفي سِـرِّيْ، وإِعْلاني
لكـنْ مِنَ الحَزْمِ أَنْ نَرْضَى بِوَاقِعِنَا ** إِنَّا قَرِيْبَانِ لكِنَّـا غَرِيْبَــــان!

ولأنها أفحمته وأعجزته فخارت قواه، وألجم بيانه، هنا يأتي دور الشاعر في الرد على عتاب محبوبته، يلتمس العذر منها، وبعين باكية وقلب حزين، يسرد لها معاناته، ويعرض لها قصته مع البعد الذي أضناه، ويظهر لنا في النص الاعتزاز بالذات، من خلال سرد الشاعر لبعض الصفات التي تدل على صبره ووفائه لأحبابه. ومع عدم اقتناعها بعذره، تلتمس له العذر، وتغفر له، فلديها من حبها له رصيد كبير يمكنها من مسامحته، ومن تحمُّل هجرانه، ولا بأس من معاودة الاستعطاف، والإلحاح في الرجاء من قبلها، لعله يرق وينثني:[1]

تَبَسَّمَتْ بَسْمَة خَجْلَى مُـؤَدَّبَـةً ** تَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ في عِقْــدِ مَرْجَــانِ
وجَاذَبَتْنِي وقالــتْ ليْ مُعَبِّــرَةً ** عَنْ حَرِّ لَوْعَتِها: الهَجْــرُ أَضْنَاني
والوَجْدُ أَنْحَلَنِي، والشُّوْقُ أَسْهَرَنِي، ** والبُعْدُ أَهْزَلَنِـيْ، والبَيْــنُ أَفْنَانـي
يا مُنيَةَ الرُّوْحِ، ياحُبِي، ويا أَمَلِيْ، ** يابَلْسَمًالِجرَاحِيْ،هَلْ سَتَنْسَانـــي؟
عَسَى لِقَــاءً بُعَيْدَ النَّأْيِ يُسْعِدُنـا ** نَجْنيْ ثِمَارَ الهَوَى مِنْ غُصِنْهِ الدَّاني!
ونَشْرَبُ المَاءَ رَقْرَاقًا فَيُنْعِشُنــا ** تَبَادُلُ الكَأْسِ يَشْفِيْ عِلَّــةَ العَانـي!
هذي الحِكايَةُ أَرْوِيْها كَمَا حَدَثَــتْ ** لَيْسَتْ خَيَالاً، ولا وَسْوَاسَ شَيْطَانِ

والحوار لا زال قائما، والمحبوبة لم تستسلم، وما زلت تعاتب؛ فتسرد له معاناتها ولوعتها من جهة، ومن وجهة أخرى عتابها وأملها بلقاء، ولو كان بعيدا، فتظهر المحبوبة بشخصيتها العنيدة، والمحبوب بشخصيته اليائسة من كل الظروف التي حالت بينهما.

١- نفسه ص:٢٥٦.

وشاعرنا الفيفي مع قربه مفارق، ومع بعده مفارق، لا يملك إلا الشكوى، ومناجاة الحبيب القريب البعيد، فالمناجاة سلوته، بها يقضي وقته، ويمضي ساعاته:[1]

يا حبيبَ القَلْبِ، يا وقتي، ويا يَوْمِي وأَمْسِي
يا أهازيجَ غِناءٍ مُمْتعٍ في يَوْمِ عُرْسِ
أنتِ يَنْبُوْعُ حَيَاتي أنتِ ظَلِّيْ ثُمَّ شَمْسِيْ
صَافحينيْ أتمنَّى مِنْكِ أَنْ أحظَى بلَمْسِ
ذَلِّلي نَفْسَكِ للحُبِّ ولا تَكْسِريْ نَفْسِي[2]
اطْرُديْ عَنِّي شَقَائيْ. اطْرُديْ حُزنيْ وتَعْسِي
فأنا مجنونُ لَيْلَى وأنا عَنْتَرُ عَبْسِ

فهنا تخفت العاطفة، ويجئ الغزل خاليا من صدق شعور، عشناه مع الشاعر العاشق، وهنا نجد الشاعر حاضرا ويتوارى العاشق؛ فهو ينادي محبوبته، ويطلب منها الوصال، والمصافحة، ويستحضر في هذا المقام شخصيات العشق التاريخية مثل: عنترة ومجنون ليلى، مسترقًا قلبها، ونلحظ إمعان الشاعر في مناداته لمحبوبته المتأبية الممانعة؛ فنوع لها الصفات، وأمطرها بالنعوت الجميلة، علها ترق، فتهبه وصالًا، يروي ظمأه، ويشفي غليله.

ولأن الفراق قرار اتخذه الشاعر، وأبلغه لمحبوبته، ودار حوار ماتع لنا كمتلقين، حزين مؤلم بينهما، فها هو وقت الفراق أزف، وحان الرحيل :[3]

دَقَّتِ الساعةُ فَجْرًا أَعْلَنَتْ وَقْتَ الفِراقِ
في صباحٍ غائمٍ يُنْذِرُني بُعْدَ التَّلاقِ
كانَ لابدَّ لنا مِنْ وَضْعِ حَدٍّ للشِّقَاقِ

١- مرافئ الحب ص:١٧٦-١٧٧.

٢- حدث هنا زحاف الخبن، وهو حذف الثاني الساكن في تفعيلات البيت الثلاث (فاعلاتن)، وهو مستحسن.

٣- نفسه ص:١٧٨-١٧٩.

فَقَـهَرْتُ النَّـفْسَ خَـوْفًا مِنْ صَعَالِيْكِ النِّفَـــاقِ
رافِعًـا رأسـيْ عَزِيْزَ النَّفْـسِ مَشْـدُوْدَ النِّطـاقِ
حابِـسًا دَمْعَـةَ حُـزْنٍ جَمَـدَتْ بَيْـنَ المـــآقي
حامِــلاً قلبـيْ علـى كَفَّـيْ وهَمَّــيْ واشتيـاقي»

فالوداع، والافتراق، وتحديد المصير يؤطرها الكبرياء، وينسج حضورها عزة نفس، وإباء رجل أخّر - في ظني - فعلى الرغم من تمسكه الشديد بالحب، فإنه قهر نفسه، وحبس دموعه، وحمل قلبه على كفه حفظا للكرامة، وعزة النفس، خوفا من صعاليك النفاق، وصناع الوشاية.

ويعود ويفتق من الوداع صورة أخرى، حيث تحلو أحاديث الوداع، وتبدو عذبة النكهة، وهذا مدعاة لأن يتحسر الشاعر، ويذرف الدموع؛ ليقينه بالرحيل:[١]

آهِ ما أَحْلَـى أحاديـثَ الهَــوَى عِنْــدَ الــوَداعِ
كلمــاتُ الوَعْــدِ بالإخــلاصِ تُنْسِيْنــي مَتاعــي
كُلَّمــا أَزْمَعْــتُ نأيًـا خِلْتُنــي غَيْــرَ مُطـــاعِ
سابِــحٌ فـي غَمَـراتِ الحُـبِّ مَنْصُـوْبٌ شِراعــي
أَمــزُجُ الـدَّمْعَـاتِ مِنْ عَيْنـي بِحْبِر مِنْ يَراعـي
أَنْفِــثُ الآهــاتِ مِـنْ قَلْـب جَرِيْـح مُتَـــــداعِ
فـاذكريْ حُبِّـي ولا تَنْسَـيْ غَرامـيْ والتِيـــاعي
وامْلَئِـيْ الدُّنيـا دُعــاءً لـيْ فأنتِ خَيْــــرُ داعِ»

فعند الوداع يظهر الصراع الداخلي لدى الشاعر، بين التفاؤل والتشاؤم، فهو تارة يستطيب أحاديث الهوى عند الوداع، ولاسيما إذا كانت تحمل الوعد بالوفاء والإخلاص في الحب بين المتحابين، حيث يذهب الحبيب المسافر، وهو يحمل في قلبه تفاؤلاً، وأملاً بالعودة لمحبوبه، وتجدد اللقاء، ولكن سرعان ما يعود الشاعر إلى عقله، ويثوب إلى رشده، ويغمره الأسى؛ فالفراق ذاته، وفي

١- مرافئ الحب: ١٧٩-١٨٠.

النأي لوعة.[1]

وأخيـــرًا تَرَكْتَنِـــيْ لنَشِـيْجِـيْ والنَّــحِيْـــبْ
لِلِقـــاءِ لســـتُ أدريْ أبَعْيـــدٌ أم قَرِيْـــبْ؟
وغُـــرابُ البَيْـــنِ مُخْتـــالٌ يُبَاهـيْ بالنَّعِيْـــبْ
لا تَـدَعْنِـيْ فــي خِضَـمِّ البُـؤْسِ عَنِـيْ لا تَغِيْـبْ[2]
سَوْفَ لا تَتْرُكُنْي «لا» إِنَّ ظَنِّي لا يَخِيْبْ»

وهنا يأتي دور المحبوبة في بكاء الفراق، وترك المحبوب لها، للقاء لا تدري متى سيكون؟!، أهو قريب أم بعيد؟!، وعلى الرغم من معاناته فإنه يثق بظنه، الذي لا يخيب بلقاء آخر يجمعهما، ويستحضر كلمات ذات دلالة على الفراق) النشيج، والبين)

ومع هذا الشد والجذب، يبرز شاعرنا مذهبه في الحب، أو لنقل يلخص تجاربه مع النساء، وهنا يلقي بظلاله السوداوية، التي استشعرناها من قبل :[3]

هـامَ قَلْبِـيْ وتَمَـادَى فـي العُيُـوْنِ النَّاعسَـاتِ
وأنـا مِـنْ صِـغَـرِيْ المَنْظُـوْمُ في سِلْكِ الهُـواةِ
كُنْـتُ أَحْيَـا بالأَمَـاني فـي سَـرابٍ مِـنْ حَياتي
كرِمَـالِ البِيْـدِ عَطْشَـى مَعْ صَبِيْـبِ السَّاريَاتِ
ناسِجٌ مِـنْ مَـوْكَـبِ الأَحْـلامِ أَحْـلَى ذِكْرَياتِي
عــائمٌ فـي لُجَّـة هـدَّارة والمُــوْجُ عَـــاتِ
أَرْكَـبُ الأَخْطَـارَ مَـزْهُوًّا بِعَزْمِـيْ وثَبَاتـــي

١- مرافئ الحب ص:١٨١-١٨٢.

٢- الصواب لا تغب، ويمكن القول بجوازها هنا للضرورة على سبيل إشباع لكسرة الغين فتولد عن ذلك ياء، فقد كان يمكن أن يكون البيت: «لا تدعني في خضمِّ البؤس عنِّي لا يغيب لتكون لا نافية لا ناهية. كما أشار المحقق.

٣- مرافئ الحب ص:١٨٢_١٨٤.

سَــوْفَ أَحْيَا إِنْ يَشَاءُ اللهُ[1] أَحْيَـا يا فَتَاتِـي
سَـوَفَ أَحْيَـا لأَرَى نَفْسِيْ وتَكْوِيْنِيْ وذاتـي

فشكوى البعد عن المحبوبة، و ركوب كل الأخطار في سبيل الوصول والعودة إليها، وتجدد اللقاء بينهما، هو ما يجدد شاعرنا بثه في غزلياته، ربما ليبرئ نفسه ويعتذر عن إتمام مشروعه الوجداني كشاعر عاشق، ولذا هو يستحضر عدة ألفاظ دالة على شدة المخاطر التي حاصرته في حبه:(كرمال البيد، أركب الأخطار مزهوا، عائم في لجة هدارة)، ويعد بألا يستسلم، وبالعودة للقاء جديد، وهنا نجد إرادة الحياة، وقوة الإرادة، منبعها الحب الصادق الطاهر، الذي ينشده الشاعر، وبه يتغنى، وله يحيا، ومنه يطلق أنينه وزئيره، في مواجهة التحديات، والمضي قدما نحو غاياته ومبتغاه.

وظل الشاعر محبًا وفيًّا لحبٍّ عاشه من طرف واحد، والغزل لديه متذبذب بين الرومانسية والتقليدية، لأنه وإن أحبَّ لم يعن نفسه بمعالجة أحوال الحبيب، وما رأى إلا صدودا وهجرا عاش الحب، ولم يتعمق فيه، بل مرَّ في حياته مرورا عابرا، حكاه كما حكى أسلافه.

* وصف الطبيعة

حضرت الطبيعة لدى الفيفي بكل مكوناتها وعناصرها (المكان ، والزمان، وعناصر الطبيعة الساكنة والمتحركة، و الإنسان).

والشاعر الفيفي ليس متعلقًا بطبيعة بلاده فحسب، بل كانت تلك الطبيعة هي الملاذ والملجأ للهروب إليها مما عانى وقاسى من ظروف الحياة، ووصف الطبيعة لدى شاعرنا كغيره من الشعراء الذين وصفوا الطبيعة وتبنوها في أشعارهم، "ونعني به الشعر الذي موضوعه عالم الطبيعة؛ فالطبيعة صالحة كل الصلاحية لأن تكون موضوعًا للشعر، وبعض الشعراء قد بنوا شهرتهم على تفنن في شعر الطبيعة،

١- كذا، والصواب «إن يشأ»، ولكن الوزن ينكسر. وكان يمكن أن يقول «ما يشاء الله أحيا»، «إن أراد الله أحيا» كما أشار المحقق.

كالصنوبري، وبعض شعر البحتري، وبعض شعراء الأندلس"[1].

وشاعرنا في وصفه أكثر من ذكر بلدته ومسقط رأسه (فيفا)، ومن ذكر (عرعر)، البلدة التي قضى فيها سنين من عمره معلما وفردا عاملا، احتواه أهلوها، واندمج في ذرات رمالها، حيث تجلت البلدتان(فيفا) و(عرعر) في مجموعة من أشعاره منها قوله:

«لمرتع الأُنسِ فَيفَا-حسن فيفا-ذوبتني أنسام فيفا-فيفاء ما أحلى ذراك- فيفا وانطلقت بي الأشواق-إلى فيفا يحضنها سحاب، عَرْعَرُ البيداءِ-عَرْعَرَ الجَرْدَاءُ» [2].

ويطلق عليهما تارة (بلادا)،وتارة (أرضا)، وتارة (وطنا):

« يا أَرْضًا تَفِيْضُ جَدَاوِلاً-بلادٌ حَبَاها اللَّهُ بالْوَفْرِ والغِنَى- يَزْدَادُ فِيْكِ الحُسْنُ حُسْنًا يابِلاديْ سَرْمَدِيًّا- لأَرْضِ الحُبِّ تَدْفُعُهُ الحُقُوْقُ ـ شُغِفْتُ بالمَنْظَرِ الخَلَّابِ في وَطَنِيْ ـ ولستُ أَرْضَى بِلاداً غَيْرَ أَوْطَانِيْ »[3]

وذكر شاعرنا أسماء أماكن أخرى عديدة في (فيفا) و(عرعر):

(الخشعة، وادي الفاحم، الحقل، الروض، الرعن، خيران، أمواج الغبر)[4]

وإلى المكان حضر الزمان لدى الشاعر، كمحتو لهما، ومجددا أو محفزا لذات الشاعر المتقلبة، وحاله غير المستقر، فحال الشاعر وزمانه متقلبان كتقلب الفصول الأربعة، وتعاقب الليل والنهار، والشروق والغروب؛ فذكر في شعره بشكل لافت: الربيع، الصيف، الخريف، الشتاء، الشروق، الصباح، المساء، الليل، الدجى، النهار[5]

١- أمين، أحمد، النقد الأدبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧١هـ ـ١٩٥٢م، القاهرة، الجزء:١، ص:٨٥.

٢- انظر مرافئ الحب ص:١٢٠-١٢٤-٢٢٣-٢٢٤-١٣٨-١١٢-١١٤.

٣- انظر المصدر نفسه ص:٦٨-٢٢٧-١٣٨-٢٥٠.

٤- انظر مرافئ الحب ص:٥٦-٩٦-١١١-١٢٠-١٢٢-١٤٩-١٥٣-٢٢٤-٢٥٠-٢٥١

٥- انظر المصدر نفسه ص:٥٦-٧٢-١٠٨-١١٠-١١١-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٩٤-١٩٥

وبرزت عناصر الطبيعة الساكنة: (الأشجار، والأزهار، والأعشاب، والبساتين، والصخور، والأغصان، والروض، والوديان، والجبال)، والمتحركة: (الشمس والأمطار والسيل وجريان الماء والجداول والأطيار، والرعود، والسحاب) في كثير من الأبيات.[1]

وحضر الإنسان (ابن الأرض) في العديد من الأبيات لدى الشاعر، ومنها قوله: (كَمْ في وَجُوْهِ النَّاسِ يَبْدُوْ الحُسْنُ حُسْنًا مَذْحِجِيًّا -حلتْ مِنْ سُمُوْطِ العاشقينَ قلائداً- دِيْرةٌ طَابَتْ لِقَاطِنِها)[2].

أَقُوْلُ وقَدْ ثَرَّ الثَّرَاءُ وأَغْدَقَ السَّحابُ ** بِوَبْلٍ دَائِمِ الوَدْقِ جَائِدِ
لكِ اللهُ يا أَرْضًا تَفِيْضُ جَدَاوِلاً ** مِنَ الخَيْرِ تُزْجِيْهِ جميعُ الرَّوافِدِ
بلادٌ حَبَاها اللهُ بالْوَفْرِ والغِنَى ** يَعُمُّ الفَيافي منْ طَرِيْفٍ وتالِدِ
حبَاها بهِ ذو المَنِّ والجُوْدِ والثَّنا ** فجادتْ بِمَوْفُوْرٍ مِنَ العَيْشِ راغِدِ
وكَانَتْ يَبَابًا قَفْرَةً مُكْفهِرَّةً ** تُذِيْبُ البَوَادِيْ في جَحِيْمِ الفدافِدِ

ولأنه ابن الأرض، ويجمعهما رباط مقدس، فقد احتلت في أشعاره حضورا قويا، وبمعالجة متميزة، وها هو يصف الأرض بعد أن جاد عليها الله سبحانه وتعالى، وأعطاها من فضله، فقد أغدق السحاب، وسقاها المطر، وخلف ذلك الغيث خيرًا وافرًا، من خضرة، وجداول تفيض بالماء العذب الزلال، وعمَّ هذا الخير الجبال الخضراء، والوديان والروابي والسهول، فقد اكتست الأرض بالثوب الأخضر، بعد أن كانت جرداء قاحلة، فيبرز لنا من هذا المشهد صورتان: صورة الأرض المكفهرة الجرداء قبل أن تسقى بالمطر، وصورتها بعد أن جاد عليها الخالق، واكتست بثوب الجمال والبهاء، الذي عم كل الوديان الجارية والروابي والسهول الخضراء والجبال الشماء، واستخدم ألفاظًا معبرة، وذات

١- انظر المصدر نفسه، ص: ١٠٢-١٠٣-١١١-١٣١-١٣٨-١٣٩-١٦٣-١٦٤-٢٢٣-٢٢٧-٢٥٠.

٢- انظر المصدر نفسه ص:٥٦-١١٢-١٦٤-٢٢٧

٣- نفسه ص:٦٨.

دلالة على الصورتين كـ(مكفهرة-أغدق-تفيض-الوفر-الغنى).

وما مشهد يستثير كوامن الشعر ويحفز الشاعر للقول، كمشهد المطر، وما يستتبعه من نماء وخضرة، وما يحركه في الناس ويبثه من فرح:[1]

وَشْوَشَاتُ الزَّرْعِ في بَلْدِيْ ** وصَدىَ الأَمْطَارِ والبَرِدِ

واخْضِرَارُ الأَرْضِ مُزْهِرَةً ** في رَبِيْعِ الخصْبِ والرَّغَدِ

ورذاذُ الطَّلِّ مُنْعَقِدًا ** في صَبَاحٍ مُفْعَمٍ بدَدِ

وحَفِيْفُ الرَّوْضِ أُغْنِيَةٌ ** فَذَّةٌ مِنْ عَزْفِ مُنْفَرِدِ

وشُرُوقُ الشَّمْسِ حَالِمَةً ** في صَبَاحٍ نَامَ في الصَّرَدِ

فتظهر لنا في هذه الأبيات صورة الزرع والبرد والأرض المخضرة المزهرة، في فصل الربيع، ورذاذ المطر المنعقد في الصباح الملبد بالغيوم، ونسيم الغادية، وتغريد العصافير، وصوت الرعد، وضجيج السيل في المساء، ونجده في الأبيات لم يسم المكان الذي يصفه، ولكن يتضح لنا أنها فيفا بوديانها وثوبها الأخضر، الذي يكسو روابيها، وجبالها الشامخة تناطح السماء، مستحضرا عناصر الطبيعة؛ فالأمطار والبرد يتساقطان، والشمس تشرق، وترسل خيوطها الذهبية تداعب الأرض؛ فكأن هذه العناصر قد اجتمعت تعزف أجمل الألحان احتفاءً بالربيع الخصب، وقد غطى الأرض بجماله، وبالخير الذي عم كل الأرجاء.

ولكنه يصرح في نص آخر يسيل عذوبة باسم معشوقته، وحضنه الأول (فيفا)، معيدا رسم صورة الطبيعة، وقد جادها الغيث:[2]

مَنْ رَسُوْلِيْ لمَرْتَعِ الأُنْسِ فَيْفَا؟ ** للذُّرَى، للسُّهُوْلِ، قَفْرًا، ورِيْفا

للمسَارَاتِ للسُّرَى للَّيالِيْ ** للثَّرَى يَنْثُرُ التَّلِيْدَ الطَّرِيْفا

للشَّذا للنَّدَى لطُهْرِ العَذَارَى ** للعصافيرِ حِيْنَ تَمْرِيْ الغَرِيْفا

للصَّباحِ البَلِيْلِ فيِ يَوْمِ طَلٍّ للمَسَاءِ ** العَلِيْلِ يَمْشِي دَفِيْفا

١- مرافئ الحب ص:٧٢.

٢- نفسه ص:١٢٠.

حيث ألهبت قسوة الغربة شاعرنا، فاستذكر مرابع الصبا والشباب وملتقى الغيد والأتراب، فأخذ يبعث بالسلام لأرض الجمال والجلال (فيفا)، سلام يملؤه الحب والوفاء والانتماء، والشوق لكل ذرة فيها، للسهول للجبال للوديان للجمال، تلك فيفا كأنها ثوب مطرز، فاق كل معاني البهاء، أشبه بعروس في ليلة زفافها، وبعده عنها كاد أن ينسيه مدارجه التي درج فيها أيام طفولته وشبابه، ويظهر لنا في هذا المشهد حضور الزمان عنصرا رئيسا متمما للصورة: (الليالي، المساء ، الصباح)، وحضور المكان عنصرا رئيسا، ومتمما للوحة الجميلة التي رسمها الشاعر: (مرتع الأنس، قفرا، ريفا)، مستخدما أسلوب الاستفهام، واستخدامه لعبارة (من رسولي؟) دلالة على عجزه عن الوصول، واستعجاله بسماع أخبار دياره وأحبابه، ودلالة -بلا شك- على قسوة الغربة، ومرارتها إلى جانب ما أصابه من علل، جعلته بعيدا عن دياره، فتكالبت عليه الهموم من غربة ومرض، جعلت منه شخصية لم تعد تقوى على مقاومة الشوق والحنين لمحبوبته (فيفاء).

وحضر الليل عنصرا زمانيا، وأحد مشاهد الطبيعة في شعر الفيفي، وامتزج به إلى حد التوحد:[1]

فِي الدُّجَى والسُّكُوْنِ والكَوْنُ غافٍ ** والـرُّؤَى تَحْـفِزُ الخَيَـالَ الجَفِيْفـا

والمصـابيـحُ فـي رُفـوْفِ الزَّوايـا ** تَـرْقُـبُ الرِّيْحَ والظَّـلامَ العَنِيْفـا

فالليل من ملهمات الشاعر، وكان له الأثر في نفسه، سكون الليل، وهدوؤه، فحسن فيفا أشبه بالطوق الذي طوق قلب الشاعر، وهيمن على فكره وعقله، ونجد الليل محور الحديث لدى الشاعر في كثير من أشعاره؛ فالليل هو الوقت الذي يتذكر فيه الإنسان الأوجاع والآلام، والشاعر كغيره من الشعراء عبر عنه في أشعاره؛ لأنه يتناسب مع حالته المتألمة المكلومة، والشاعر هنا يُعد الليل بمثابة الصديق؛ وذلك يتلاءم مع حالة الشاعر الباكية الشاكية، وهذا يذكرنا بالشعراء

١- مرافئ الحب ص:١٢٣.

القدامى على العصور في استحضارهم لليل في أشعارهم، أمثال امرئ القيس عندما قال:[1]

«ألا أَيُّهَا اللَّيْـلُ الطَّوِيْـلُ ألا انْجَلِـي ** بِصُبْـحٍ، وما الإصْبَـاحُ مِنْكَ بِأَمْثَـلِ»

والمتنبي عندما قال:[2]

«وزَائِـرَتـي كَـأَنَّ بِها حَـيـاءً ** فَلَيـسَ تَـزورُ إلّا فـي الظَـلامِ»

وفي السحر، ومع هبوب أنفاسه تشرئب ذات الشاعر إلى تسجيل هذا المشهد الأخاذ؛ فتنداح أساريره، وتستلقي في قوافيه مشاعره:[3]

ذَوَّبَتْنِـي أَنْسَـامُ فَيْـفا سُحِيْـرًا ** مِثْلَـمَا ذَوَّبَ الخُشُـوْعُ الحَـنِيْـفا
والصَّـبَـاحُ الكَسُـوْلُ يَمْشِـيْ وَئِيْداً ** مِثْـلَ مَـنْ فـي القُيُـوْدِ يَمْشِيْ رَسِيْفا
والنَّـدَى ذَابَ فـي خُدُوْدِ الخُزَامَى ** واسْتَفَـاقَـتْ حَـوَّاءُ تُرْخِيْ النَّصِيْفا
تَخْجَـلُ الشَّمْسُ إنْ تَبَـدَّتْ صَبَـاحًا ** مِـنْ شُرُوْقِ الخُدوْدِ مِـنْ كُلِّ هَيْفا

ففي هذه الأبيات يصف أنسام فيفا، التي تذوب المُحِبَّ كما يذوِّبُ الخشوعُ العابد، تهتز زهور الروابي، وتتحرك الأغصان برفق ولطف، وتبدو الشمس خجولاً من النور، الذي يبدو أثره في خدود الصبايا الحسناوات، ولأجل أن ندرك عذوبة الطرح الذي يُشعر نفس المتلقي بالرقة والانسجام، يكفي أن نقف على استخدامه للألفاظ ذات الدلالة الموحية:(أنسام- سحيرا- الندى-ذاب - رسيفا- ترخي النصيفا - تخجل - هيفا)على الرغم من مباشرة التعبير، وأن يجعل تقاطعا بين الطبيعة ممثلة في بواكير الصباح، والمرأة ممثلة في خدود الحسناوات حين تلثمها خيوط الشمس، فالمرأة حاضرة لدى شاعرنا، حيث جعل لها نصيبًا

١- ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة ط/ ٤،ص:١٨

٢- ديوانه، تحقيق: د/ مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ،ط١٤١٨،١هـ/ ١٩٩٨م ص:٣٥٤

٣- مرافئ الحب ص:١٢٤-١٢٥.

من الوصف، فهي جزء لا يتجزأ من ذلك الجمال، عندما استخدم كلمات (الخدود-حواء-هيفا).

وتُلهب (فيفا) قريحة شاعرنا، وهو في غربته يكابد، ويعاني فكأنه ما بارحها، ولا خرج عنها، فهي في قلبه، وفي حناياه حاضرة، بين عينيه ماثلة:[1]

تَـوهَّجَ مِنْ صَفَـاءِ الـرُّوْح حُـبٌّ ** لأَرْضِ الحُـبِّ تَـدْفُعُهُ الحُقُـوْقُ
إلى حَيْثُ الجَمَالُ حَثَثتُ رَكْبِيْ ** فقُوْلُـوا: للجَمَـالِ أَتَـى العَشِيْقُ
إلى حَسْنَاءَ مَنْظَـرُهَا بَـدِيْـعٌ ** وبـاصِرَتِيْ لنَضْرَتِـهَا تَتُـوْقُ
إلى(فَيْفَاءَ) يَحْضُنُـهَا سَحَـابٌ ** تَصَـارَعُ فـي جَـوَانِبِهِ البُـرُوْقُ
حَبَابُ الطَـلِّ يَجْمُـدُ فـي رُبَاهَـا ** على الأَعْشَـابِ يَسْكُبُـهُ الشُّرُوْقُ
إلى الأَطْيَـارِ في الأَفْنَانِ نَشْوَى ** مِنَ الأَزْهَـارِ أَسْكَرَها الـرَّحِيْـقُ
إلى الأَغْصَـانِ يُرْقِصُـها نَسِيْـمٌ ** عَلِيْـلٌ ضَمَّـهُ الشَّجَرُ الـوَرِيْـقُ

فحبه لفيفا حق مفروض عليه كما يرى، فهي أرض آبائه وأجداده، وهو مدين لها لأنه درج فوق أرضها، وتنسم هواءها، ونطق أول حرف وكتبه فوق ترابها، وهنا يصف نفسه بالعاشق الولهان لكل ما فيها، مبرزا طبيعتها الفاتنة، ومتغنيا بعناصرها المتنوعة، المتمثلة في السحاب، والبروق، وحبات الطل والأغصان والنسيم والشجر المورق، فالسحاب يحتضن فيفا في حب وود، والأطيار ترقص في فرح وبهجة، والنسيم يُرَقِّصُ الأغصان، لكنه عليل قد ضمه الشجر الوريق، وكأن كل هذه العناصر اجتمعت في احتفاء بذلك القادم العاشق لفيفاء، وذلك يعكس روح الشاعر المتلهفة والمتفائلة بالعودة من جديد للديار والأحباب.

و(عرعر) هي البلدة الثانية التي استأثرت بقلب شاعرنا الفيفي؛ فدبج فيها أشعارا رائقة ممتعة، وأبرز طبيعتها وتغنى بها إنسانا وبيئة :[2]

١- نفسه ص:١٣٨-١٣٩.

٢- مرافئ الحب ص:٥٦.

وعَرْعَرُ في البيداءِ غَرَّاءُ حُرَّةٌ ** تَشُقُّ المَدَى بالعَزْمِ في المَرْكَبِ الصَّعْبِّ
تُشَمِّرُ مِنْ مِضْمارِها يَعْرُبِيَّةً ** مُحَجَّلةً مَوَّارةً فَذَّةَ الوَثْبِ
بَنَتْ مِنْ حُبَيْبَاتِ الرَّمالِ مآثِراً ** على صَدْرِها تَخْتالُ راسِخَةَ الكَعْبِ
حلتْ مِنْ سُمُوْطِ العاشقينَ قلائداً ** على جيدِها تَسْبِيْ اللَّبيبَ وقد تُصْبي
وفي شَمْسِها ظِلٌّ وفي بَرْدِها دَفًا ** وفي روضِها الأنسامُ تُغْني عَن الطِّبِّ

فكما حازت فيفا جل اهتمام وحُبَّ شاعرنا، لكونها مرتع صباه، ومسقط رأسه، كان لعرعر التي احتوته شاعرًا ومربيًا ومفكرًا حضور في شعره، فخلدها في عدد من قصائده، فها هو يصف عرعر، وهي تشق الطريق الصعب نحو التطور والمدنية، بكل قوة وعزم، ويصف الرمال الذهبية، وهي تطوقها أشبه بالقلادة الذهبية، التي تزين عنق الفتاة الحسناء، وفي روضها وشمسها دواء من كل مرض وعلة، وهي مهوى كل العاشقين الذين يأتون إليها حبًا وولعًا من كل الأقطار، ونراه يستخدم ألفاظا تدل على طبيعتها القوية الصلبة: (صحراء، الرمال، البيداء).

وهنا يبين سبب حبه لها، وقد احتفت به وآوته، فوجد فيها ملاذا وموئلا، فتعلق بها أرضا وإنسانا:[1]

ويَسْألْني قوميْ لماذا عشقتَها ** فقلتُ: لها سِرٌّ مع المُذْنَفِ الصَّبِّ
فقالوا: وهل فيها مِنَ الحُسْنِ مَطْمَعٌ ** فقلتُ: أَرَى فيها سَنَا الشَّرْقِ والغَرْبِ
على خَدِّها قُبْلاتُ عِشْق سَكَبْتُها ** وكَحّلْتُ مِنْ ذَرَّاتِها طُرَّةَ الهُدْبِ

فهنا يُبرز الشاعر أسلوب حوارٍ بينه وبين قومه، حين سألوه عن سر حبه لعرعر، وهل فيها من الجمال والحسن ما يوجب عليه ذلك؟! فيجيب: فيها كل معاني السنا والحسن، ما يجعله يتعلق بها، ويعشق رمالها الذهبية، ورياضها

١ – نفسه ص:٥٦.

الغناء، فهي كالفتاة الجميلة المكحولة العينين، طرية الأهداب، وهذا يعكس نظرة الشاعر المحبة للجمال، وإظهار الشيء بكل حسن وبهاء للمتلقي، فيشرك القارئ معه ، وكأن العين تشاهد ذلك الحسن الذي رسمه الشاعر، فحبه لها مقدر تقدير.

ومع هذا فلا تخلو عرعر من مسحة جمال وروعة حين يغدقها المطر :[1]

وإنْ غِبْتُ عَنْها ضَجَّ بيْ الشُّوقُ والهَوَى ** إذا كُنْتُ مدفوعًا إليهـا فما ذَنْبِي ؟!
ورَبِّـكَ إنْ جـادَالـرَّبِيْـعُ تَـزَيَنَـتْ ** بـأزهارِهـا العـذراءِ فَتَّانَــةً تَسْبِي
وليـس بعيـداًأنْ تَكُـوْنَ رِحَـابُـها ** ظِـلالاًونَلْهُـوْ فـي حدائقِهـا الغُلْبِ

فهو هنا يبرز لنا الشوق والحنين الذي يعتصر قلبه عند غيابه عن عرعر، ويظهر صورتها في فصل الربيع، وقد اكتست بالجمال، وتزينت بالأزهار، وأصبحت أرجاؤها ظلالا، وحدائقها ذات بهجة تبهج الناظرين، وهذا يعكس روح الشاعر المتعلقة بالديار التي آوته واحتضنته، والمفتونة بالحسن والجمال.

ونراه يعرض لعرعر صورتين في هذا النص:[2]

كانـتْ ابياتًـا مِـنَ الشَّعَـرِ ** تحـتَ أَمْـوَاجِ مـنَ الغَبَــرِ
فَــوْقَ سَطْـح القَفْـرِ نائمةً ** فَـوْقَ صَـدْرِ الرَّمْـلِ والكَدَرِ
في تُخُـوْمِ الأرضِ جاثِمَةً ** في عُبُـوْسِ اللَّيْـلِ والضَّجَرِ
في لَهِيْـبِ الصَّيْـفِ-مُتَّقـدًا ** تَنْفُـثُ الأرواحَ مِـنْ سَقَـرِ
والجَمَـادِ القـرِّ - مُنْعقِـدًا ** زَمْهَـرِيْرٌ بالـغُ الأثَـرِ
دِيْـرةٌ طَـابَتْ لِقَاطِـنِها ** مِـنْ بَنِـيْ قَحْطَّـانَ أوْ مَضُرِ
أَظْهَـرَ الـوَادِيْ مَفَـاتِنَـهُ ** تَــاهَ بالإسْكَـانِ والجُسُـرِ
والـرِّمَـالُ الحُمْـرُ أبْدَلَها ** جَنَّـةً للبَـدْوِ والحَضَـرِ
عَـرْعَرُ الجَـرْدَاءُ قَـدْ لَبِسَـتْ ** مِنْ بَدِيْـعِ الخَـزِّ والوَبَرِ»

١- مرافئ الحب ص:٥٦.

٢- نفسه ص:١١١_١١٤.

فقد وضع لها صورة سلبية، قبل أن تمتد لها يد الرعاية والتنمية؛ فوصف عرعر قديما بصحرائها المجدبة، ورمالها الذهبية، وقسوة ليلها وضجره، وعبوسه، ولهيب صيفها، إلا أنها مع ذلك قد طابت لزوارها من كل الأقطار والقبائل، والصورة الأخرى ايجابية، تظهرها بكل معاني الحسن والجمال؛ فقد أصبحت مزدحمة بالمساكن، ونشطت فيها حركة التنمية، وهي تكتسي بالخز والوبر، بعد أن جادها ؛ الغيث، فبعد أن امتدت إليها يد التطور والحضارة؛ أصبحت قلب الشمال النابض.

وما ذلك إلا دلالة على روح متعلقة بالطبيعة، ترى فيها الملاذ والمهرب، والجمال والدواء، حيث أجاد الشاعر في وصفه للطبيعة، ووفق في ذلك، مستخدما ألفاظًا ذات دلالة تعبر عن الموصوف، وتتناسب معه، فيميل في وصف فيفاء في عمومه إلى الرقة والعذوبة؛ لأن ذلك يتلاءم مع وصف المطر، والروض، والندى، والشمس، والزرع، والزهر، والأغصان، ويميل إلى الخشونة والقسوة النسبيين في وصفه لعرعر؛ وذلك يتناسب مع وصف الرمال، والصحراء ولهيب الصيف، وما ذلك الوصف إلا حكاية للمتلقي عن قصة معاناة طويلة، طالما عانى منها شاعرنا، وحاول إيصالها إلينا عبر كلماته.

* اللجوء إلى الله، وظهور شخصية الشاعر المتدينة:

أمام ما عاناه شاعرنا من يتم، وشظف عيش، وترحل، وانكسار، ومرض، برزت في شعره نغمة حزن، وألم، ورضا، وتسليم؛ فلجأ إلى الله الباري اللطيف، واستعاذ به: [1]

وقَدْ أَخَذْتُ مِنَ الدُّنْيا بهارِجَها ** وغَرَّنيْ مِثْلَ غَيْرِيْ كَثْرَةُ الزَّبَدِ
فـي كُلِّ جارحَةٍ ذَنْبٌ يُؤَرِّقُنِي ** رَبَّاهُ، لمْ أَسْتَقِمْ، وامْتَدَّ بيْ أَوَدِيْ

فيمتلك شاعرنا روحًا شفافة مؤمنة بالله، يعتريها كل ما يعتري الإنسان، فاغتر الشاعر في بداياته كغيره من البشر بالدنيا، وزينتها، ومفاتنها؛ فهناك من

١- مرافئ الحب، ص:٧٧.

الذنوب والخطايا ما يؤرقه، ويجافي مضجعه، ولكنه متفائل برحمة الله، وغفرانه، فالشاعر هنا يعبر عن إحساسه بالخطيئة، وشعوره بالذنب والندم.

وها هو يرجو العفو من ربه العفو الغفور:[1]

يـا رَبِّ لَـوْ عُـدَّ ذَنْبِـيْ كالمُحِيْـطِ لَما ** رَدَدْتَنْي خائبًا غَرْقَـانَ فـي العَـدَدِ

يـا مُنْقِـذِيْ مـنْ لَهِيْـبِ النَّارِ يـا أَمَلي ** يا خالِقِيْ صُبَّ نُوْرَ العَفْوِ في خَلَدِيْ

يـا سَعْـدَ مَـنْ نِعْمَـةُ الإِسلام تَغْمُـرُهُ ** وَمَنْ خَلا قَلْبُهُ مِـنْ وَصْمَـةِ الحَسَـدِ

يـا قابلَ التَّـوْبِ آمْـحُ الذَّنْبَ عَنِّي فَقَـدْ ** مـزَجْتُ بَيْـنَ طَرِيـقِ الغَيِّ والرَّشَدِ

يـا رَبِّ، إنْ كانَ خَيْـرًا ليْ البَقـاءُ، فَهَـبْ ** لِيْ مِـنْ دَوائِـكَ ما يَشْفِيْ مـنَ الكَمَدِ

فأَنْـتَ أَذْهَبْـتَ عَـنْ أَيُّـوْبَ مِـحْنَتَـهُ ** في شـدَّةِ الكَرْبِ مَنًّـا مِنْكَ بالـمَدَدِ»

فتبقى مناجاة الله سبحانه وتعالى، والاعتصام بحبله المتين، وطلب التوبة والمغفرة، وعدم اليأس والقنوط من رحمته مطالب كل مؤمن، فالإسلام نعمة، سعيد من غمرت قلبه روحانيته، فالشاعر يشرك القارئ معه، وكأنه يوعظه، ويذكره باستشعار رحمة الله-سبحانه وتعالى-فهو العفو الغفور الرحيم، و المُعتَصم والمُلتجأ، وأعلم بما هو خير للإنسان، وهو من يذهب الهم والحزن عن قلب عبده المكلوم.

ومهما عظمت الذنوب فبعفو الله الأمل والرجاء:[2]

وليْ فـي اللهِ-إنْ عَظُمـتْ ذُنُوْبِـيْ ** يَقِيْـنُ الـوَاثِـقِ اللَّبِقِ الحَصِيْف

فحسن الظن بالله مطلب من كل مسلم، والشاعر يؤكده دومًا في نصوصه.

١- مرافئ الحب ص: ٧٧- ٧٨.

٢- نفسه ص:١٢٩.

وهنا يناجي الباري جل في علاه شاكيا إليه سبحانه ما أصابه من ضر وبلاء:[1]

إلـى اللهِ أشْكُـوْ صُـرُوْفَ اللَّيـالـيْ ❊❊ سَكَاكِـيْنُـها مِـنْ دَمِـيْ تَـرْضَعُ
إلـى مَـن تَـذِلُّ الجِبَـاهُ لَـهُ ❊❊ ومَنْ يَـخْفِضُ المَـرْءَ أو يَرْفَـعُ
بِـهِ أستَجِيْـرُ ولـيْ رَغْبَـةٌ ❊❊ إليـهِ ولـيْ القَصْـدُ والمَطْمَـعُ
أيـا رَبِّ يـا غَـافِـرَ السَّيِّئَـاتِ ❊❊ إلـى ذَاتِـكَ التَّـوْبُ والمَرْجِـعُ

فبث الشكوى، ورفع الصوت بالنجوى له سبحانه، مطلوب من كل مسلم موحد، موقن، وها هو شاعرنا يرفع الشكوى لله من صروف الدهر والأقدار، الشكوى لربٍّ تذل له الرقاب وتخضع له الجباه وإليه القصد والمطمع، فالإحساس بالخطيئة، والشعور بالذنب، ومحاسبة النفس ولومها، وطلب التوبة والعفو، والطمع فيما عند الله ، من سمات النصوص التي تُظهر شخصية الشاعر المتدينة.

❊❊❊

١ – نفسه ص:١١٧.

الفصل الثاني
الاتجـاه الاجـتماعي

* الشباب
* التقاعد
* المرأة
* المناسبات
* أعيان المجتمع وأدباؤه

الاتجاه الاجتماعي في شعر الفيفي قائم على عنصرين أساسيين هما: الواقعية، والوضوح، كما هو الحال لدى العديد من الشعراء، الذين أولوا المجتمع اهتمامًا في أشعارهم، انطلاقًا من حرصهم على صلاحه، ومعالجة مشكلاته وقضاياه، والرقي بإنسانه، ونشر الوعي، وبيان الحقوق، والمطالبة بها، مستخدمين أساليب تعبيرية واضحة في الإسهام في نشر وقائعه، ونقلها لنا في صور مباشرة.

وقد برز هذا الاتجاه لدى الشاعر من خلال مناقشته لبعض الموضوعات والأدواء في المجتمع، وتجلَّى أكثر في الاهتمام بقضايا الشباب، ومشكلات المرأة، والمشاركة في المناسبات:

* الشباب

أدرك الشاعر دور الشباب وأهميته، وأنهم عماد الأمة، وصناع المستقبل؛ فقدم أشعارا تبرز همه واهتمامه بشباب بلده، وغيرته عليهم، فراح يضع إصبعه على الجرح، مبرزا السلبيات التي وقع فيها شبابنا:[1]

١- مرافئ الحب، ص:٥٠.

يا سائلاً كيفَ حالُ النَّشْءِ في وَلَهٍ * * شعارُهُمْ -ياصديقي- النَّوْمُ والهَرَبُ
اسأَلْ خبيرًا لهُ عِلْمٌ وتجربةٌ * * شبابُنا -إنْ تَمادَى- بيتُهُ خَرِبُ
أَبْناؤكُمْ -ياعزيزي- هَمُّهُمْ أَبَدًا * * النَّصْرُ هل فازَ أم هل فاز مُنْتَخَبُ؟

فالشباب هم عماد الأمة -كما يرى-، وهم الذين تبنى عليهم الآمال والأحلام والأماني، وهم ثمرة المجتمع؛ لذلك أولاهم الشاعر اهتماما خاصا في شعره، والشاعر هنا يتعجب ويتخوف من حال الشباب في الزمن الحاضر؛ فنجده يركز على الأمور التي تؤدي بهم إلى الضياع والهلاك: من تمادٍ و اهتمام بسفاسف الأمور وقشورها، وذلك يعكس روح الشاعر المؤمنة بدور الشباب في بناء المجتمعات، وحرصها على صلاحه.

ومن تلكم الأدواء التي عالجها شاعرنا، وأفصح عنها سقوط الشباب وترديهم في منحدر المخدرات ومستنقعها، وإدمانها:[1]

واكْتُبِ الشِّعْرَ عَنْ شَبَابٍ تَرَدَّى * * في مَهَاوِيْ الضَّيَاعِ والأَفْيُوْنِ
خَبْطَ عَشْواءَ في المَتَاهاتِ يَمْشِيْ * * هائِمًا يَرْتَوِيْ بِكَأْسِ المَنُوْنِ

ووقوف شاعرنا على الأثر السلبي للمخدرات على الشباب جعله يراجع الأسباب، ويُرجع الخلل إلى التربية في الأسرة وفي المدرسة.

ولذا نجده في موضوع آخر يبكت الشباب والطلاب على إهانة المعلم، والتقليل من شأنه، وعدم احترامه، مع أنه يحمل أعظم رسالة لهم:[2]

وَيْحَ المُدَرِّسِ، ماهذاالجزاءُلَهُ؟ * * إنَّ العدالةَ أَنْ يُعطَى كما يَهَبُ
أَيْنَ الوفاءُ؟ وما هذا الجَفاءُ لَهُ؟ * * أليس من نَبْعهِ الرَّقْراقِ قد شَرِبُوا؟
في أَوَّلِ العامِ إهمالٌ ومَضْيَعَةٌ * * كحاطبِ الليلِ ضاعَ الجُهْدُ والحَطَبُ
وآخِرُ العامِ أفواجٌ منَظَّمَةٌ * * على «الخصوصيْ» وقامَ العَرْضُ والطَّلَبُ

١- نفسه، ص:٢٧٢.

٢- مرافئ الحب ص:٥٠-٥١.

فلننظر لهذا المشهد الذي نقله الشاعر، وهو المعلم الواعي، الغيور عن تغير المبادئ لدى طلاب هذا العصر تجاه معلميهم، وعدم الجد في أخذ العلم، ويظهر لنا في النص محاولة من الشاعر إيصال معاناة معلم هذا العصر إلى المتلقي، الذي فقد الكثير من حقوقه؛ فالشاعر هنا يكثر من التساؤل حول تلك الحقيقة المؤلمة، وتلك دلالة على ذات مندهشة متحيرة لما هو واقع.

ولازال الحديث قائما حول الشباب:[1]

يـــا طـالـــبَ الـعِـلْـــمِ ** بِـــهـمَّـــة وابْـتَـــعِـدْ عَـــنْ
خُـــذْهُ مِـــنْ مـــضامِنِـــــهِ ** مَـــــَنْ بِـــهِ جَـــــرَبُ

هـــل يَـسـتـــويْ طـالـبٌ ** يـــــقــودُهُ لـلـــرَّزايـــا
فـــي الـلَّـهْـــوِ مُـنْـغَـمِـسٌ ** الـطَّـيْـــشُ والصَّخَـــــبُ؟

فـــي رأسِــــهِ عَـشْـعَـشَـــَتْ ** يـعـيـــــشُ» كـــالــثَّـــوْرِ» لا
أفـكــارُ مُـنْـحَـــــرِفٍ ** عِـــلْــــمٌ ولا أَدَبُ»

وطـالـــبٌ بـــاتَ طُـــوْلَ ** يـبـــدو عـلـى جِـسْـمِـــهِ
الـلـيـــلِ مُـنْـهَـمِـــكًا ** الإرهَـــــاقُ والــوَصَـــبُ

يَـغُـــوْصُ فـــي غَـمَــرَاتِ ** أصـدافَـــهُ، يـــا لَـــهُ! كَـــمْ
الـعِـلْـــمِ مُـلْـتَـمِـــسًا ** نـــالَـــهُ الـتَّـعَـــبُ؟!

فنرى الشاعر يسدي النصائح والتوجيهات لطالب العلم؛ بأن يقضي كل جهده في العلم والتعلم، وأن يبتعد عن طريق الغي، كما نراه يشدد على أهمية العلم والتعلم والأدب، ونراه في هذا المقام يعقد مقارنة بين الطالب الذي يأخذ العلم بجد واجتهاد، والطالب الجاهل الذي يغوص في غمرات الجهل، وكأن الشاعر من خلال هذه المقارنة يريد إيصال وجهة نظره للمتلقي، في توضيح الفرق بين الحالين، والنتائج المترتبة في كلا الحالين، والتنبيه على اختيار الطريق السليم.

١- نفسه ص: ٥١

* التقاعد

والتقاعد من القضايا التي تهم المجتمع، فحال المتقاعدين وما هم عليه من مراوحة في الإقبال على الحياة، كما يحبون هم، أو الإدبار عنها، في انتظار الموت، كما شاع عند الناس، مما استوقف شاعرنا، فدبج في هذا الموضوع أبياتا حسانا تبين رؤيته:[1]

قالوا: تَقَاعَدَ، قُلْتُ: لا، بَلْ أُقْعِدا * * ما ضَرَّ لو قالوا: عجوزًا أُبْعِدا

ما انفكَّ يَعْصرُ فِكْرَهُ حتى غَدا * * مُتَبَخِّرًا كدُخانِ جَمْرٍ أُخْمِدا

يبدو كمَمْسُوسٍ يَهِيْمُ بلا هُدَى * * أنسامُهُ الحَرَّى تُذيبُ الجَلْمَدا

يا ذا المُقاعَدَ، والتَمِسْ عُكَّازةً * * آنَ الأوانُ لسَيْفِكُمْ أنْ يُغْمَدا

حانَ الوداعُ، ويا لَهُ مِنْ مَوْقِفٍ * * تلكَ الدُّمُوْعُ تساقطتْ مِثْلَ النَّدا

قَدْ جَاءَ بالخَبَرِ المُفِيْدِ ولم يَكُنْ * * طُوبَى، ولكنْ جاءَ يَنْعَى المُبْتَدا

سِتُّونَ عامًا مِثْلُ طَيْفٍ عابرٍ * * نِلْتَ الزَّعامةَ عَبَرَها والسُّؤْدَدا

كان الأميرَ، فما لَهُ أَضْحَى بلا * * أمرٍ ولا نَهْيٍ؟ وكان المُرْشِدا

نورُ الشَّبِيْبَةِ قد تَوارَى بعدَما * * كانتْ نضارتُهُ غُصَيْنًا أَغْيَدا

أَخْفَتْ تَلألُؤَهَ السنينُ وأَخْمَدَتْ * * مِنْهُ الشُّعاعَ وكانَ جَمْرًا مُوْقَدا»

فها هو يناقش حال المتقاعد بعد تركه للعمل، بعد أن قضى فترة طويلة من عمره في كَبَد وعناء، حتى أصبح كالجمر بعد إخماده، ويظهر لنا في الأبيات المتقاعد الحزين على ترك عمله، وقد غطى الشيب رأسه، وأنهكه التعب، وتقدم في السن، بعد أن قضى فترة شبابه، في عزة، وتسنم مناصب، ومراتب عالية، وهذه الفترة في رأي الشاعر فرصة للإنسان أن يحاسب نفسه، ويراجعها.

١- مرافئ الحب، ص: ٦٤_٦٦.

ومازال الحديث حول المتقاعد:[1]

يـا مَـنْ تُـريـدُ الاحتجاجَ تَـظَلُّمًـا ** اصـرخْ! فمـالكَ غَيْرُ ترجيعِ الصَّـدَى
والـرَّدُّ يَهْتِـفُ مـا الـذي خَلَّفْتَهُ ** مِـنْ قُـدْوَة؟ هـل كُنْـتَ رَمـزًا للهُـدَى؟
هـل كُنْـتَ تَـرْأَفُ بالذيـنَ رَأَسْتَهُـمْ؟ ** أو كُنْـتَ فَـوْقَ رقابهـمْ مِثْلَ المُـدَى؟
أرْضَـى غُـرُوْرَكَ مَنْصِـبٌ قُلِّدْتَـهُ ** فَظَنَنْـتَ كُـرْسِـيَّ الإدارةِ سَـرْمَدا

وها هو شاعرنا يتساءل متعجبًا من حال المتقاعد في فترة شبابه: ماذا فعل في فترة شبابه عندما أعتلى أعلى المناصب، وترأس الإدارات، هل راعى من كان تحت يده، أم تسلط وتجبر واغتر بالمناصب والمراتب؟! و ماذا ترك وراءه؟! هل كان قدوة لغيره ؟!، أم كان رمزا للهدى؟!، ما الذي زرعه في فترة شبابه فيحصده الآن؟!، لذا حان الأوان له أن يحاسب نفسه، بدلا من التظلم والتشكي، وهذه التساؤلات تعكس روح الشاعر المتحيرة المندهشة.

* المرأة

كان للمرأة حضور في قصائد الشاعر ، وكان لها نصيب من شعره؛ فهي الأم، والبنت والمعلمة، والمربية، والمحبوبة؛ لذا أولاها الشاعر اهتمامًا في شعره، محبًا لها، قبل كونه مدافعًا عنها:[2][3]

الأمُّ فـي سَـعَـادةٍ ** علـى الـرَّزَايَا تَـصْبِـرُ
فـلَاَّحَـةٌ تَحْـرُثُ أَحْـ ** ـيانًـا وحِيْـنًـا تُـسْبِـرُ
الـفَقْـرُ لا يَـهُمُّهـا ** قُـوْتٌ وثَـوْبٌ يَسْتُـرُ
أولادُهـا مِـنْ حَوْلِـها ** كـالعَيْـنِ فيهـا البَصَـرُ

١- مرافئ الحب ص:٦٦.

٢- في حركة الروي في قافية البيت ما يسميه دارسو القوافي: عيب (الإصراف)، وهو الانتقال في حركة الرويّ(الراء هنا) من الضم إلى الفتح، في «دروا». إلا أنه لا يعد عيبًا لديهم كالإقواء، وهو الانتقال بين الضم والكسر. كما أشار المحقق.

٣- مرافئ الحب ص:١٠٣_١٠٥.

تَقْسِمُ مِنْ لُقْمَتِها ❋❋ ليَأْكُلُوا ويَكْبُرُوا
تَجُوْعُ حتى يَشْبَعُوا ❋❋ وهُمْ صِغَارًا ما دَرَوْا()
يَفِيْضُ عَذْبًا صافِيًا ❋❋ مِنْها الحَنَانُ المُثْمِرُ
تُرِيْدُ مِنْ أولادِها ❋❋ أَنْ يَدْرُسُوا ويَظْفَرُوا..»

فها هي المرأة الأم ، التي تربي وتضحي وتعطي من أجل أولادها، لكي يعيشوا، ويتعلموا، ويلحقوا بركب الحياة، فهم بمثابة عينيها، من صغيرهم لكبيرهم، فحبها ينتصر على كل المتاعب والمشاق، لأنها صبور، شكور، حنون، و هذه الصورة حية نقلها الشاعر من قلب فيفا النابض، حيث مشهد الأم والأبناء، وحالة الفقر والتعب، التي كان يعيشها الأجداد في الماضي القريب.[١]

وحَوْلَهُ مِسْكِيْنَةٌ ❋❋ تَطْحَنُ أو تُخَمِّرُ
في سُرْعَةٍ مُذْهِلَةٍ ❋❋ تَعجِنُ أو تُجَمِّرُ
وأَحْضَرَتْ عَشَاءَها ❋❋ لِنَائِمٍ يُنَخِّرُ

وهنا تظهر المرأة (الأم) في مشهد آخر في بيتها، وقيامها بدورها على أكمل وجه بل ويزيد، ولكني -حسب زعمي - لا أرى الشاعر وفق كثيرا في استخدامه للفظة (مسكينة)، ولو استبدل بها كلمة أخرى لكان أفضل؛ لأن المرأة في هذا المشهد كانت تقوم بدورها لا أكثر.

وللفتيات الصغيرات أمهات الغد حظهن من قصائد شاعرنا؛ مما يدل على نفس رقيقة مغرمة بالطفولة:[٢]

«يا رُؤَى[٣] يا حَبَّةَ القَلب، ويا إِنْسَانَ عَيْنِي
يا نَمِيْرًا سَلْسَبِيْلاً سَلِسًا عَذْبَ المَعِيْنِ
دُرَّةٌ إِنْ غِبْتُ عَنْها ضَجَّ قَلْبِيْ بالحَنِيْنِ

١- نفسه ص:١٠٦-١٠٧.

٢- مرافئ الحب ص:٢٦٥.

٣- رؤى ابنة الدكتور/ عبد الله الفيفي (محقق ديوان الشاعر)،والشاعر خالها؛ لأنه خال والدها.

يـا شَـذا الكـاذيْ ويا أَنْسَامَ زَهْـرِ اليَاسَمِيْنِ
يـا ضِيَائِـيْ إنْ سَجَـى لَيْلُ الحَيَارَى يا يَقِيـْنِي
يـا نَعِيْمًـا نـامَ فـي قَلْبيْ على أَوْتَـارِ زَنْـدِي
لِّثْغَـةٌ مِـنْ مَبْسَـم أَسْمَى سَنـى مِـنْ لازَوَرْدِ
يا حَيَاتيْ يا رُؤًى تَخْتَالُ فـي نَـوْمِـيْ وسُهْدِي»

فهنا تظهر الطفلة (رؤى)، والشاعر يتحدث عنها في عين أمها، ويبدو حبها لها، وتعلقها بها، من خلال تكرار ندائها، وتنويع التوصيفات بعد حرف النداء(يا)، ونحسُّ مع الرقة في الوصف شفقة، وحنانا دائمين.

ومما يزيد تعلق الأم بأبنتها، وجودها حاضرة أمام عينيها، وقد بدأت تمشي خطواتها الأولى:

حِيْنَما تَـمْشِيْ رُؤَى أَخْتَـالُ زَهْـوًا فـي رُؤاهـا
تُـشْـرِقُ الـبَهْجَةُ فـي عَيْنَـيَّ إنْ زَادَتْ خُطَاها
يَتَـوارَى الهَـمُّ عَنِّـي دائمًـا لَمَّـا أَراهـا[1]

رؤى(الطفلة) التي بدأت تمشي، هي بهجة أمها ، وفرحتها وفخرها بها، وانزياح همها عند مرآها.

وليست رؤى فحسب من أذكت فؤاد شاعرنا بمباهج الطفولة والبراءة، بل تنضم إليها طفلة أخرى، هي ابنة أخيه، وفيها ينظم هذه الأبيات: [2][3]

حمـاكِ اللهُ يـا عَيْنَـيْ شَقِيْقِـيْ ** وزَهْـرَةَ عَمِّكِ[] وسَـوَادَ عَيْنِيْ
وأبقـاكِ وإخوتَـكِ مَنـارًا ** لهـذا البَيْـتِ فـي أَدَبٍ ودِيْـنِ
أَرَى نُـوْرَ الصَّبَاحِ يَلُـوْحُ لَمَّـا ** أَراكُـمْ عَـنْ يَسـارِيْ أو يَمِيْني
أنا يا بِنْـتَ صِنْوِيْ لستُ ضَيْفًا ** أنـا مِنْكُمْ بِـمَنْزِلَـةِ الوَتِيْـنِ

١- نفسه ص:٢٦٦.

٢- كاف الخطاب في القصيدة «للمؤنث»، وبذلك ينتفي ما قد يلحظ في كلمة «عمك» في الشطر الثاني من البيت الأول من ضرورة إشباع ثقيلة، لو كان المخاطب مذكرًا. كما أشار المحقق.

٣- مرافئ الحب ص:٢٥٨.

فتظهر ابنة أخيه بحبها ووفائها لعمها، وقربها من قلبه، وحبه لها، ووجودها إلى جانبه مع إخوتها يزيح همه، ويزيل ضيقه، فهم أشبه بنور الصباح المشرق، الذي يبعث في النفس البهجة، والراحة والطمأنينة، وذلك يعكس للمتلقي المنزلة التي يتقلدها الموصوف هنا.

ولكن تواجه المرأة في المجتمع الكثير من الصعوبات لنيل حقوقها، وخاصة حقها في التعلم ، ففي بعض المجتمعات تحرم المرأة من ذلك الحق، وتمنع من الخروج لطلب العلم، والشاعر بدوره أدرك ذلك وعبر :[1][2]

يَسْمُو الفَتَى بالعِلْمِ والإيمانِ * * وكذا الفَتَاةُ هِيَ الجَنَاحُ الثَّاني
صِنْوَانِ في الدُّنْيا تَفَجَّرَ مِنْهَما * * نَهْرُ الحَضارَةِ لِبَنِيْ الإِنْسَانِ
أَيَجُوْزُ في الشَّرْعِ الشَّرِيْفِ لِعَاقِلٍ * * أَنْ يَحْصُرَ التَّعْلِيْمَ في الفِتْيَانِ؟!
قَدْ شَرَّفَ اللهُ النِّسَاءَ بسورةٍ * * وأَعَزَّهُنَ بِمُحْكَمِ القُرآنِ
حَوَّاءُ يَحْدُوها الطُّمُوحُ لَعَلَّها * * تَبْنِيْ كِيَانًا ثَابِتَ الأَرْكَانِ
أَوَمَنْ يُرَبِّي النَّشْءَ أَيَّامَ الصِّبا * * ويُمِدُّه بالحُبِّ والإِيمانِ؟!»

فالشاعر هنا يدافع عنها من وجهة نظر دينية، أنَّ من حقها أن تسمو بالعلم كالرجل، مستخدمًا أسلوب التعجب الإنكاري في البيتين الثالث والسادس، ومن الحضارة أن تنال المعالي ، فهي أم الأجيال، ومربية الأبطال، وأم الأنبياء الذين عصمهم الله من كل خطأ وذنب، وأم العبَّاد والشهداء، والمجاهدين الذين رفعوا راية الجهاد، ودافعوا عن الدين والأعراض والأوطان، وأم الملوك، والقادة الشجعان الذين اعتلوا المناصب، وحكموا البلدان، وأقاموا العدل في كل الأرجاء والأركان، وتكرار الشاعر لكلمة (أم) في هذه الأبيات تأكيدا لما للأم من فضل كبير في تربية الأجيال، وتأثيرٌ شديد على الأبناء والبنات؛ فبصلاحها صلاح للمجتمع بأكمله، وبتعلمها ينال كل السمو والرفعة، ويقيم صرحًا شامخ البنيان، والشاعر الفيفي من الشعراء الذين طالبوا بضرورة التعليم للفتاة،

١- كذا، واستقامة وزنه: نهر الحضارة في بني الإنسان. كما أشار المحقق.
٢- مرافئ الحب ص:٢٦٢.

وتمسك بمبدأ أن تعليم الأجيال وتربيتهم متوقف على تعليم المرأة وتربيتها، وتنشئتها تنشئة صالحة، حتى تنشئ جيلا صالحًا متعلما خادما لدينه، ومجتمعه.

والشاعر كغيره من الشعراء، ناقش قضايا المرأة في المجتمع، وعلى لسان فتاة تحكي حال مثيلاتها، وما يعانينه من تهميش، وعنوسة، وإجبار، وعضل:[1]

«أنا عُمْرِيْ» بالضَّبْطِ» عِشْـرُوْنَ عَامًا * * فـي رَبِيْعِـيْ النَّضِيْرِ أَحْلى سِنِيْنِيْ
ثـمَراتِـيْ قَـدْ أَيْنَعَتْ يا لَـخَوْفِـيْ * * مِـنْ كَسَادِيْ إِنْ عَزَّ مَنْ يَجْنِيْنـي
إِيْـه يـا شَـاعِرَ الهَـوَى قِفْ رُوَيْـدًا * * نَـوِّعِ الشِّعْرَ فـي جَمِيـعِ الفُنُـوْنِ
اكْتُـبِ الشِّـعْرَ عَـنْ مَلايِيْـنَ مِثْلـيْ * * يَـنْتَظِـرْنَ الإِفْـراجَ مِثْـلَ السَّجِيْنِ
واكْتُـبِ الـشِّعْـرَ عَـنْ فَتَـاةٍ أُميْتَـتْ * * وفَتَـاةٍ تُبَـاعُ بَيْـعَ الضَّـئِيْـنِ
وفَتَـاةٍ تُـسَـاقُ كُـرْهـا لِـبَعْـلٍ * * هُـوَ «بَغْـلٌ» يَقْـولُ هَيَّـا «اعْلِفِيْنِيْ»
وفَتَـاةٍ قَـدْ أُعْـلِنَـتْ فـي مَـزَادٍ * * ثُـمَّ نَـادَوا: يـا صَـاحِبَ المِلْيُـوْنِ
بَـعْـدَ أَنْ كَـانَ سُـوْقُهـا في رَوَاجٍ * * وُئِـدَتْ فـي لُعَـاعِ دُنْيَـا مَهِيْـنِ»

فهنا يظهر الشاعر متحيزًا للمرأة مناصرًا لها، ونراه يطالب بحقوقها، ويردع الظلم عنها على الوجه المشروع، وهو ينقل لنا في هذا النص حوارًا بينه وبين فتاة تشكو له حالها، وحال أمثالها من الفتيات، اللاتي ينتظرن الإفراج ، وهذا يعكس للمتلقي روح الشاعر المتعلقة بالمرأة، المؤمنة بدورها، ومكانتها في المجتمع.

* المناسبات

لا يخلو أي مجتمع من المناسبات، فتجتمع قلوب المحبين، وتزرع المحبة والألفة بين أفراد المجتمع الواحد؛ لذا تنوعت المناسبات في قصائد الشاعر سلمان الفيفي ما بين المناسبات الدينية، والوطنية، والإدارية، والاجتماعية، والإخوانية، والشخصية، ويمكننا تقسيم المناسبات لديه إلى محاور:

١- مرافئ الحب، ص: ٢٧٢.

- **المناسبات الدينية:**

فمن المناسبات الدينية التي حظيت باهتمام من الشاعر، مناسبة شهر رمضان المبارك:[1]

حلَّ شَـهْـرُ الصيَّام والبَدْرُ هَـلاَّ * * أَلْـفُ طُوْبَـى لمَـنْ تَـزَكَّـى وصَلَّـى
يا رَعَـى اللهُ أَنفُسًـا طَـاهِـراتٍ * * فـي الـمَحَارِيْـبِ، والـتَّرَاتِيْـلُ تُتْلى

حيث ابتدأ بالترحيب بالشهر الفضيل، وتحية النفوس الطاهرة، التي تستقبل هذا الشهر بالاعتكاف في المساجد، وتلاوة القرآن الكريم وختمه.

وتتجلى الفرحة بقدومه في هذه الأبيات:[2]

فَرْحَةُ الصَّـوْمِ فِي الُّنفُـوْسِ سَجَايَا * * كُـلُّ نَـفْسٍ بمَقْدَمِ الصَّوْمِ جَذْلَى
مـنْ رَحِيْـقِ الإِيْمـانِ تَلْتَـذُّ أَرْوَا * * حٌ تَّسَـامَتْ لعَفْـوِ رَبٍّ تَجَلَّــى
تَتَبَـارَى فـي حَلْبَة مـنْ صَفَـاءٍ * * كُلُّ مَنْ فَازَ حَازَ قِدْحًا مُعلّى»

فيصور هنا فرحة المسلمين بحلول شهر رمضان، مؤكدًا على أنَّ المؤمن من طبعه أن يفرح بهدية ربه عز وجل، ويقابلها بالحمد والشكر، والعبادة، والإخلاص، وطهارة القلب وصفائه، ممتثلا أوامر ربه، منتهيا عند نواهيه.

ويصور ليالي رمضان، واستعداد النفوس لها:[3]

يُقْبِـلُ اللَّيْـلُ يَتَهـادَى مُسَجًّـى * * بِـرِدَاءِ السُّكُـوْنِ، واليَـوْمُ وَلَّـى
وإذا بـالنُّفُـوْسِ تَصْفُـوْ وتَعْلُـوْ * * لِسُمُـوَّ الأَخْــلاقِ قَـوْلاً وفِـعْلا
فـي صَـلاةِ القِيَـام تَنْسَابُ أَنْهَـا * * رُعِـذَابٌ مِثْـلُ الرَّحِيْـقِ وأَحْـلَـى
مَعْ نَسِيْـمِ الأَسْحَـارِ تُلْقِيْ الأَمَانِـيْ * * مـنْ تَبَاشِيْــرِهَـا رَذَاذًا وَطَـــلا
تَسْكُـبُ الرِّيَّ فِي قُلُوْب عِطَــاشٍ * * لِـمَعِيْـنِ الـرحمـنِ خَــوْفًـا وذُلاّ

١- نفسه ص:١٥٦.

٢- مرافئ الحب ص:١٥٦-١٥٧.

٣- نفسه ص:١٥٧.

فها هي ليالي الشهر الفضيل تُقبل مكسوةً برداء الإيمان والسكون، وها هي النفوس تصفو، وتعلو لمعالي الأخلاق، بقولها وفعلها، وتذل وتخضع لخالقها، وتسبحه، وترتفع أصوات المآذن بالتراويح؛ لترتاح بها القلوب العطشى، وترتوي إيمانا، وإخلاصا، وطهرا.

ومن المناسبات الدينية التي تعقب الصيام مناسبة العيد، التي يستبشر بها المسلمون، ويتبادلون فيها التهاني والمباركات: [1]

والعِيْدُ بالأفْرَاح أَلْـ * * ـفَى والشَّبَابُ اسْتَبْشَرُوا
يَسْتَعْرِضُوْنَ في ثِيَا * * بِ العِيْدِ كُلٌّ يَفْخَرُ
لِكُلُ بِنْتٍ «كِرْتَةٌ» * * سَوْدَا وثَوْبٌ أَحْمَرُ
وتاجُها «مِقْلَمَةٌ» * * يُطِلُّ مِنْها الشَّعَرُ
والحُسنُ» والألْبَابُ» في * * مَفْرِقِها والعَنْبَرُ
والكُحْلُ والحِنَّاءُ والـ * * ـكَاذِيْ وزِيْنٌ يَبْهِرُ
وخَاتِمٌ مِنْ فِضَّة * * تَذُوْبُ فِيْهِ البُنْصُرُ
وعَزَبٌ مُنَظَّمٌ * * فِي مَشْيِهِ تَبَخْتُرُ
«مُصْنَفُهُ» مُنَيَّلُ * * و«كُوْتُهُ» مُزَرَّرُ
أو«مِبْرَدٌ» مُهَدَّبٌ * * و«مِعْدَلٌ» مُشَجَّرُ
مَفْرِقُهُ مُطَيَّبٌ * * وجِسْمُهُ مُعَطَّرُ
والكُلُّ فِي تَعَاوْدٍ * * مِنْهُمْ تَمُوْجُ «الزُّبُرُ
وفِي المَسَاءِ طَرْبَةٌ * * وزَامِرٌ يُزَمِّرُ
و«هَصْعَةٌ» وَرَقْصَةٌ * * وشَاعِرٌ يُثَرْثِرُ»

ففي هذا النص يحكي لنا الشاعر قصة المجتمع الفيفي، وعاداته وتقاليده في العيد، من كبير وصغير، رجل أو امرأة، شاب أو فتاة، ومن أساليب الفرح لبس الجديد، والتطيب، والتعطر، وفي المساء عرضة[2]، وشعر، وأناشيد شعبية،

١- مرافئ الحب ص:١٠٨_١١٠.

٢- العرضة: الرقصة الشعبية.

تتجلى لنا في الكلمات التالية: (يستعرضون في ثياب، لكل بنت كرتة، الكحل والحناء، ومفرقه مطيب، ومصنفه منيل، مبرد مهدب، وكوته مزرر، وزامر يزمر، والكل في تعاود، وهصعة، وشاعر يثرثر)؛فهنا توثيق لعادات أهالي فيفا في استقبال العيد، وأسماء الملابس، وأدوات التزيين، وأنواع الألعاب الشعبية التي تدار وقتذاك.نص كشف جوانب حياتية عميقة لأهالي فيفا، وجبال جازان عامة.

- **المناسبات الوطنية**

والمناسبات الوطنية حاضرة لدى الشاعر الفيفي:[1]

فـي لَيْلَةِ السَّعْـدِ فَـاحَ الـوَرْدُ بـالعَبَـقِ * * مِنْ كَفِّ كَـوْكَـبِ نُـوْرٍ سَاطِـعِ الأَلَـقِ
فَيْضٌ مِـنْ آلِ السُّعُـوْدِ الشُّـمِّ مُـرْتَسِمٌ * * على المُحَيَّا ومُـوْقِ العَيْنِ والحَدَقِ
أَحْنَاءُ مُشْـرِفٍ العِمْلاقِ تَـحْضُـنُنُـا * * بِـعْـزَةٍ وحَـنَـانٍ جِـدِّ مُنْدَفِـقِ
قَـصْرٌ تَـرَبَّـعَ ظَـهْرَ التَـلِّ مُعْتَنِـقا * * هَـامَ السَّحَابِ علـى بَلُّوْرَةِ الطَّبَـقِ
قَـامَـتْ دَعَـائِمُهُ للهِ طَـائِعَـةً * * بَعِيْدَةً عَنْ مَهَـاوِيْ الزَّيْفِ والمَلَـقِ
أُعِيْـذُهُ وحَـوَاشِيْـهِ ومَـالِكَـهُ * * مِنَ العُيُـوْنِ بِـرَبِّ النَّـاسِ والفَلَـقِ
وأهْنَـأ -أَبَـا خالِـدٍ- والله يَـحْرُسُكُمْ * * وقَصْـرَكُـمْ وجَمِيْعَ الأَهْلِ والرُّفَـقِ

فهذه القصيدة كانت بمناسبة افتتاح قصر (مشرف)، لصاحب السمو أمير منطقة الحدود الشمالية الأمير/ عبد الله ابن عبد العزيز بن مساعد آل سعود، في ١٤/ ١١/ ١٤١٠هـ، سطر شاعرنا قصيدة تظهر لنا السعادة الغامرة التي انتابته.

وثمة مقطوعة أخرى لمناسبة تتعلق بيوم المرور:[2]

يـا ثَـرْوَةً مِـنْ رِجَـالٍ تَـرْكَبُـوْنَ علـى * * بَأْسٍ شَدِيْدٍ، عَلامَ الطَّيْشُ والحَمَـقُ؟!
كَـمْ فَـرْحَةٍ مِـنْ صَغِيْـرِ السِّـنِّ نَقْتُلُها * * وبَـسْمَـةٍ فـي فَـمِ بَيْضَـاءَ تَخْتَنِقُ
يـا مَـنْ رَأَى شُقَّـةَ المَاضِـيْ وشِقْوَتَهُ * * والسَّيْـرُ فِيْـهِ علـى رَمْضَـاءَ تَحْتَـرِقُ
واليَـمَ يَخْتَـالُ كالطَّاوُوْسِ، هَـلْ نُسِيَـتْ * * تِلْـكَ العِجَـافُ وسَيْـرُ اللَّيْلِ والقَلَقُ؟

١- مرافئ الحب ص:١٤٥_١٤٧

٢- نفسه ص:١٣٢-١٣٣.

أَيَّامَ يَمْشِيْ على الأَشْواكِ ثَائِرَةً ❋ والرِّجْلُ دَامِيَةٌ والنَّعْلُ مُنْخَرِقُ
أَوْ كانَ ذا نِعْمَةٍ يَمْضِيْ على جَمَلٍ ❋ أو فَاطِرٍ قد حَنَاهَا الجَهْدُ والرَّمَقُ
رِفْقًا بِنَفْسِكَ واكْبَحْ مِنْ رُعُوْنَتِها ❋ قَدْ هُيِّئَ الأَمْنُ والإِرْشَادُ والطُّرُقُ

فيشيد الشاعر فيها بجهود رجال المرور، الذين يواجهون الأخطار، من أجل سلامة الجميع، ومن ناحية أخرى يشدد على خطر التهور، وأن ذلك يقتل الأنفس، ويعرضها للخطر، وعلى الإنسان أن يكون واعيا، شاكرا الله على نعمة السيارة، بعد أن كان في الزمن الماضي يمشي لمسافات بعيدة، في تعب وعناء، بدون وسائل نقل، أو موصلات، سوى جمل، أو ناقة منهكة، فعلى الإنسان أن يتبع كل وسائل الأمن والسلامة، ويبعد بنفسه عن كل ما يؤدي به إلى الهلاك.

- **المناسبات الإدارية:**

وكان للمناسبات الإدارية حضور بارز في شعر الفيفي، ومنها ما جاء في هذا النص الذي يحتفي بزيارة مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للمعهد العلمي في عرعر، حيث يعمل الشاعر معلما فيه:[1]

فـي رِحَابِ الشَّمَالِ طابَ اللقاءُ ❋ يا شَذَا الطَّيْبِ لو يَطُولُ البقاءُ
فـي حَشا عَرْعَرٍ تحلُّونَ أَهْلاً ❋ رَحَّبَ السَّهْلُ والرُّبَا والفَضاءُ
يا معالِيْ مديرِنا الحِبّ أهلاً! ❋ رَدَّدَتْها السَّاحَاتُ والأرجاءُ

فيعبر عن تلك المناسبة مبتهجا فرحا، وابتدأ القصيدة بالترحيب بمدير الجامعة، والتعبير عن فرحته بلقائه، وليس الشاعر فحسب من ابتهج بقدومه، بل شاركه تلك الفرحة العطر، والأرض، ورحب به السهل والربى.

- **المناسبات الاجتماعية:**

وليس أجمل من لقاء الأحباب والأتراب من محبي اللغة، ومتذوقي الأدب،

١- مرافئ الحب ص: ٤٢-٤٤.

وصداح الشعر حين يجتمعون في ظل ظليل، وهواء نسيم عليل:[1]

وفـي نَـدْوَةٍ صُـغْرَى سَعِـدْنَـا بِفِتْيَـةٍ * * لَـهُمْ بَيْـنَ أَضْـلاعِ المُحِبِّـيْـنَ مِنْبَـرُ
وفَـاضَـتْ يَنَابِيْـعُ البَيَانِ وضَـوَّعَـتْ * * نُـسَيْمَاتُ وُدٍّ مِـنْ شَـذا المِسْـكِ أَذْفَـرُ
يُعِيْدُوْنَ مَجْدًا نـاصِعًـا مِنْ مـآثِــرٍ * * تُـذَكِّرُنا التَّـارِيْـخَ غَـضًّـا فَنَفْـخَـرُ

فهنا يحكي الشاعر في هذا النص عن مناسبة اجتماعية ، كانت بمناسبة دعوة ابن خاله الشيخ/ أحمد بن محمد الحكمي له، لحضور حفل عشاء، لكنها كانت أشبه بصالون أدبي، وذلك في منزل يقبع في قمة من قمم فيفاء، ويتضح لنا التقاؤه ببعض الفتية من حملة اليراع، ويظهر لنا الفخر بهؤلاء الصبية الذين التقاهم، وسعادته بهم، فهم أشبه بالمصابيح المضيئة، التي تنير الدرب، وهم الأمل لأمتهم، في استعادة مجدهم وعزهم.

- **المناسبات الإخوانية:**

وكان للمناسبات الإخوانية حضور في شعره ، على الرغم من توحده، وميله إلى اعتزال الناس، لكن كان ثمة كوة جعلها للفرجة، منها يطل على الحياة من حوله، وعلى المجتمع، وله قصائد معدودة في هذا، منها قصيدته التي نظمها بمناسبة وداعه للأستاذ صالح الأحيدب[2]:[3][4]

يـا شِـعْـرُ هَـلْ لَـكَ في وداعِ الأمثـلِ * * مِّمنْ عَـرَفْـتَ مِـنَ الرجـالِ الكُمَّــلِ
مِنْ إِخْوَةِ الدِّيْـنِ الحَنِيْـفِ ومَـنْ لَـهُ * * سِيْــما الكِـرام مِـنْ الرَّعِيْلِ الأَوَّلِ
فِيْـهِ الـدَّمَــاثَةُ، لا تَفِيْــها صَـفْحَـةٌ * * مِـنْ نَـوْرٍ وَرْدٍ سُطِّـرَتْ بـالَـمنْدَلِ؟
مـاذا أقـولُ، وكُــلُّ حَـرْفٍ شــاردٌ؟ * * مَـا للقـــوافِي لـم تَعُـدْ تَنْقَـادُ لـيْ؟

١- نفسه ص:٩٤.

٢- الأستاذ/ صالح الأحيدب، مدير الإدارة الهندسية بجامعة الإمام كما جاء في الديوان المحقق.

٣- حدث في تفعيلة البحر الكامل الوقص، أي حذف الثاني المتحرك من « متفاعلين» وهو صالح عند العروضيين لكن الأفضل اجتنابه وكان بإمكان الشاعر أن يقول» لوددت أن لم تنقل» كما أشار المحقق.

٤- مرافئ الحب ص:١٧٠.

يـا صالـحَ الأعـمـالِ ظلُّـكَ وارِفٌ * * فـي مَعهــديْ لكنَّــهُ لــم يَكْمُـلِ
إنَّـيْ - وربِّـكَ مِـنْ شُعُـوْرٍ جامِـحٍ * * مِـنْ شـاعـر - وَدَدْتُ أنْ لم تُنْقَـلِ()
لكـنْ غَبطْتُـكَ إذ لَحِقْتَ بِمَاجِـدٍ * * نَـدُبٍ تَـرَعْرَعَ فـي غِيـاضِ الأَشْبُلِ
يَـزْهُـوْ جَمَالاً بالوَفـاءِ الأَجْمَـلِ * * حـانَ الـوَدَاعُ، ويَـا لَـهُ مِـنْ مَوْقِفٍ
حُـزْنٌ لبَيْــنٍ، أمْ سعـادةُ مَـنْـصِـبٍ * * ثـانِ، وحَشْـدٌ مِنْ سُرورٍ سَلْسَلِ؟()

فيسرد لنا الشاعر في قوالب مموسقة، سجايا شخصية الأستاذ صالح، الزميل الصالح مشيدا بالجميل من صفاته: من ذكاء، ودماثة، وإخوة، وإخلاص، والشاعر في حيرة، فلا يدري أيفرح بالمنصب الذي تقلده صديقه؟!، أم يحزن على فراقه وانتقاله؟!، وفي نهاية النص يتمنى له كل الخير والسداد، وأن يكون طريقه سهلا ميسرا، وهنا نلمس الحب، والوفاء، الذي يحمله الشاعر لصديقه.

ويلفت النظر احتفاء الشاعر الفيفي بشخصيات عديدة، عايشها، وقضى زمنا في العمل معها، فقد كان حفيا بكل قادم، ولو من بعيد للعمل معه:[1]

أَيُّـهَا الطَّائِـرُ المُهَـاجِرُ أَهْــلا * * بِـكَ ضَيْـفًا حَلَلْـتَ فـي ظَهْـرانِ
أيُّ وَكْـرٍ وُفِّقْـتَ للْحِــلِّ فِيْــهِ * * فُـزْتَ بَيْـنَ الأحْبَـابِ والخِـلَّانِ
أَنْـتَ بَيْـنَ الإخْـوانِ لَسْتَ غَرِيْبًا * * الكِنَانِيْ يَـعْتَــزُ بـالْقَحْطَـاني

فهذه قصيدة نظمها الشاعر بمناسبة تعيين أحد المدرسين، من إحدى الدول العربية في ظهران الجنوب، ووصفه بالطائر المهاجر إلى أهله، وأحبابه، وليس غريبا عنهم، ولا ينسى التاريخ ما بينهم من أواصر القربي، والمحبة، والأخوة في الدين والعروبة.

ويبدو أن شاعرنا كان إبان إقامته في عرعر لسان أهلها الذي يرحب، وينافح، ويصافح، ويتغنى بأمجادها، وهذا دليل انسجام، واندغام مع البيئة، والناس هناك:[2]

١- مرافئ الحب، ص:٢٧٣.

٢- نفسه ص:٢٠٥.

أدِيْبٌ جاءَ مِنْ حِجْرِ اليَمامَةْ * * مِنْ التَّارِيْخِ مِنْ سِفْرِ الكَرامَةْ
نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَحْبَابِ أَهْلا * * وَفِي أَحْضَانِ عَرْعَرَ بالسَّلامَةْ
سَكَنْتُمْ فِي القُلُوْبِ بِكُلِّ حُبٍّ * * وفي أَحْدَاقِنَا طِيْبُ الإِقامَةْ

ففي هذه المقطوعة يعبر عن مناسبة إخوانية، كانت بمناسبة زيارة أحد الأدباء لمدينة عرعر، وها هو الشاعر يرحب بالأديب، معبرا عن فرحته بقدومه في أحضان عرعر.

- **المناسبات الشخصية**

وكان لبعض الأحداث الشخصية، التي تركت أثرا في الشاعر حضور في شعره، أراد من خلال حرفه توثيقه، ونقله لمحبيه، والعارفين به، من ذلك قوله:[1]

يا دَوْرَةً ما كانَ أَتْعَسَني * * إذْ جِئْتُها طَوْعًا وأَشْقاني
ظَنَنْتُها عَذْراءَ فاتِنَةً * * فَحَرَّكَتْ شَوْقِيْ ووِجْداني
وجَدْتُها شَمْطَاءَ مُدَبِرَةً * * حَمْقَاءَ كَسْلَى جِسْمُها فَانِ
قدْ كَشَّرَتْ عَنْ نابِها وبَدَتْ * * كأَنَّها مِنْ نَسْلِ شَيْطَانِ
قدْ شَاءَت الأَقْدَارُ ليْ أَنْ أَرَى * * أَمْثَالَ(هيَّان بْنِ بيَّانِ)[2]
أصبحتُ بعدَ العزِّ في عَمَلِيْ * * أَرْتَاعُ مِنْ زَيْدٍ وعَلاَّنِ
مِنْ خَوْفِ«دُكْتُورٍ» يُهَدِّدُني * * أَوْ مِنْ مُعِيْدٍ يَتَحدَّاني
كَأَنَّني بيْنَهُما كُرَةٌ * * يَقْذِفُنيْ الأَوَّلُ للثَّانِي
ورُبَّ «دُكْتُورٍ» بُلِيْتُ بِهِ * * أَخْلاقُهُ أَخْلاقُ سَجّانِ»

ففي هذا النص تحدث عن مناسبة شخصية، تحكي التحاقه بدورة تطويرية، عقدتها جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.[3]، فيبدو لنا الشاعر متذمرًا، ومتضجرًا لأمر ما، في هذه الدورة، يبرزه بلغة ساخرة مستهزئة.

١- مرافئ الحب ص:٢٦٧-٢٦٨.
٢- كسرة النون في «بيَّان» بحاجة للإشباع؛ ليستقيم الوزن.
٣- نفسه ص:٢٦٨.

* أعيان المجتمع وأدباؤه

شاعرنا إنسان صادق، واضح، كرّس حياته لأجل مبادئه، ومن ثم كان إعجابه لا يحد ببعض الشخصيات الفاعلة، ممن لها قصب السبق في العمل للصالح العام:[1]

يَـوْمَ كـانَ الشَّمْـلُ مُجْتَمِعًا * تَحْـتَ ظِـلِّ اللَّيْـثِ ذيْ اللُّبَدِ
لَيْـثِ غَـابٍ صـانَ غَيْضَتَهُ * بـذكـاءٍ جِـدِّ مُتَّقِـدِ
ما نَمـا فـي قَلْبِـهِ وَجَـلٌ * ضَيْـغَمٌ مِـنْ أَشْجَـعِ الأُسُـدِ
يـا نُفُوْسًـا كُنْـتَ تُكْرِمُهـا * جاهـرتْ بالحِقْدِ والحَسَـدِ
زُمْـرَةٌ فَـاحَتْ رَوَائحُهُـمْ * بِزَفِيْـرِ النَّفْثِ فـي العُقَـدِ"

فهنا يمتدح الشاعر خاله الشيخ/ محمد بن أحمد الحكمي الفيفي، شيخ قبيلة آل حكم بفيفا، ويظهر الممدوح بذكائه، وحنكته، وعمق فكره، ورشده، وشجاعته، ووفائه لقومه، وذلك يعكس ذات الشاعر الفخورة، ودلالة على المكانة التي يتقلدها الممدوح في نفسه، وهنا نلمس العاطفة المتدفقة، والمعاني الصادقة.

ونراه أيضًا يقدر أهل النخوة من ذوي المروءة، والسماحة، فيبثهم حبه، وإعجابه، ويسجل في شعره مآثرهم، وكأنها شهادات للتاريخ لهم، فيمتدح النابهين من قومه من أولي الحل والعقد:

أبـا فَيْصَـل، واللهُ أَعْطَـاكَ رِفْعَـةً
فَبُوْرِكْتَ بالتَّـرْفِيْـعِ تَسْمُـوْ وتُحْبَـرُ
عَـزَفْـتَ على قِيْثَـارَةِ النُبْلِ مَقْطَعًا
بَدِيْـعًا عَـنِ الـذَّوْقِ الرَّفِيْـعِ يُعَبِّـرُ
وإِنِّـي-رَعَاكَ اللهُ يـا شَيْخُ-مُعْجَـبٌ
بِنَهْجِكَ فـي اللأْوَاءِ بالحَـقِّ تَجْهَـرُ

١- نفسه، ص:٧٤.

حَلِيْـمٌ، ولكــنْ لا تُــدَاسُ كَـرَامَـةٌ
حَكِيْمٌ،عفِيْفُ النَّفْسِ، شَهْـمٌ، مُظَفَّــــرُ
نَشَأْتَ عِصَـامِيًّـا طَمُوْحًـا مُكَافِحًـا
شَقَقْـتَ الطَّرِيْقَ الصَّعْـبَ، تَصْبُوْ وتَصْبرُ
صَفَعْـتَ جَبِيْنَ الجَوْرِ والبَغْيِ والخَنَا
وقُلْـتَ لأَهْـــلِ الكِبْــرِ: اللهُ أَكْبَــــرُ
هَـزَزْتَ قَنَـاةَ العَـدْلِ فـي كَفٍّ واثِـق
وأَلْهَبْـتَ ظَهْـرَ الظّلْـمِ، والحَـقُّ يُنْصَـرُ
فيـا رُبَّ صَعْـبٍ رُضْـتَهُ فَتَرَكْتَــهُ
ذَلُـوْلاً وقَبْـلاً كـانَ يَرْغُـوْ ويَهْــدِرُ[1]

فالشاعر هنا يمتدح أبا فيصل، وهو القاضي الشيخ الأديب علي بن قاسم الفيفي، وتظهر لنا الحكمة، والنبل والعدل؛ لكونه قاضيًا، ومن منطلق الإعجاب بشخصية الممدوح، والتأثر بفضائله، سعى الشاعر مادحًا؛ تكريمًا وتعظيمًا لتلك الصفات التي وجدها في ممدوحه، وإن كنَّا نلمس المبالغة في المدح، لاسيما في استخدامه لألفاظ تدل على ذلك: (صفعت، هززت، وألهبت).

***

١- مرافئ الحب ص:٨٩-٩٠.

الفصل الثالث
الاتجاه السياسي

البعد القومي والإسلامي

*** البعد الاسلامي والقومي:**

ظهر الاتجاه السياسي لدى الشاعر الفيفي بشكل لافت، من خلال مناقشته للعديد من القضايا على المستوى الاسلامي والقومي.

ويبكي الشاعر الحال الذي وصل إليه المسلمون، بعد أن كانوا في عزة ومنعة، فقد آل حال أمة الإسلام إلى الضعف:[1]

«ذاك أَنَّ الإِسلامَ أَضْحَى غَريبًا * * بَعْدَ عِزٍّ ومَنْعَةٍ وحُمَاةِ

لَهَبُ الحُزْنِ في ضَمِيْرِيْ شُواظٌ * * مِنْ يُعِيْدُ إليَّ مَجدَ الأُباةِ؟!

أَيْنَ عَمْرٌو وخالدٌ وصلاحُ الـ * * ـدِّينِ؟! آهًا يا هاذمَ اللَّذاتِ!

كيفَ ترضَى لأُمَّتي بهيامٍ * * في متاهاتِ فُرْقَةٍ وشَتاتِ؟!

فرَّقَتْ جَمْعَنا مذاهبُ شَتَّى * * وانْطَلَقْنا نكْبُو مِنَ العَثَراتِ"

فيتساءل: أين من يعيد للإسلام عزه ومجده وقوته؟ ويستحضر شخصيات إسلامية، طالما دافعت عن الإسلام، ووقفت في وجوه أعدائه، مثل: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وصلاح الدين الأيوبي، الذي انتصر في معركة حطين الشهيرة، واستعاد المسجد الأقصى المبارك من يد الصليبيين، وقد أصبحت الأمة بعد هؤلاء في فرقة، وضياع، وشتات، وطائفية، واختلاف في المذاهب، ونشوء العصبيات، والنعرات، وانحطاط الأخلاق، والابتعاد عن المكارم والقيم الإسلامية، والمبادئ، كل ذلك كان سببا رئيسًا للتفريق بين

١- مرافئ الحب ص:٦١-٦٢.

المسلمين، وتشتيت شملهم، و نشوء الكراهية، والبغض والعداء بينهم.

والعدو سببا رئيسا في نشوء هذه النعرات والتفرقة:[1]

«ظَهَرَتْ دولةُ الخنافسِ، قالوا: ** هِيَ فَنٌّ مِنْ أَحْدَثِ الموظاتِ

ثم قالوا تَقَدُّمٌ وارتقاءٌ ** لم يَكُنْ في عُصُوْرِنا الماضياتِ»

فها هو يذم العدو، وينعي على المسلمين تبدل حالهم وأخلاقهم، بدعوى التقدم والارتقاء والحضارة والفن، وذلك -بنظره- ليس إلا عارًا، ورجعية، ومنظرًا تشمئز منه النفوس، وتخليًا عن القيم والأخلاق الإسلامية السمحة، التي كانت من شيم رجال الأمة، من عصور الأمة الماضية، الذين حموا الدين، ووقفوا في وجوه أعدائه، بسيوفهم، بكل شجاعة.

ومازال الحديث قائما حول العدو:

«لَيْتَ شِعْرِيْ الجُعْلانُ[2] في أَيِّ وَقْتٍ

تَنْبَرِيْ في ثِيَابِها المُسْبَلاتِ

تَتَهَادَى مِثْلَ الخنافسِ تِيْهًا

تَتَبَاهَى بالعِزِّ والأُبَّهاتِ»[3]

حيث يبكي تكالب الأعداء على أمة الإسلام، ويصفهم بالجعلان التي تفرق، ولا تجمع، ويتباهون بالعز، ويتظاهرون بالقوة والشجاعة، وهم مثال للجبن والضعف.

وليس لاستعادة الامجاد إلا شباب الأمة، أصحاب الهمم العالية:[4]

«صَرْخَتِيْ في الشَّبابِ هَلْ منْ مجيب؟ ** ها أنا ذا أَهُمُّ بالزَّفَراتِ!

عَوْدَةً يا شبابَ أَرْضِيْ لِدِيْنٍ ** وَحَّدَ الكَوْنَ مِنْ جَمِيْعِ الجِهاتِ»

١- نفسه ص:٦٢.

٢- الجعلان كما جاء في لسان العرب اجتعل الشيء: صنعه، يقال: اجتعل من الخشب سريرا، واجتعل الجعل: قبله وأخذه، وجاء في المعجم الرائد أجعل الماء: كثرت فيه الجعلان، وهي الخنافس.

٣- مرافئ الحب ص:٦٢.

٤- نفسه ص:٦٣.

فالشاعر هنا يصرخ بالشباب لاستعادة الأمجاد، متسائلا هل هناك من ينهض، ويلبي النداء، ويدعوهم للعودة إلى دينهم، الذي جمع المسلمين، ووحدهم، وجاء رحمة للعالمين؛ فعودتهم له يعني عودتهم لعزهم، ومجدهم.

والفكر في حيرة مما يجري، ولكن يبقى الأمل بعودة الأمجاد، وتبدل الحال:

«حارَ فِكْرِي ولَيْسَ في القَلْبِ يَأْسٌ
مِنْ بُناةِ الهُدَى وعَصْرِ مَواتِ
وصُقُوْرٍ تَنْقَضُّ مِنْ كُلِّ صَوْبِ
ولُيُوْثٍ عِنْدَ اللِّقَا[1] ضارياتِ
سَنَراكُمْ يا نَشْءُ أَضْوَاءَ نُوْرٍ
فاسْتَعِدُّوا وكُلُّ آتٍ آتِ
وغَدًا والغَدُ القريبُ كَفيْلٌ
بِسُرَاةٍ وقُدْوَةٍ وهُداةِ
فطُموحُ الشَّبَابِ أَسْمَى وأعْلَى
مِنْ جِبالٍ شُمِّ الذُّرَى شامخاتِ
وسلاحُ الإيمانِ أَقْوَى سلاحًا
مِنْ هَزِيْمِ الصَّارُوْخِ والطَّائِرَاتِ»[2]

فالشاعر هنا في حيرة، ولكن قلبه في تفاؤل بتغير الحال للأفضل؛ ففي الأمة صقور تنتفض من كل مكان، وأسود شجاعة عند اللقاء، لا تستسلم أمام الصعوبات والمحن، متفائلة بالنشء، الذي سيصبح غدا نورًا يشع، وسيُرى ذلك في الغد القريب، مؤكدا بأنَّ طموح الشباب أسمى، وأعلى من الجبال الشمم الراسيات، وقوتهم لا تكمن في السلاح وحده، بل تكمن أيضًا في الإيمان، الذي يهزم قوة الصاروخ والطائرة.

١- سهلت الهمزة في كلمة «اللقاء»؛ لضرورة الوزن.

٢- مرافئ الحب ص:٦٣.

ويعود الشاعر يبكي حال العرب، متضجرا من الوضع الذي وصلوا إليه:[1]

«تَـعَـادَوا أَيَّـها الـعَـرَبُ ** تـفانَـوا بَـيْـنَكُـمْ نَسَـبُ
ومَـنْ أَوْلَـى بِـطْـحْـنِكُـمُ ** إذا لْـم تَطْـحَنِ النُّجُـبُ؟!
تـرامُـوا واهْـرَعُـوا قُـدُمًا ** حـشـيـشًـا وقـتُـكُمْ ذَهَبُ!
وزيـدوا في مـعـاطِـنِكُـمْ ** لـعـلَّ الأرضَ تـلـتهـبُ!
صِـلُـوا منـهـا قَـرَابـتَكُـمْ ** فـأنـتـمْ وَسْـطَـهـا الَحطَـبُ!
وأعـطُـوا جِـزْيَـةً صُـغُـرًا ** فـهـذه أرضُـكـمْ تُهَـبُ!
رجـعـتُـمْ مـثـلَ أَوَّلِـكُـمْ ** يـعـيـشُ الـثـأرُ والـطَّلَـبُ!
أعيـدوهـا كـمـا بَـدَأَتْ ** حـروبًـا مالـها سَـبَـبُ!»

فيؤكد في -هذا النص- بأنَّ حالة الضعف التي وصل إليها العرب قد أدت إلى نشوء النزاعات، والعدواة فيما بينهم، على الرغم من معرفتهم بحجم الأخطار، التي تحيط بهم، من أعدائهم، وعلى الرغم من الأخوة، والمصير المشترك، الذي يجمعهم، وها هو يصور العرب بالحال الذي وصلوا إليه- في هذه الأبيات- بأسلوب متهكمٍ ساخر.

وقد كان لبغداد نصيب من شعر الفيفي:

«بـغدادُ يـا مِنْبَـرَ الأشْعَـارِ والخُـطَـبِ
كـانـتْ لنـا نَـجْمَـةً تَـسْمُـوْ علـى السُّـحُبِ
بـغدادُ أيـن الـرشيـدُ الـيـومَ يـُنقذها
من عُـصْبَـةِ الـزَّمْـرِ والتـطبيلِ والطَّرَبِ
مـاذا دَهـاهـا؟ لُعَـابُ الفُحْشِ مُنْسَـدِلٌ
على شـفـاهِ سَـفـيْـهٍ سَـيِّءِ الأَدَبِ
يَـصُبُّ مِذْيـاعُهـا المَوْبُـوْءُ نِقْمَـتَهُ
بـالسَّـبِّ والبُهْـتِ والـتَّـجْرِيـحِ والصَّخَبِ

1- مرافئ الحب ص:53.

ما هكـذا كـنـتِ يـا بـغـدادُ فَادَّكـري

دارَ الـــخــلافــةِ والآثـــارِ والــكُــــتُـبِ»[1]

حيث عقد –في هذه الأبيات– مقارنة بين بغداد في الزمن الماضي، حين كانت منارة العلم والأدب، ومنبرا للأشعار والخطب، واستحضر شخصية هارون الرشيد، التي بلغت في عصره أوج عظمتها وعزها؛ فهي دار الخلافة التي كانت قدوةً للعدل والرفعة والعزة، وبين بغداد في زمن الظلم والفساد، ولعل هذه المقطوعة هجاء لإعلام بغداد، حينما أيد صدام عند الاعتداء على المملكة العربية السعودية.

ويدعو للثورة على الظلم:

«ثُوري على البَغْـيِ والإجـرامِ وارتقبي

نـصـرًا مِـنَ اللهِ ذي الإجـلالِ والـغَلَـبِ

ثـوري على الـمارقِ الأفّاكِ وانـتـظري

يـومًا عَدُوَّ الـملا يجثـوْعلى الرُّكَـبِ»[2]

فيمضي في قصيدته طالبًا من بغداد النهوض، ورد الظلم عن نفسها، والثورة على النظام الفاسد الظالم.

ويخاطب الشاعر طاغية بغداد(صدام) قائلا:

«غَدَرْتَ بالجارِ يـا صَـدَّامُ فـي غُــدُرٍ

مِـنَ الليـالي «أهـذي شيـمةُ العـربي»؟!

وأنــتَ تـزعــمُ–مـَزْهُــوًّا ومـنتفخًــا

بـأَنَّ أجــدادكَ الأشـرافُ، يـا عَجَبــي!

إنْ أنــتَ–زَعْـمًـا–تكـونُ مِنْ قُرِيْشَ فقـد

تَـمُـتُّ–حَـتْمًـا–بِـعْـرْقِ مِنْ أبي لَهَـبِ!

١- نفسه ص:٥٧.

٢- مرافئ الحب ص:٥٧.

يا سادراً في طريقِ الغيِّ مُرْتَفِقًا
وَطَاوطَ البَعْثُ لا تَغْتَرَّ بالنَّسَبِ
أشقيتَ نَفْسَكَ يا مصدورُ رُمْتَ إلى
بحرٍ محيطٍ عميقٍ هادرٍ لَجِبِ
سيُصْبِحُ سيفُكَ[1] المَسْلُوْلُ عَنْ كَثَبٍ
بإذنِ رَبِّ الوَرَى عُوْدًا مِنَ الخَشَبِ»[2]

فالشاعر -في هذا النص- يوبخ المحتل، مذكرا إياه بما كان منه من الغدر والظلم، قد نسي حق الجار وشيم العروبة، وزعم بشرف نسبه، و ذلك ليس إلا غرورا قد أعمى بصيرته، ولعل هذه المقطوعة كانت ردا عليه عندما احتل دولة الكويت.

ويطلق دعوةً لشعب الكويت:

«يا شعبَنا في الكُوَيْتِ الحُرِّ أُغْنِيَتي
اللهُ أكبرُ في السَّراءِ والكُرَبِ
لا يُرْجِعُ الحَقَّ إلا صارمٌ ذَرِبٌ
في كَفِّ أَرْوَعَ مَرْقِيٍّ منَ العَطَبِ
لَعَلَّكُمْ أَنْ تُجِلُّوا -عِنْدَ عَوْدَتِكُمْ
أرضَ الكُوَيْتِ مِنْ الأَدْرَانِ والجَرَبِ
رُدُّوا إليها سَنَا الإسْلامِ مُؤْتَقًا
بالحُبِّ مُنْبَثِقًا مِنْ صَدْرِها الرَّحِبِ»[3]

حيث يدعوهم للعودة إلى بلادهم، والصمود على أرضها، والرجوع إلى الإسلام، والتمسك بتعاليمه؛ فذلك كفيل بطرد العدو من بلادهم ذليلا صاغرا، وعودة الأمن والعز والسيادة.

١- لاستقامة الوزن لابد من إشباع حركة الحاء في «سَيُصْبِحُ» كما أشار المحقق.

٢- مرافئ الحب ص:٥٨.

٣- مرافئ الحب ص:٥٩.

و يوجه دعوة لشباب بلاده للتطوع:

«يا جَـذْوَةً فـي شَبَـابِ الـدِّيْـنِ أَجَّجَـها
غَـزْوُ الكُـوَيْتِ فَثَـارَ النَّقْـعُ باللَّهَـبِ

مِـنْ هـذه الأرضِ شَـعَّ النُـوْرُ وانطَلَقَتْ
جحافـلُ الفتـح في الآفـاقِ عَنْ رَغَـبِ

إلى الــتَّطـوُّعِ يَـرَوُوْنَ الـثَّرَى بِـدَمٍ
مِـنَ الفُـؤادِعلى الأقْــدامِ مُنْسَكِـبِ»[1]

فقد دعى الشباب للمشاركة في الحرب؛ للدفاع عن الكويت، إذ قال: تطوعوا أيها الشباب، وتحلوا بالشجاعة في وجه عدوكم، فمن أرضكم شع نور الإسلام، وانطلقت جيوش الفتوح لجميع الأقطار، ثوروا، وارووا الأرض، واسقوها من دمائكم الطاهرة.

وكان لقضية فلسطين حضور قوي في وجدان الشاعر الفيفي، ولا يخفى على كل مسلم وعربي ما تعرضت له فلسطين من أنواع الظلم والاعتداء، وما تعرض له شعبها من ألوان التعذيب، والتشريد، والتغريب؛ ففلسطين قضية شغلت أذهان العرب والمسلمين، فهي التي هيمنت ومازالت تهيمن على الشعر العربي المعاصر، فقد تأثر الشعراء بهذه القضية التي سرت في عروقهم ودمائهم، وجعلوا لها مكانا واسعا في قلوبهم وأشعارهم، فدافعوا عنها بسلاح الكلمة، وصوروا لنا كل ما يحدث في تلك الأرض، فكان الشاعر بمثابة المصور الذي يضع المشاهد أمام صورة حية، فيسرد الأحداث للقارئ، وكأنه يشاهد ما يحدث بأم عينه.

فقد صوروا لنا الطفل الفلسطيني، الذي لا يملك سلاحا يدافع به عن وطنه سوى الحجارة، وصوروا ذلك الرجل المناضل المتمسك بأرضه، رغم كل ألوان السجن، والتعذيب، والاضطهاد، وذلك الشاب الطموح، الذي يدافع عن قضيته، بكل ما يملك، ويحمل سلاحه البسيط، ويقف أمام العدو، ويدفع دمه

١- نفسه ص:٥٩.

وروحه مقابل عودة بلاده، وخروج المحتل منها ذليلا، وصوروا ذلك الشهيد الذي رحل عن أرضه، بعد أن بلل ثراها بدمائه الزكية، وتلك المرأة المربية، المناضلة، التي وضعت على أكتافها الكوفية، وحملت راية بلادها، ووقفت في وجه عدوها، مدافعة عن أرضها وشرفها؛ فقد هب الشعراء بكل ما يملكون من أساليب، وفنون شعرية؛ «فقد ارتبطت نشأة الشعر بهذه القضية زمنيًا، وليس المعنى كيف أن القضية أصبحت موضوعا للشعر، وإنما المقصود ما الذي خلقته هذه القضية من مواقف، وأساليب شعرية، ووعي شعري».[1]

والشاعر هنا يحيي كفاح أطفال الحجارة، ويشيد بدورهم في نصرة قضيتهم:[2]

«أَمْطِرُوْهُمْ مِنْ راجِمَاتِ الحِجَارَةْ
وَابِلاً مُلْهِبًا يَذُوْقُوْنَ نَارَهْ
حاصِرُوْهُمْ في كُلِّ صِقْع وصَوْبٍ
طَارِدُوْهُمْ في كُلِّ حَيٍّ وحَارَهْ
ابْصُقُوا في وُجُوْهِهِمْ واصْفَعُوْهُمْ
ثُمَّ خُطُّوا في كُلِّ وَغْد أَمَارَهْ
اجْلِدُوْهُمْ بِأَلْفِ سَوْطٍ وسَوْطٍ
واصْلُبُوْهُمْ على جِدَارِ المَرَارَهْ
أَفْهِمُوْهُمْ أَنَّ الحِجَارَةْ أَنْكَى
مِنْ صَوَارِيْخِهِمْ وأَقْوَى إِثَارَهْ
عَلِّمُوْهُمْ أنَّ الحِسَابَ المُصَفَّى
حَانَ، والبَغْيُ لا تُقِرُّوا قَرَارَهْ
رَدِّدُوا بالتَّكْبِيْرِ في عُنْفُوانٍ
أَعْذَبَ اللَّحْنِ، ما أَلَذَّ شِعَارَهْ!»

١- احسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشرق، عمان/ الأردن، ط: ٣/ ٢٠٠١م -١٤٢١هـ

٢- مرافئ الحب ص:٨٦.

فنلاحظ إيمان الشاعر الفيفي الكامل -كغيره- بهذه القضية، وما عاناه الشعب الفلسطيني من الاضطهاد، والتشريد، والتغريب عن الوطن، وحقه في الدفاع عن أرضه، والعودة إليها، وذلك يدل على وعي الشاعر بهذه القضية، ومالها من الحقوق؛ .فحيًّا كفاحهم، وتغنى بأطفال الحجارة، وحثهم على الاستمرار في صد العدو.

ويوجه النداء لفلسطين قائلا:[1]

«يا فِلَسْطِيْـنُ يـا غِنَـاء الـدَّوَالِيْ * * يـا تُرَابًـا يَـفُـوقُ دُرَّ المَحَـارَهْ
الـجِهَـادَ الـجهَـادَ، واللهِ إِنَّـا * * قَـدْ حَلَفْنـا ماتُسْدِلِيْـنَ الـسِّتَـارَهْ
ما شَكَكْنَـا يـا أَرْضُ، واللهِ نَـدْرِيْ * * أَنَّـكِ سَـوْفَ تَقْدَحِيْـنَ الـشَّـرَارَهْ»

حيث يناديها لإعلان الجهاد، ورد العدوان، ولن تخيب ظنه؛ فهي أرض الأبطال، والجهاد، وتكراره لكلمة الجهاد يؤكد رؤيته لنا بأنه الحل الوحيد لهذه القضية.

أما هنا فيوجه النداء للعدو قائلا:[2]

«يـاحِثَـالات أَحْقَـرِ النَّـاسِ جِئْتُم * * مِنْ أُتُـونِ الـسَّفَالَـةِ والـقَـذَارَهْ
هَـلْ لَـهُ الـحَـقُّ في البِـلادِ لَقِيْـطٌ * * مُجْـرِمٌ جـاءَ مِنْ بُيُـوتِ الدَّعَارَهْ؟
اسْتَعِـدُّوا فَقَـدْ أَتَـاكُـمْ شَبَـابٌ * * مِنْ بُطُونٍ تَنُـثُّ مِنْهَـا الـطَّهَـارَهْ
يَـحْمِلُـوْنَ شُـوَاظَ نـارٍ تَـلَظَّى * * مِنْ شَظَايَـا التَّـارِيْخِ مِنْ كُلِّ دارَهْ»

وهنا يكرر وعيده وتهديده له، مخاطبًا إياهم: ليس لكم حق بهذه الأرض، يا أحقر الناس وأقذرهم، إنما هي حق شعب من أبناء طهر وشرف، بذلوا الغالي والنفيس من أجلها، ونذروا أرواحهم للدفاع عنها، والموت في سبيلها، فلن يملَّوا من محاربتكم، وإخراجكم من ديارهم أذلة صاغرين.

١- نفسه ص:٨٦-٨٧.

٢- مرافئ الحب ص:٨٧.

ويمضي في بيان جبن المُحتل في المعارك:[1]

«يا لَهُ مَنْظَرًا يَهُزُّ الحَنَايَا * * بل يُثِيْرُ في النَّفْسِ أَحْلَى عِبَارَةْ
عَسْكَرِيٌّ مُدَجَّجٌ مُسْتَبِدٌّ * * مِنْ جُنُوْدِ النَّذالَةِ والحَقَارَةْ
يَتَمَطّى بَيْنَ الجُنُوْدِ افْتِخَاراً * * رُبَّما كانَ مِنْ كِبَارِ النَّظَارَةْ
يَنْزَوِيْ إِنْ رَأَى تَنَمُّر طِفْلٍ * * مِثْلَما تَنْزَوِيْ إلى الحُجْرِ فَارَةْ»

فمن خلال أسلوب القص الذي أورده الشاعر في النص، يظهر لنا ذلك العسكري الذي يتبختر في قومه، ويظن نفسه شجاعا لا يَهاب، ولكن عند رؤية الطفل الفلسطيني يختبئ وراء الجدران، كما تختبئ الفئران خلف الصخور.

ومن منطلق ايماني ثابت بهذه القضية، وألمه لما يحدث، ينعي الشاعر أولى القبلتين وثالث الحرمين (المسجد الأقصى):[2][3]

«مَسْجِدُ القُدْسِ يُنَادِيْ الحَرَما * * ساكِبًا مِنْ مُقْلَتِهِ الدَّمْعِ دَما
وَيْحَ مَسْرَى سَيِّدِ الخَلْقِ عَلا * * صَوْتُهُ مُسْتَنْجِداً مُسْتَرْحِما
عَرْبَدَ الإِجْرامُ في سَاحاتِهِ * * والقُوَى الكُبْرَى تُعِيْنُ المُجْرِما
صَرْخَةُ المِحْرابِ تُذْكِيْ أَلَمِي * * جُرْحُهُ الدَّامِيْ يُشِيْبُ اللِّمَما
يَشْتَكِيْ مِنْ وَطْأَةِ القَسْرِ ومِنْ * * مُسْتَبِدٍّ لا يُراعِي الذِمَمَا
سُلْطَةُ الأَشرارِ تَدْعُوْ بالرَّدَى * * والسِّياطُ الحُمْرُ تَشْوِيْ اليُتَّما
زُمْرَةُ التَّعْذِيْبِ شُذّاذُ الدُّنَا * * أَحْدَثُوا في كُلِّ شَخْصٍ مِيْسَما

فيعرض صورته، وكأنه يبكي وينادي الحرمَ، وهذه دعوة من الشاعر لشباب بلاده للدفاع عن المسجد الأقصى، وعرض صورة أخرى للمحتل، الذي تجاوز كل الحدود، واخترق كل القوانين، وليس هذا فحسب، بل يؤكد بأنَّ هناك أيضًا قوى كبرى تدعم المحتل، وتشد من أزره، ومشهد ثالث للتعذيب، والاضطهاد،

١- نفسه ص:٨٨.

٢- ميسما: جاء في لسان العرب: هي الحديدة التي يُكْوَى بها وأَصلُه مِوْسَمٌ فقُلبت الواوُ ياءً لكسرة الميم.

٣- مرافئ الحب ص:٢٠٧.

الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني، فيندد الشاعر، ويهاجم اليهود؛ لما فعلوه في الأرض المقدسة، وبالشعب المناضل، على مرأى ومسمع العالم.

ويمضي الشاعر يعرض لنا صورا من فلسطين للمكان والإنسان والأشجار، فصور لنا فلسطين بترابها، وجبالها، وقدسها، بأطفالها ورجالها، ونسائها صغيرها، وكبيرها، بأشجارها وزهورها:[1]

«رُبَّ طِفْلٍ مُحْرَقٍ في مَهْدِهِ ** كانَ يَبْدُو ناضِرًا مُبْتَسِما
جِسْمُهُ النَّاعِمُ أَضْحى شاحِبًا ** وَجْهُهُ الوَضَّاءُ أَمْسَى هَرِما»

فها هو يعرض لنا صورة طفل قد أُحرق في مهده، وأصبح جسمه شاحبا، بعد النعومة والنظارة، والبهاء.

وهذه صورة أخرى لثكلى تصرخ:[2]

«رُبَّ ثَكْلَى في ظَلام دامِسٍ ** صَوْتُها يَنْسَابُ: «وامُعْتَصِما»
اسْتَحالَتْ جُثَّةً هامِدَةً ** إِثْرَ تَعْذِيْبِ العُتَاةِ اللُّؤَما»

ويستلهم الشاعر من الموروث الأدبي العربي كلمة (وامعتصماه)، من خلال إبراز صورة المرأة في ظلام الليل تصرخ وتستنجد ولا مجيب.

وصورة ثالثة لشيخ طاعن في السن، وصورة للفتى الشجاع:[3][4]

«رُبَّ شَيْخٍ طَاعِنٍ في سِنِّه ** يَزْدرِيْ الطَّاعنَ لَنْ يَسْتَسْلِما
رَافِعًا رَأْسًا عَزِيْزًا صامِدًا ** شَامِخًا شَأْنَ الأُبَاةَ العُظَما»
«رُبَّ شِبْلٍ خَادِرٍ في غِيْلِهِ ** كانَ والرَّشَاشُ دَوْمًا تَوْأَما
عِنْدَما أَبْصَرَهُ جَيْشُ العِدَا ** ظَلَّ يَعْدُوْ هارِبًا مُنْهَزِما
يَرْفَعُ الصَّوْتَ مُهِيْبًا صارخًا ** عاشَ شَعْبِيْ يَعْرُبِيًّا مُسْلِما
ولْيَمُتْ كُلُّ الغُزاةِ الدُّخَلا ** ولْيَعُمَّ العَدْلُ في أَرْضِ النَّمَا»

١- نفسه ص:٢٠٧.

٢- نفسه ص:٢٠٨.

٣- مرافئ الحب ص:٢٠٨.

٤- نفسه ص:٢٠٨.

فهنا يعرض صورة شيخ طاعن في السن، لكنه شامخ شموخ الجبال، صامدا، رافعا رأسه كالعظماء، فلا مجال لديه للاستسلام والخضوع أمام عدوه، وكذا صورة الفتى الشجاع، وسلاحه رشاش وقنبلة، يصرخ في شعبه: العيش لشعبي المسلم اليعربي، والموت لعدوي الدخيل على أرضي وأهلي.

وهذه صورة للأبطال المجاهدين:[1]

«هَلْ رَأَيْتُمْ مَوْجَةَ الأَبْطَالِ في * * سَيْلِها العَارِمِ تَغْلِي ضَرَمَا؟!
هَلْ سَمِعْتُمْ بالهُتَافِ الحُرِّ مِنْ * * فِتْيةٍ يَسْتَنْهِضُوْنَ الهِمَما؟!
فِتْيَةٌ خاضُوا غِمَارا لاهِبًا * * عُزَّلاً يَسْتَعْطِفُوْنَ الشِّيَما»

فيمضي يصور المجاهدين الأبطال، يهتفون بالجهاد، ويستنهضون الهمم، حملوا في قلوبهم كل البطولة والفروسية، وشيم العروبة، ويشرك القارئ معه، من خلال دعوته للنظر معه في تلك الصورة، من خلال تقنية الاستفهام، والتساؤل.

ويمضي الشاعر في تسطير قضيته، من خلال استلهامه لشخصية إسلامية مناضلة:[2]

«يا صَلاحَ الدِّيْنِ لَوْ تَسْمَعُني * * رَوْضَةُ المِحْرابِ صارَتْ حُمَمَا
رَوْضَةُ التَّهْلِيْلِ والتَّكْبِيْرِ * * فيقُدْسِكَ الأَقْصَى تُضاهيْ العَنْدَما
يَنْدُبُ المِحْرابُ أَسْمَى مَجْدِهِ * * ضَاعَ فالمِحْرابُ يَشْكُو الأَلَما»

فالشاعر هنا يستلهم شخصية إسلامية مجاهدة، استطاعت بشجاعتها، وعزمها، أن تنتصر في إحدى أكبر المعارك التاريخية، حيث تمكن من استعادة المسجد الأقصى المبارك من أيدي الأعداء، ذلك هو (صلاح الدين الأيوبي)، والشاعر في هذا المشهد يبكي صلاح الدين، الذي أعاد للإسلام عزه ومجده ورفعته، ويتحسر، وكأنه يقول: يا صلاح الدين لو تسمعنا، لو تعود فيعود للإسلام مجده، ويضج الأقصى بالتهليل والتكبير فرحا.

١- نفسه ص:٢٠٩.

٢- نفسه ص:٢٠٩.

وما أمر لبنان ببعيد عن فلسطين، ولنرى هذا النص الذي يحكي قصتها:[1]

«بَيْـرُوتُ والنَّـارُ وحُكْـمُ الـطُّغَـاةْ * * ونَـوْمَـةُ الـعُـرْبِ وبَغْيُ الجُـنَـاهْ
تَـخُـوْضُ في مُـسْتَنْـقَـعٍ آسِـنٍ * * مِنَ الـدَّمِ المَهْـدُوْرِ يـا أُمَّـتَـاهْ
أَلَيْـسَ بَعْـدَ النَّـوْمِ مِنْ صَحْـوَةٍ * * مِنْ حُلُـمٍ قَـدْ أَرْعَبَتْـهَـا رُؤَاهْ
كَـابُـوْسُهُ يَـجْثُـمُ في عُـمْقِـنا * * يُدْمِيْ الـقُلُـوْبَ ويُكِـمُّ الشِّفَـاهْ»

فيبرز لنا في هذا النص مقدار الانزعاج والغضب، الذي انتاب شاعرنا على لبنان، من أمور عدة ذكرها في النص، وهي اجتماع بيروت بالحرب، وبحكم الطغاة لها، وغفلة العرب عنها، وعرض مشهد الدم المهدور؛ مما يجعل المتلقي يتأثر بتلك المشاهد، ويتفاعل معها، ويستمر الشاعر في مناداة أمته بقوله: (يا أمتاه)، داعيًا أمة الإسلام إلى الصحو من غفلتها، اذن نحن بزاء ذات متألمة لما يحدث، عاطفة صادقة، تظهر جلية في النص.

وها هي لبنان أضحت بلا حارس يحميها:[2]

«لُبْنَـانُ يـا سَرْحًـا بـلا حَـارِسٍ * * تَغْتَـالُهُ في كُـلِّ يَـوْمٍ عُـدَاهُ
شَـعْـبٌ شَـرِيْـدٌ تَـائِـهٌ هَـائِـمٌ * * مُشَـرَّدٌ لا يَـعْـرِفُ الِاتِّجَـاهْ
مَبَـادِئُ الأَحْـزَابِ حَلَّـتْ بِـهِ * * وخَـدَّرَتْـهُ ثُـمَّ حَلَّـتْ عُـرَاهْ»

فهنا ينقل لنا النص معاناة الشعب اللبناني، الذي أضحى بلا رئيس يحكمه؛ فقد غدا هائما متشردا، مزقته العصبية، وفرقت جمعه الطوائف، وأبعدته عن المسار الصحيح، وإلا لبقي صامدا شامخا لا ينهار، ولا يذل، ولعل الشاعر يقصد بذلك المشهد السياسي الداخلي في لبنان، ومسرح الاغتيالات بين أبناء الشعب الواحد.

١- مرافئ الحب ص:٢٧٧.

٢- نفسه ص:٢٧٨.

وتستمر المعاناة:[1]

«يا مَنْ رَأَى الأَشْلاءَ مَشْوِيَّةً * * بَيْنَ رَمَادٍ مِنْ وَقُوْدِ الغُزَاةْ
ما هَالَنِيْ مَرْأًى سِوَى طِفْلَةٍ * * مَحْرُوْقَةِ الخَدَّيْنِ «يا رَحْمَتَاهْ»
مَقْطُوْعَةِ الكَفَّيْنِ، يا مَنْظَرًا * * يَا لَيْتَنِي ما كُنْتُ يَوْمًا أَرَاهْ
مُضَمَّدٌ يَرْنُوْ بِعَيْنِ الأَسَى * * مَنْ حَوْلَهُ؟ هَلْ أُمُّهُ لا تَرَاهْ؟
والأُمُّ يا طِفْلاهُ مَحْمُوْلَةٌ * * على سَرِيْرِ النَّعْشِ واحَسْرَتَاهْ!
بَكَيْتُ - واللهِ - بُكَاءَ امْرِئٍ * * مُلَوَّعٍ لَوْ كَانَ يُجْدِيْ بُكَاهْ»

فيستمر النص في عرض الصور المؤلمة، حتى بكى، وشاركه المتلقي ذلك البكاء؛ فأخذ الشاعر يصور الحرب التي شوت الأجسام، فأصبحت كالرماد، وأحرقت الأرض، وفرقت الجمع، وأهلكت الحرث والنسل؛ فهنا طفلة قد أحرق خداها، وهناك أخرى قطعت يداها، وتلك أم تصرخ بأطفالها، وهي على فراش الموت تصارعه.

وفي شبر آخر من العالم الإسلامي يقول شاعرنا:[2]

«فيا سادةَ الدُّنْيَا، سَلامٌ، وعَبْرَةٌ * * وغُصَّةُ مَحْزُوْنٍ، وسَيْفٌ مُثَلَّمُ
تكالَبَتِ الأَعْداءُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ * * تَدَاعَتْ على الإِسْلامِ تِلْكَ الشَّراذِمُ
«سَرايِيْفُ»-يا رَبَّاهُ- أَضْحَتْ كما تَرَى * * تُدَاسُ بأَقْدَامِ النَّصَارَى وتُهْدَمُ
وتُنْتَهَكُ الأَعْرَاضُ * * فِيْها وحَسْبُنَا قَرَاراتُ
شَجْبٍ واعْتِرَاضٌ مُنَعَّمُ * * وقامَ «الصَّلِيْبُ» الوَغْدُ يَغْتَالُ عِزَّنا
يُساعِدُهُ غَدْرٌ وجَيْشٌ عَرَمْرَمُ * * رَأَوْا مِنْ أُسُوْدِ اللهِ نَوْمًا فَعَرْبَدُوا
كذا يَفْعَلُ الخِنْزِيْرُ * * إنْ نامَ ضَيْغَمُ»

ففي هذا النص تناول الحديث حول قضية شغلت المسلمين (قضية البوسنة)، التي الهمت الشاعر، وأثارت القوافي لديه، ونقل لنا ما حدث في تلك البلاد من تكالب الأعداء، وانتهاك المحارم، والأعراض، والأرض وطئت

١- مرافئ الحب ص:٢٨٠-٢٨١.

٢- نفسه ص:٢١٣-٢١٤.

أقدامها النصارى، ورفعوا الصليب محاربة لعز الإسلام، والعالم لا يملك أمام هذه المشاهد سوى الشجب والاستنكار.

وها هو مجلس الأمن المتخاذل أمام قضايا العرب والمسلمين:[1]

«مَجْلِسُ الأَمْنِ كَيْفَ سَمَوْهُ أَمْنًا؟! * * وهْوَ بالغَدْرِ والنِّفَاقِ يَدِيْنُ
مَجْلِسُ الأَمْنِ والسَّلامُ المُسَجَّى * * والقَرارَاتُ كُلُّها تَأْبِيْنُ
وغُمُوْضُ الأَلْفاظِ في كُلِّ بَنْدٍ * * ضَاعَ فِيْهِ البَيَانُ والتَّبْيِيْنُ
كُلُّ بَنْدٍ بَلْ كُلُّ حَرْفٍ ولَفْظٍ * * مَحْضَرٌ صِيْغَ مِنْ: «أَدانَ، يُدِيْنُ»

فينتقد الشاعر الأمم المتحدة، ممثلة في مجلس الأمن، الذي وقف أمام قضايا العرب والمسلمين، موقف العاجز، لا يملك سوى الشجب، وهو للغدر، والنفاق، وهضم الحقوق أقرب.

وعند الاعتراض على قرار ما يتخذ ذلك المجلس ما يسمى حق النقض (الفيتو):[2]

«يا فَصِيْحًا يا خَطِيْبًا مِصْعَقًا * * فاغِرًا في مَجْلِسِ الأَمْنِ فَمَا
جَمْرَةُ «الفِيْتُوْ» لَهُ مَشْبُوْبَةٌ * * تَجْعَلُ الآمالَ قَشًّا مُضْرَما
أَيُّها المِنْطِيْقُ رُحْمَاكَ اتَّئِدْ * * ليس بالسَّجْعِ تُصَحِّيْ النُّوَّما
إنْ رَكِنَّا للإدانَاتِ فَقَدْ * * حَلَّ فيها ذُلُّنا لا جَرَما
لا احْتِجاجاتٌ ولا الشَّجْبُ ولا * * لَهْجَةُ التَّنْدِيْدِ تُؤْتِيْ السَّلَما»

فحق النقض (الفيتو) من الأساليب التي يتبعها مجلس الأمن، لنقض قرار ما، وأمام هذا (الفيتو) تنهضم كل الحقوق، وتنقطع الآمال، فلا يجدي بعده لا احتجاجات، ولا إضراب، ولا ،شجب ولا تنديد، والشاعر يؤكد بأن الآمال لا تأتي بالسجع، وحسن الكلام، وعبارات التنديد لا تجدي أمام تلك التحديات، وكأن الشاعر يشير إلى حل هو الأفضل -برأيه- لفك كل ذلك النزاع، وهو (الجهاد).

١- مرافئ الحب ص:٢٤٣_٢٤٥.

٢- نفسه ص:٢١٠.

الفصل الرابع
الاتجاه الوطني

* الفخر بالوطن، وصدق الانتماء
* النهضة والتنمية
* قدسيته
* مدح قادته

الاحتفاء بالأوطان ملمح من ملامح الانتماء والافتخار بين الشعوب والأمم؛ فهو القلب النابض بكل الحب والوفاء لأبنائه، وحق عليهم أن يبادلوه ذلك الوفاء؛ لذا برز ما يسمى -لدى الشعراء- بالشعر الوطني، ونعني ذلك الشعر الذي يتغنى بأمجاد الأوطان ، ورموزه.

فالشعر الوطني من أبرز الاتجاهات لدى الشاعر الفيفي بعد الشعر الوجداني، وقد اتضح فيما يقارب أربع عشرة قصيدة شعرية، والوطنُ لديه يشكل الفخر والجمال والقدسية، فله القصيدة والنشيد، والشعور بالانتماء من سمات الشعر الوطني لدى شاعرنا، «فالشعور بالانتماء للوطن شعور إنساني عام يشترك فيه أبناء البلد الواحد، وأبناء الإقليم الواحد، وأبناء الأمة الواحدة»[1].

فالشعر الوطني يقوم على عدة مقومات وعوامل منها: الوفاء والإخلاص النابع من قلب الشاعر تجاه وطنه، والمعاصرة؛ فهو ممن شهدوا التحولات السياسية، والاجتماعية والتعليمية، والحضارية، وشهدوا فترات حكم ملوك

١- حجاب الحازمي، جازان الشعر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط:١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م ص:١٠٩.

هذه البلاد؛ مما جعله يمتدحهم، ويبرز مكانتهم في شعره، ومكانة المملكة الدينية من أهم العوامل التي جعلت الشعر الوطني ينهمر بغزارة في شعر الفيفي؛ فقد تناول شعره الحديث حول المقدسات، التي هي مهوى أفئدة المسلمين في شتى بقاع الأرض.

❋ الفخر بالوطن وصدق الانتماء

تغنىَّ الشاعر بوطنه، وغنى له، وباهى به، ولا عجب؛ فالإنسان ابن أرضه، مجبول على حبها، والتعلق بها، يتنسم هواءها، ويحنُّ عند الابتعاد، والغربة:[1]

أُمَّةٌ تَعْسِفُ الرِّمالَ وتَمْضِيْ ❋❋ للعُلَا لا تُذيبُها الرَّمْضاءُ
أُمَّةٌ شَقَّتِ المفازاتِ غُزَّى ❋❋ كالسَّراحينِ نَدَّ منها الشَّاءُ
أُمَّةٌ راضَتِ البِحارَ وراحَتْ ❋❋ تَأْطِرُ المَوْجَ فاسْتَقَرَّ الماءُ
بِشِعارٍ مِنْ مَوْرِدِ الطُّهْرِ صافٍ ❋❋ سَلْسَبِيْلٍ يَثِجُّ منهُ الإخاءُ
ولِباسٍ مِنْ مُحْكَمِ الدِّيْنُ ضافٍ ❋❋ مُبْرَمِ النَّسْجِ شُدَّ منهُ الرَّفاءُ

فالشاعر هنا يفخر ببلاده، التي سارت بكل قوة وعزم نحو المعالي، متخذةً من الشريعة الإسلامية والقرآن الكريم دستورًا، ومنهاجًا، تسير عليه، ووقفت في وجه كل الصعاب، والشدائد، حتى أصبحت في أوج عظمتها، وعزها، واستخدام الشاعر لكلمة (أمة) في التعبير لهو دلالة واضحة على عظم هذه البلاد، وقوتها، وعظيم سلطانها بين البلدان الأخرى.

وافتخر بطهرها، وتحكيمها لشرع الله، بعد أن دخلها المؤسس -رحمه الله- في قوله:[2]

حَلَى أرضَها صَقْرُ الجَزِيْرَةِ عَسْجَدا ❋❋ وقَلَّدَها بالأَمْنِ أَزْهَى القَلائِدِ
وطَهَّرَها مِنْ كُلِّ شِرْكٍ وبِدْعَةٍ ❋❋ وزَكَّى ثَراها مِنْ خَؤُوْنٍ وحاسِدِ
فقامتْ على أُسٍّ مَتِيْنٍ مِنَ التُّقَى ❋❋ مَدَى الدَّهْرِ محبوكٍ قَوِيِّ القواعِدِ

١- مرافئ الحب، ص:٤٣.

٢- مرافئ الحب ص:٦٩-٧٠.

وأصْـبَحَـتِ البيـداءُ دارَ إقـــامـةٍ ❊ ❊ خَلتْ مِـنْ هـواديْ وَحْشِـها والأوابـدِ
تـوَشَّـحَـتِ الصَّحْـراءُ واخْضَرَّ رَمْلُـها ❊ ❊ وأَخْصَبَـتِ الجَـدْبــاءُ بَعْدَ الشَّدائِدِ
وحَلَّـقَ في أرجائهـا الطَّيْـرُ مُشْبَـعًا ❊ ❊ وقـد كـان خمصانًا عَدِيْمَ الطَّـرائِـدِ

فيظهر إعجاب الشاعر بشخصية الملك عبدالعزيز المناضلة، والمجاهدة في سبيل تحقق الأمن والأمان، وتحقيق التوحيد الخالص لله وحده، حيث ذكر الشاعر عدة صفات له: من جلادة وصبر، أرضعته صحراؤها النبل والعزة؛ فنشأ أبيًا شامخًا، مُحكِّمًا لشرع الله، وأكد الحال الذي وصلت إليه هذه البلاد بفضل ذلك البطل، وكأنه يقارن بين صورتها في الماضي، وصورتها في الحاضر.

❊ النهضة والتنمية:

وكان للنهضة والتطور، الذي وصلت إليه البلاد نصيب من شعره:[1]

وجيـشٌ مِـنَ التَّعليـمِ يُـزْجِيْ رِكـابَـهُ
لنَنْـهَلَ عَـذْبًـا صافيًـا يُـنْعِشُ الفِكْـرا
رَسَمْنـا طَرِيْـقًا واضِحًـا غَيْـرَ مُلْتَـوٍ
رَصَفْـناهُ تَوْحِيْـدًا فَنِلْنَـا بِـهِ الفَـخْرا
ومـا الجـامعـاتُ السَّبْـعُ إلاَّ شـواهِــدٌ
ومَـنْ غـاصَ بَـحْرَ العِلْـمِ أَلْفَـى بِـهِ الـدُّرّا
نَغُـوْصُ ولا نَخْشَـى الهَلاكَ وإنَّمــا
بأَقْوَى من الفُولاذِ نَسْـتَأْسِـرُ البَحْـرا
غَــزَوْنا الـفَضـاءَ، عَـزْمُـنا وذَكـاؤنـا،
نُسَطِّـرُ في طِـرْسِ الفَضـاءِ لنـا ذِكْـرا

فالشاعر هنا ينقل لنا وصف النهضة التي وصلت إليها بلاده، حيث يؤكد في هذا النص نهضتها في جميع المجالات، لاسيما المجالات التعليمية، على مستوى التعليم العام، و الجامعي؛ فقد شيدت المدارس والمعاهد،

١- نفسه ص:٨٤-٨٥.

والجامعات، حتى وصلت إلى سبع جامعات، كما يمتدح العزم والطموح الذي يعلوا أبناء هذه البلاد.

ونراه يركز على فترة حكم الملك فهد بن عبد العزيز-رحمه الله-؛ فقد وصلت البلاد في عهده أوج عزها، وتطورها، وتحقق من الإنجازات الشيء العظيم، في فترة زمنية قصيرة: [1]

«قَادَهَا الفَهْدُ قَائِداً عَبْقِرِيًا * * قَتَلَ الجَهْلَ بِالمَدَارِسِ قَتْلا
حِيْنَمَا خَطَّ للمَعَارِفِ خَطًّا * * فِي الطَّرِيْقِ القَوِيْمِ مَعْنًى وشَكْلا»

حيث ذكر الشاعر في هذا النص نبذة عن الملك فهد بن عبد العزيز-(رحمه الله)- كأول وزير للمعارف في البلاد؛ وبتقلده المنصب محا الجهل، وقضى عليه، وخط للتعليم طريقا مستقيما، حتى نهضت البلاد في جميع العلوم، والمعارف.

وفي نص آخر يشيد بالقوة العسكرية التي تمتلكها بلاده: [2]

«ففي الأرضِ آسادٌ تَشُلُّ يَدَ العِدا
إذا جُوْبِهَتْ بِالمُرِّ تَسْتَعْذِبُ المُرّا
وفي الجَوِّ تَبْدُو الطائِراتُ عصائِبًا
يُزَيِّنُها التَّوْحِيْدُ والرَّايَةُ الخَضْرا
عليها مِنِ ابْناءِ[3] البِلادِ ضَراغِمٌ
ضَواريْ فَلاةٍ تُتْقِنُ الكَرَّ والفَرّا»

فيشير هنا إلى القوة العسكرية ، على المستوى الأمني والعسكري؛ فقد تحدث الشاعر عن التطور والازدهار الذي وصلت إليه البلاد في مجال الدفاع ، والأمن واستتبابه، وامتلاك القوة لردع المعتدي، ومن رموز تلك القوة الرجال والطائرات، ولم ينس الشاعر القوة الحقيقية، وهي قوة التوحيد؛ فقد ذكر الراية

١- مرافئ الحب ص:١٥٩.
٢- مرافئ الحب ص:٨٤.
٣- همزة «أبناء» سهلت للضرورة كما أشار المحقق.

التي هي رمز للعزة، وتحكيم هذه البلاد للشريعة الإسلامية.

*** قدسيته:**

ومن ما هيج الشعر لدى الشاعر، المكانة العظيمة، التي تحتلها المملكة العربية السعودية، كونها مهبط الوحي، وحاضنة الحرمين:[1]

«يـا بـلادَ الكَعْـبَةِ الـشَّمَّـاءِ، يـا طُهْـرَ المَدِيْنَةْ
مَـأْرِزُ الإِيـمـانِ أَنْـتِ-نِعْـمَ واللهِ-الأَمِيْنَـةْ
وعلـى ظَـهـرِكِ يَـخْتَـالُ شِـرَاعٌ وسَـفِيْنَـةْ
وشَـمَـارِيْـخُ ولِـيْـنَـةْ
وعلـى ظُـهْـرِكِ سـارَ الـمُصْطَفَـى والـخُلَفـاءْ
والـتُّـقَـاةُ الـحُـنَـفـاءْ
وأَقَـامُـوا الـعَـدْلَ في الدُّنْيَـا، وأَلْـوانَ الوَفَـاءْ
وبَـنَـوا للـدَّوْلَـةِ الـعُظْمَـى أساساتٍ مَكِيْـنَةْ
ودِعَـامـاتٍ وأَرْكـانًـا مَتِيْنَـةْ»

ففي هذا النص يفخر بقدسية بلاده وطهرها؛ لما تميزت به عن باقي الأقطار بوجود الحرمين الشريفين على أرضها، وشرف الله أهلها بخدمتهما؛ فهي بلاد القداسات، والطهر، وقبلة المسلمين، ومهبط الوحي، ومشرق نور الإسلام، وفيها سار المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، و من بعده الخلفاء الراشدون -رضوان الله عليهم-، وعلى أرضها أقاموا العدل، وبنوا أساسات الدولة الإسلامية، ودعَّموا أركانها، وهنا يكتسي النص حلة إسلامية، تعانق الأفق الشعري، وترتقي في ثوبها الروحاني.

١- مرافئ الحب ص:٢٢٨-٢٢٩.

* مدح قادته

ولقادة هذه البلاد نصيب من شعره:[1]

«فـإِنَّ بـها سَمْـحَ الشَّـمـائـلِ ماجِدًا
مِـنَ آلِ سُعُـوْدٍ[2] إِخَـوةِ الـسِّلْـمِ والـحَـرْبِ
مِنَ الـدَّوْحَة الغَنَّاءِ غـاصَتْ جُذُوْرُها
لتَـنَـدَاحَ مِـنْ أَعْـرَاقِها ســادةُ الـعُـرْبِ
دمــاثـةُ أخـــلاقٍ ونُـبْـــلٌ وعِـفَّـةٌ
وقُـوَّةُ إِيـمـانٍ ومنــهمْ أبـــو الشَّـعْــبِ
ومِـنْ هَـذه الصَّـحْراءِ أَثْـرَى تـراثُنا
صناديـدَ صِيْـدٍ فـي المَسَرَّاتِ والكَرْبِ»

حيث امتدح الشاعر (آل سعود)، قادة هذه البلاد-المملكة العربية السعودية-وبُناته. والفيفي كغيره من الشعراء، وصفوا الملوك بالتدين، والشجاعة، والحكمة، وكذلك وصفهم بصفات البطولة، ودماثة الأخلاق، والعفة، والنبل، وقوة الإيمان، فهم أبناء الصحراء الصناديد في السلم والحرب، في السراء والضراء، سلاحهم السيف والرمح، فأصبحت البلاد بفضل الله، ثم بقوتهم وشجاعتهم تعيش في رغد، وأبناؤها في أمان؛ فانجلى الخوف عن قلوبهم، بعد أن كانت بلادهم مسرحا للقتل، والعصبيات، والتناحر، والفرقة، وتتجلى القوة في النص من خلال استعمال كلمات قوية في التعبير، ذات دلالة هي:(الحرب، غاصت، الصناديد).

وتغنى بمؤسس البلاد في قوله:[3]

«وانْـثَنَى التَّـارِيْـخُ يَــرْوِيْ لـيْ حِكَـايـاتٍ جَـدِيْدَةْ
قِصَصًـا فَـــوْقَ الـرِّمَـالِ الـحُمْـرِ أَخْبَـارًا فَـرِيْدَةْ

١- مرافئ الحب ص:٥٥-٥٦.

٢- سقوط الهمزة من «آل» ضرورة، بحيث يصبح المقطع كهذا «منال سعود» كما أشار المحقق.

٣- مرافئ الحب ص؛٢٨٣-٢٨٤

مَسْـرَحِيَّـاتٍ علـى الصَّـحْرَاءِ في أَسْمَـى قَصِيْدَةْ
سَكَبَـتْ فـي شَمْـعَـدَانِ الـشِّعْـرِ ما أَحْلى نَشِيْدَهْ
فـارِسٌ مِنْ قَـلْـبِ نَـجْـدٍ غَـاصَ في عُمْقِ العَقِيْدَةْ
حَـوْلَـهُ الأَبْطَـالُ كُـلَّ مَثَّـلَ الأَرْضَ السَّـعِيْـدَةْ»

فالشاعر هنا يسرد قصة صقر الجزيرة، الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- ويسطر ملحمته البطولية، في توحيد أجزاء البلاد؛ فقد خرج من قلب الجزيرة متسلحًا، بسلاح الإيمان والحق، حاملاً سيفه ورمحه، والأبطال من حوله يشاركونه في استعادتها، وتتجلى نظرة الشاعر له كبطل شهم عطر التاريخ بطيب ذكره، وصنع أروع البطولات على أرض الجزيرة، مدافعًا وموحدا، ومعلنًا عن دولة شامخة، تسير على نهج الشريعة الإسلامية السمحة.

وتوالى المدح للقادة من بعده؛ فها هو الملك سعود يقود الركب بعد والده، والسيف الصارم الملك فيصل، والملك خالد يرحمهم الله-:[1]

«وسَـارَ سُعُـوْدُ السَّعْدِ بالرَّكْـبِ سَالِكًا
طريقًـا علـى مِنْهاجِـهِ غَيْرَ حائِدِ
وكَـمَّلَهـا الصَّـمْصامُ[2] باليُمْنِ والهُدَى
فـراقَـتْ لـمُرتـادٍ وراقَـتْ لـرائِـدِ
وأَخْلَـدَ للـرحمنِ فـي عِـزٍّ أَوْجِها
شُمُوْخًـا وفيـها مِنْ لـذيـذِ الموائِـدِ
وقـد صـانَ أبـعـادَ الأمـانةِ بـالوَفا
وأَوْدَعَـها فـي كَـفِّ أبيـضَ ماجِدِ
فـآتـتْ أَلَـذَّ الأُكْـلِ مِنْ يـانِعِ الـجَنَى
وأَثْمَرَتِ الضِّعْفَيْـنِ فـي عَهْدِ خالِدِ»

١- مرافئ الحب ص: ٧٠.

٢- الصمصام هو السيف، والمقصود به الملك فيصل-رحمه الله-

فمن منطلق الفخر بملوك هذه البلاد، امتدح الملك سعود-رحمه الله-،إذ كان عهده عهد سعد على البلاد وأهلها، سار بها في طريق الحق والهدى، ثم خلفه من بعده أخاه الملك فيصل-رحمه الله- الذي وصفه شاعرنا بالصمصام؛ لما له من مكانة كبيرة، ومواقف مشرفة، وبارزة، ومدونة في التاريخ السعودي، وهو من أبرز الشخصيات بين الملوك الذين حكموا هذه البلاد، بل من أبرز الشخصيات على المستوى العربي والدولي، ونضجت في عهده الثمار، وأثمرت أضعاف ما كانت عليه في عهد أخيه الملك خالد-رحمه الله-.

وآل الأمر إلى «الفهد» -رحمه الله- رائد التعليم الأول:[1]

«ويا فَهْدُ، يا أُنْشودةً في فَمِ الدُّنَى * * تُحِيْطُ بِكَ الأَحْداقُ، يا خَيْرَ قائِدِ
أَحَبَّكَ شُبَّانٌ وشِيْبٌ ونِسْوَةٌ * * لأَنَّكَ نَبْضُ الحُبِّ مِنْ قَلْبِ والِدِ
سيُنْصِفُكَ التاريخُ إنْ عَزَّ مُنْصِفٌ * * لأَنَّكَ لِلتَعْليمِ أَوَّلُ رائِدِ
وتَذْكُرُ دُوْرُ العِلْمِ مَنْ شادَ صَرْحَها * * مُمَثَّلَةً بالجامِعاتِ الشَّواهِدِ
بَرَرْتَ بهذِيْ الأَرضِ أُمًّا كريمةً * * حَصانًا رَزانًا مِنْ كِرامِ الخَرائِدِ»

فالشاعر هنا يشيد بدور الملك فهد في بناء صروح العلم الشامخة، من: مدارس، ومعاهد، وجامعات، وقد نذر نفسه للعطاء، والوفاء، وعمل الخير برضى نفسه، ليس ادعاء، ولا تطبيلا، كما يشيد بالدور العظيم الذي أداه الملك فهد -يرحمه الله- ملكًا للمملكة العربية السعودية.

وهنا استوقفته شخصية الملك فهد العظيمة بما لها من حضور على المشهد الوطني والقومي والعالمي:[2]

«أبا فَيْصَلٍ لا زِلْتَ يا شَيْخُ رَائِدًا * * تَلُمُّ شَتَاتَ القَوْمِ بَعْدَ التَّفَرُّقِ
أَيَادِيْكَ لا تُنْسَى ومَغْنَاكَ شَاهِدٌ * * سَمَوْتَ بِمَجْدٍ في ذُرَى النُّبْلِ مُعْرِقِ
وحَلَّقْتَ في الآفَاقِ حُرًّا مُغَامِرًا * * طَلِيْقًا، يَمُوْتُ الصَّقْرُ إنْ لم يُحَلِّقِ

١- مرافئ الحب ص:٧٠.

٢- نفسه ص:١٤٤.

تَبَـوَّأْتَ دَارًا فـي حَشَـا كُـلِّ مُنْصِفٍ * * ولَيْـسَ غَرِيْبًـا أو عَزِيْـزًا على التَّقِي
بَنَيْـتَ على المِنْهَاجِ مِنْ هَدْيِ أَحْمَدٍ * * مَنَارًا كَنُورٍ في دُجَى اللَّيْلِ مُشْـرِقِ»

فشاعرنا استشعر في شخصية الفهد معاني العزة والأنفة، ورأى فيه صفات القائد المحنك، وقد بلغت في عهده البلاد أوج عزها ومجدها، والشاعر يمتدحه بالشجاعة، وطيب الأفعال، ونبل الصفات، فهو أشبه بالصقر الحر الطليق يحلق في الأفاق.

ومازال الحديث قائما حول الفهد:[1]

«رُبَّـانُـها الفَّـذُّ رَمْـزُ الخَيْـرِ رَائِدُنا
فَهْدُ المُفَدَّى عَمِيْـقُ الفِكْرِ والحِكَـمِ
مَنْ فِعْـلُهُ زَلْـزَلَ الأَعْـداءَ فـارْتَجَفُوا
واهتَـزَّتْ ارْكـانُهُمْ[2] مِـنْ وَطْأَةِ الأَلَـمِ
فَـأَدْبَـرُوا والسِّيـاطُ الشُّهْـبُ تَـلْسَعُهُمْ
وجُلِّلُـوا بِـجِـلالِ الـذُّلِّ والنَّـدَمِ
وقـالَـها الـفَهْـدُ: شِبْـرًا لا نُمَلِّكُهُ
مِنْ طَـامِـعٍ مَـارِقٍ يَـنْـقَـادُ لِلْحُلُـمِ
يَـشُـكُّـهُ لَيْـثُ غَـابٍ فـي مَخَـالِبِـهِ
وقَـدْ تَعْفَّـرَ أَنْـفُ الـوَغْـدِ بالرَّغَـمِ
هـذيْ الشَّجَـاعَـةُ في أَسْمَـى مَراتِبِها
هـذا الـدَّهَـاءُ -لَعَمْـرِيْ- قِمَّـةُ القِمَمِ
في شَخْصِـهِ يَحْسُـنُ الإِنْشَـادُ إِنْ سَنَحَتْ
قَـصَائِـدُ حُـرَّةُ الأَفْكَـارِ والـنَّغْمِ»

١- مرافئ الحب ص:٢١٩-٢٢٠.

٢- تسهل همزة القطع في «أركانهم» لضرورة الوزن، وكان يمكنه أن يقول: «واهتزَّ بنيانهم» كما أشار المحقق.

فيشير إلى شمائل «الفهد» من: العروبةَ، والشجاعة، والإباء، والتدين، والحكمة، والدهاء، ويحمي حماه كالليث، ويقود السفينة بعزم وحزم؛ فتشق الموج، وتستقر آمنة مطمئنة، وأفعاله تزلزل الأعداء وترعبهم، فيدبرون، ويفرون، ويكتسون بثوب الذل والعار، وتتجلى نظرة الشاعر له كحاكم، بطل، سطر أروع الأمثلة في الحنكة، والسياسة، والتصدي للعدو، وهنا يشير إلى القوة التي بلغتها البلاد في عهده على كافة الأصعدة، والمستويات.

وكما مدح الملوك، قادة هذه البلاد، امتدح بعض أصحاب السمو الملكي الأمراء، الذين أسهموا في رفعة هذه البلاد، فها هو سلطان بن عبد العزيز- يرحمه الله- يُخلد ذكره في شعر الفيفي:[1]

«مَـرْحَى أبا خـالـد بُـوْرِكْتَ مُبْتَسِما
فـي كُـلِّ مُعْضِـلَة تَغْتَـالُ كُـلَّ فَـمِ

كَـمْ دَمْـعَـةٍ كَفْكَفَتْـها كفُّكُـمْ فَغَـدَتْ
تِبْـرًا علـى الخَـدِّ بَعْـدَ الحُزْنِ والأَلَمِ

سُلْطانُ والجَيْشُ والإِقْدامُ إن ضَرِمَتْ
نارُ الوَغَى واسْتَشَاطَتْ جَذْوَةُ الضَّرَمِ

يـا سَيِّدًا يُـذْهِلُ الـدُّنْيا تَواضُـعُهُ
يا بَسْمَةَ الزَّهْـرِ مِنْ نُـوَّارَةِ الدِّيَـمِ»

فالشاعر هنا يحيي الأمير بقوله (مرحى أبا خالد)، ويخلد الابتسامة التي عُرف بها -رحمه الله-، ولم تكاد تفارق وجهه، والكرم، والتواضع؛ فهنا تجلت صورة السماحة، واللين في شخصيته، وصورة أخرى عبرت عن القوة والحزم، في قيادة الجيش، وحماية الثغور، وردع العدو.

وهنا يقدم النص مدحًا لأمير منطقة الحدود الشمالية،عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد آل سعود:

١- نفسه ص:٢٢٠-٢٢٢.

«هـذي الشَّمَالُ وعَبْـدُ اللهِ زِيْنَتُها
هـو الضَّمِيْــرُ ومُـوْقُ العَيْـنِ والحَــدَقُ
شِبْـلٌ أَبُـوهُ أَبُـوْ الهَيْجَاءِ مُـضْرِمُها
وَقُـوْدُهـا البَــغْيُ والإِلْحَــادُ والــنَّزَقُ
قَــادَ الجَحَــافلَ والتَّـوْحِيْـدُ غـيَاتُهُ
لَيْـثٌ بَــرَاهُ الـسُّـرَى والعَــزْمُ والأَرَقُ
مَعَ المَلِيْـكِ حُسَـامٌ صَــارِمٌ ذَرِبٌ
في حَـدِّهِ الـحَـقُّ والتَّمْكِــيْنُ والأَلَـقُ
عَـوْنٌ لِمَـنْ سَجَّلَ التَّارِيْخَ أُغْنِيَةً
فَـوْقَ الرِّمَــالِ فَغَنَّى الحِبْـرُ والــوَرَقُ
صِنْوانِ عَبْدُ العَزِيْزِ المَلْكُ يَعْضُـدُهُ
عَبْدُ العَـزِيْزِ الأَمِيْــرُ الصَّارِمُ الـذَّلِـقُ»[1]

فتبرز في هذا النص نظرة الشاعر له كأحد أمراء هذه البلاد، وأميرًا لمنطقة الحدود الشمالية، وأحد صناَع النهضة في جزء من هذه البلاد، له مكانة كبيرة في قلب الشاعر، وهو(عرعر)، ويُظهر الحزم والنبل والحذق من صفاته، ولا عجب -في نظره-؛ فهو شبل ذلك الأسد، الذي سار بجانب مؤسس البلاد، كالسيف الصارم، في حدَّه الحق، والتمكين، والعزة؛ فوالده كان أحد القادة الذين وقفوا صامدين مع المؤسس- رحمه الله-، في توحيد أطراف هذه البلاد.

١- مرافئ الحب ص:١٣١-١٣٢.

ومازال الحديث قائما حول الأمير عبد الله، أمير الحدود الشمالية، والشاعر ينعته بأجمال الأوصاف:

سما نجمُكُـمْ بـالسَّعـدِ والمَجْدِ والحُبِّ

يُضِـيْءُ دُرُوْبَ الفَخْـرِ في البُعْدِ والقُـرْبِ

أبـا خـالـدٍ[1] مَنْ رامَ مغناكَ لـم يَـجِدْ

سِوَى صَفْـوَةِ الإبْـرِيْزِ والسَّلْسَلِ العَذْبِ[2]

فيظهر الأمير هنا كالنجم الساطع، الذي يضيء الدروب بالسعد، والحب، والعز، والمجد، كالسلسل العذب، في الكرم، والعطاء، والتواضع، والنبل، والحكمة، وتتجلى الرقة في هذا الوصف؛ وذلك يتناسب مع صفات التواضع والنبل، الذي يحمله قلب الأمير.

وعلى كل حال كان إعجاب الشاعر بملوك وقادة البلاد، نابعًا من القلب؛ فقد أدرك، وهو الخبير المدرك ثقل العبء، الذي يقع على قادة هذه البلاد، وهم يمضون في حمله بكل ما أوتوا من قوة، وصبر، وجلد، دون منَّة على أبناء الشعب، أو ترفع.

***

١- يقصد به: الأمير/ عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد آل سعود، أمير منطقة الحدود الشمالية.

٢- مرافئ الحب ص:٥٤.





الباب الثاني

(شاعريته، وخصائص شعره الفنية)

الفصل الأول: اللغة الشعرية
الفصل الثاني: الموسيقى
الفصل الثالث: الصورة



الفصل الأول
اللغة الشعرية

❊ لغة الشاعر، والمعجم
❊ التراكيب

❊ لغة الشاعر، والمعجم:

لغة الشاعر في معظمها لغة مباشرة، ألفاظها تتميز بالسهولة والسلاسة، ولكن من خلال الدراسة لمسنا تأثر شاعرنا في بعض نصوصه باللهجة العامية الدارجة في بيئته؛ فورد في شعره كثير من المفردات، والجمل الشعبية الدارجة في البيئة الجبلية، ونخص بالذكر مسقط رأس الشاعر ومنشأه (فيفا)، ولكن أجاد شاعرنا استخدامها، وتوظيفها في شعره حتى غدت ذات إيحاء وشاعرية، فقد برز في شعره مفردات متأثرة بألفاظ القدماء في أشعارهم، وكما لمسنا أيضا في شعره بعض المفردات المعاصرة، أو الحديثة، لذا يمكننا تقسيم اللغة الشعرية لدى الشاعر الفيفي إلى ثلاثة أقسام هي:

١- الألفاظ المتأثرة بالبيئة (العامية):

ظهرت الألفاظ الجبلية في شعر الفيفي بشكل واضح وكثيف لاسيما عند حديثه عن فيفا، ووصفه لطبيعتها، والحديث عن تراثها. [١][٢]

«حلمٌ ولَيْـــلٌ مُغْـــدِرٍ[١] ❊❊ ما فيهِ نَـجْمٌ مُـزْهِـــرُ»

فهنا كلمة «مغدر» متداولة بكثرة في اللهجة العامية الجبلية.

١- مرافئ الحب ص:١٠١

٢- مغدر: مظلم.

ولننظر:[1]

«نَصْحُو على عَمَايَةٍ[1] ** يَضِيْعُ فيها النَّظَرُ
وتَنْجَلِي عَنْ «رَهْوَةٍ»[2] ** قَدْ عَنْقَدَتْها الشَّجَرُ»

فهنا كلمتا (عماية، رهوة)

وقوله:[4]

«فَلاَّحَةٌ تَحْرُثُ أَحْـ ** ـيا نًا و حِيْنًا « تُسَبِرُ » [5]
سِراجُهُ مِسْرَجَةٌ[6] ** ذَابَلَةٌ والقَمَرُ
دَوَاتُهُ مِنْ «نُوْرَة» ** واللَّوْحُ فيهِ «مَعْشَرُ»[7]
كُلَّ صَبَاح جاهِزٌ ** «يَمْخَنُ[8]» أو «يُحَفِّرُ»
كُلَّ صَبَاح جاهِزٌ ** «يَمْخَنُ» أو «يُحَفِّرُ»
وواحدٌ مُنْهَمِكٌ ** «يَفْرُسُ» أو يُزَبِّرُ»[9]
«وحَوْلَهُ مِسْكِيْنَةٌ ** تَطْحَنُ أو تُخَمِّرُ

١- مرافئ الحب ص:١٠٢
٢- العماية: الضباب. كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٢
٣- الرهوة: الطل والندى كما جاء في الديوان المحقق ص: ١٠٢
٤- مرافئ الحب ص:١٠٦-١٠٧
٥- تسبر: تقوم بأعباء البيت كما جاء في الديوان المحقق.ص:١٠٣
٦- المسرجة: عبارة عن حجر مدور الشكل يوضع فيها خيط يدهن بالسمن أو الدهن أو الشحم وتضاء.
٧- المعشر: هو الدرس والواجب، ويقصد به: أن التلميذ يكلف بحفظ الكريم عشر آيات عشر آيات كما جاء في الديوان المحقق.ص:١٠٤
٨- يمخن: ينتزع الزرع الصغير الزائد والعشب المحيط بالزرع، دون تأثير هذه النباتات على الزرع كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٥
٩- مرافئ الحب ص:١٠٣-١٠٤-١٠٥

فـي سُــرْعَــةٍ مُــذْهِـلَةٍ ** تَـعْجِـنُ أو «تُـجَمِّـرُ»[1]
وأَحْـضَـرَتْ عَشَـاءَها ** لِنَـائِـم «يُـنَخِّـرُ»

فهنا كلمات (تسبر، مسرجة، معشر، يمخن، تجمر).

وقوله:[2]

«لِـكْلُ بِنْـت «كِـرْتَةٌ»[3] ** سَـوْدَا وثَـوْبٌ أَحْـمَـرُ
وتـاجُـهـا «مِقْـلَمَـةٌ»[4] ** يُـطِـلُّ مِنْـها الشَّعَـرُ
والحُسْـنُ «والأَلْبَـابُ»[5] في ** مَـفْـرِقِهـا والـعَنْـبَـرُ
«مُصْنَفُـهُ مُنَيَّـلُ[6] ** و»كُـوْتُـهُ» مُـزَرَّرُ
أو »مِـبْـرَدٌ» مُـهَـدَّبٌ[7] ** و»مِـعْـدَلٌ» مُـشَـجَّـرُ
والـكُـلُّ فـي تَـعَـاوْد ** مِنْهُـمْ تَـمُـوْجُ »الـزُّبُـرُ[8]
وفـي الـمَـسَـاءِ طَـرْبَـةٌ ** وزَامِـرٌ يُـزَمِّـرُ»[9]
و«هَـصْـعَـةٌ»[10] وَرَقْـصَـةٌ ** وشـاعِـرٌ يُـثَرْثِـرُ»

١- تجمر: تعد في الإثفاء نوعا من الخبز يطلق على الواحدة منها» جمارية» كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٧

٢- مرافئ الحب ص:١١٠

٣- كرتة: ثوب نسائي طويل كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٩

٤- مقلمة: طرحة كما جاء في الديوان المحقق.ص:١٠٩

٥- الحسن: يوضع في المفرق فوق الطيب أحمر اللون. الألباب: نوع من طيب النساء كما جاء في الديوان المحقق. ص:١٠٩

٦- المصنف المنيل: الإزار المخطط والمصبوغ بالنيلة الزرقاء كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٩

٧- المبرد المهدب: نوع من الإزر الأبيض، له طرفان مهدبان كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٩

٨- الزبر: ارتفاع ترابي ممتد تحاط به المدرجات الزراعية من خارجها ليكون عمقا يحفظ عليها ماءها كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٥

٩- مرافئ الحب ص:١٠٩-١١٠

١٠- هصعة : رقصة شعبية كما جاء في الديوان المحقق ص:١١٠

فهنا كلمات(كرتة، مقلمة، الألباب، منيل، مهدب، الزبر، هصعة).

ولننظر في قوله: [٢]

"نَشِيْرَةٌ" أو "عانَةٌ" ** مِنْ لابَة[١] ما قَصَّرُوا»[٢]

«هَزَامِلٌ» طَوْلَ النَّهارِ ** صَوْتُها يُزَمْجِرُ

فهنا كلمات (نشيرة، عانة، لابة).

وقوله: [٤]

وصَوْتُ «نُبُّوْت» سَرَى ** وحَاذِقٌ «يُعَشِرُ[٣]»[٤]

«نَنْجَعُ»[٥] للحَقْوِ وفي ** الحَقْوِ يَطِيْبُ السَّمَرُ

نَلْعَبُ«ساريْ اللَّيْلِ»يَحْلُوْ ** في العُيُوْنِ السَّهْرُ

وشَمَّرَتْ في كُلِّ رَيْدٍ ** غَادَةٌ «تُحَدِّرُ[٧]»

فللنظر للكلمات (ننجع، تلعب ساري الليل، ريد، تحدر).

١- نشيرة: سموا بالنشيرة لأنهم ينشرون أي يذهبون إلى عملهم في المساء. والعانة هم جماعة من الناس يندب فيهم صاحب عمل ما فيهرعون ملبين النداء متعاونين في ذلك العمل تطوعا واللابة: هم جماعة الرجل أو قومه. كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٧

٢- مرافئ الحب ص:١٠٧

٣- نبوت: نوع من أنواع الأسلحة وهو إيطالي الصنع. ويعشر يطلق الرصاص، و أخذ المصطلح من إطلاق الرصاص عشرا عشرا كما جاء في الديوان المحقق ص:١٠٧

٤- مرافئ الحب ص:١٠٧

٥- ننجع: هو الانتقال من مكان إلى آخر، ويقال نجع إذا أخذ معه الماشية بحثًا عن المرعى والماء.

٦- ريد المقصود به مدرجات الزراعة. وتحدر: التحدير هو أن يجمع القصب في حزم كبيرة ثم تضم تلك الحزم فيتكون ما يشبه الهرم كماجاء في الديوان المحقق ص:١٠٨

٧- مرافئ الحب ص:١٠٨

وقوله:[1]

«مَنْ رَسُوْلِيْ لِمَرْتَعَ الأُنْسِ فَيْفَا؟ ** للذُّرَى، للسُّهُوْلِ، قَفْرًا، ورِيْفا
للصَّباحِ البَلِيْلِ فِي يَوْمِ طَلٍّ ** للمَسَاءِ العَلِيْلِ يَمْشِي دَفِيْفا.
يَسْتَقِلُّ الرِّيَاحَ تَجْرِيْ رُخَاءً ** يَلْثُمُ المُزْنَ والسَّنَا والقَنِيْفا؟[2]»

وقوله:[3]

«ومِحْرَاثٌ وزِنْبِيلٌ ودَلْوٌ ** وغَرْبُ المَاءِ[4] والخُبْزُ الرَّقِيْقُ»

فهنا كلمات (الزنبيل، غرب الماء).

وقوله:[5]

"وأَيْنَ الشِّيْحُ يَلْثُمهُ الخُزَامَى؟ ** ورَيْحانٌ يَغَازِلُهُ "الطُّرُوْق»[6]
غِنَاءُ الوَارِدَاتِ[7] بِكُلِّ دَرْب ** غِنَاءٌ كُلُّهُ أَدَبٌ وذَوْقُ»

فهنا كلمات (الشيح، الطروق، الواردات).

ولننظر في قوله:[8]

«يُجَلْجِلُ الصَّوْتُ بالتكْبِيْرِ مُرْتَفِعًا ** يُعَطِّرُ التَّلَّ والوِدْيَانَ والقُلَلا[9]

فلنلاحظ كلمة (القلل).

١- مرافئ الحب ص:١٢٠

٢- القنيف: الغيوم .

٣- مرافئ الحب ص:١٤٠

٤- الزنبيل: وعاء يجمع فيه الحصاد بعد الزراعة ويحمل. وغرب الماء: وعاء يوضع فيه الماء.

٥- مرافئ الحب ص:١٤١

٦- الشيح والطروق: أشجار عطرية طيبة الرائحة.

٧- الواردات: هن النساء اللاتي يردن على الوادي لأخذ الماء.

٨- مرافئ الحب ص:١٥٥

٩- القلل: مفردها: قُلة : وتطلق على أعلى قمة في الجبل.

وقوله:

تَذَكَّـرْتُ أَشْــوَاكَ السَّيــال[1] تَشُـكُّني

بـوَخْزٍ يُضَــاهِيْ وَخْــزُهُ إِبْـرَةَ المَصْـلِ»[2]»

فهنا كلمة(السيال). فهذه الألفاظ وإن كانت عامية شعبية، استطاع الشاعر تطويعها؛ فأدت المراد منها.

٢–الألفاظ المتأثرة بالتراث العربي:

يتضح للدارس التأثر بالقدماء من حيث قوة السبك، وجزالة المفردات، وذلك يعود لثقافة الشاعر الواسعة، وكثرة اطلاعه وقراءته؛ [فقد كان بعض زملائه يلقبونه بالموسوعة؛ نظرًا لترددهم عليه عندما يصعب سؤال لغوي أو أدبي، وما ذاك إلا لاعتزاز الشاعر بلغته وغيرته عليها][3]

«بِشِعَــارٍ مِنْ مَـوْرِدِ الطُّهْـرِ صَـافٍ سَلْسَبِيْـــلٍ يَثِـجُّ[4]منـهُ الإخــاءُ»[5]

وقد جاءت كلمة «سلسبيل» والتي تعني «شراب سهل المرور في الحلق لعذوبته، واسم عين في الجنّة، أو وصف لكلّ عين عَذْبة، سريعة الجريان «[6] [عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً]»[7]

١– السيال: شجرة ذات شوك تزرع في الأودية.

٢– مرافئ الحب ص:١٦٣

٣– نفسه ص:٧

٤– جاءت هذه المفردة على عدة معان؛ منها ماجاء في لسان العرب: الثَّجُّ الصَّبُّ الكثيرُ، وخص بعضهم به صَبَّ الماء الكثير، الثج: الصَّبُ الكثير، ثجه يثجه ثجا، فثج وانثج، وثججه فتثجج. وما ورد في تهذيب اللغة للأزهري: أن الثج هو سيلان الماء في الأرض وانصبابه بشدة.

٥– مرافئ الحب ص:٤٣

٦– أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر،ط:١/ ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م، الجزء:٤ ص:١٠٩٢

٧– سورة الإنسان الآية: ١٨

ولننظر في قوله: [1]

«وكَـانَتْ يَبَابًـا قَفْـرَةً مُكْـفَهِرَّة[2] * * تُـذِيْـبُ البَوَادِيْ في جَحِيْـمِ الفـدافِـد[3]
مَـوَام معَ الإهْـلاكِ تُـدْعَى مَفَاوِزًا * * وفيْها الـرَّدَى في سَهْلِـا والقَرادِد[4]»

فلنلاحظ كلمتي: (مكفهرة، الفدافد).

وقوله: [5]

«فَاعْتَـرِفْ! رُبَّ شَـاعِـر يَتَمَـنىَّ * * لَـوْ يُـغَنِّي ولَـوْ بشِعْـرِ المُجُـوْنِ[6]»

فهنا ظهرت كلمة (المجون).

١- مرافئ الحب ص:٦٨

٢- مكفهرة: جاء في معجم الغني لعبد الغني أبوالعزم: اكفهرَّ يكفهر، اكفهرارا، فهو مكفهر، اكفهر الشخص حزن وعبس وتجهَّم وتغير وجهه، واكفهر الليل: اشتد ظلامه، واكفهر السحاب: تلبد، اسودَّ وتراكم بعضه على بعض.

٣- الفدافد: جاء في معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لفظ فدافد جمع فدفدوهيرواب مذكورة محددة في رسم غيقة ،فدة بكسر أوله وتحريك ثانيه على زنة عدة جبل بضهر.

٤- القرادد: جاء في المعجم الرائد القردودة: الفقارة، والقردودة أعلى الجبل. والجمع قراديد.

٥- مرافئ الحب ص:٢٧١

٦- المجون بمعنى: أن لا يبالى الإنسان ما صنع. وقد مجن بفتح الجيم يَمْجِنُ مجونا ومجانة، فهو ماجن، والجمع المِجَان. وقولهم: أخذه مجانا، أي بلا بدل.وهو فعال، لأنه ينصرف.والمماجن من النوق: التى ينزو عليها غير واحد من الفحولة فلا تكاد تلقح. وطريق ممجن، أي ممدود، وهذا حسب ما جاء في الصحاح للجوهري.

وقوله:[1]

«بَعْـــدَ أَنْ كَــانَ سُــوْقُها في رَوَاجِ ** وُئِدَتْ[2] في لُعَــاعِ[3] دُنْيًا مَهَيْـنِ»

فهنا كلمتا (وئدت، ولعاع).

وهذا دليل اتصال الشاعر باللغة، وبتراثها الزاخر الحافل.

٣-الألفاظ المعاصرة التي استجدت في هذا العصر:

ولا تخلو نصوص الشاعر من الألفاظ المستجدة في العصر الحاضر، فمنها قوله:[4]

«وغُموْضُ الألْفاظِ في كُلِّ بَنْـد[5] ** ضَـــاعَ فِيْــهِ البَيَـــانُ والتَّبْيِيْــنُ
كُــلُّ بَنْـد بَـلْ كُـــلُّ حَرْفٍ ولَـفْظٍ ** مَحْضَرٌ صِيْغَ مِنْ: «أَدانَ، يُدِيْنُ»

فهنا كلمة (بند).

١- مرافئ الحب ص:٢٧٢

٢- وئدت: جاء في المعجم الوسيط: (وأد)الرجل ابنته (يئدها) وأدا دفنها حية فهو وائد وهي وئيد ووئيدة وموءودة وفي التنزيل العزيز :»وإذا الموؤودة سئلت**بأي ذنب قتلت» سورة التكوير الآية:٨_٩، وكان ذلك في الجاهلية.

٣- لعاع: جاء أيضا في المعجم الوسيط(اللعاعة) واحدة اللعاع ومنه (إنما الدنيا ساعة ومتاعها لعاعة) أي قليلة البقاء كالنبت الأخضر والبقية اليسيرة من كل شيء ويقال بقي في الإناء لعاعة ويقال ما بقي في الدنيا إلا لعاعة والجرعة من الشراب ولعاعة الإناء صفوته والخصب والدنيا.

٤- مرافئ الحب ص:٢٤٤-٢٤٥

٥- جاء في كتاب العين البند دخيل ويقال فلان كثير البنود أي كثير الحيل، وفي لسان العرب البند العلم الكبير معروف فارسي معرب، وجاء في معجم اللغة المعاصرة بَنْد جمعه بُنود وبِنود: أي فقرة أو مادة في القوانين والاتِّفاقيات «بنود معاهدة/ عقد/ ميزانية- ينص البند الثاني من المادة الثالثة على كذا» بَنْد جزائيّ: فقرة تتضمن شرطًا يجازى بموجبه أحد طرفي الاتفاق.

وقوله: [1]

«أقــولُ لقائدِ (الصَّالـوْنِ)[7] شَـمِّرْ * * وأَدْعُـــوْ الله يُـبْعِـدُ ما يَعْـوْقُ»

وقوله: [3]

«مِنْ خَـوْفِ «دُكْتُـور» يُهَـدِّدُني * * أَوْ مِـنْ مُـعِيْـد[2] يَـتَحـدَّاني

ورُبَّ «دُكْتُـوْر» بُـلِيْـتُ بِـهِ * * أَخْـلاقُهُ أَخْـلاقُ سَجَّـانِ»

فلننظر هنا لكلمتي(دكتور، معيد).

وقوله: [5]

«هَـلْ مَنْـهَـجُ الإِحْصَـاءِ يَنْـفَعُـني * * أَمْ مَنْهَـجُ التَّخْطِيْـطِ[4] مِنْ شَاني»

فلننظر لكلمة (تخطيط).

وقوله: [7]

«أَنْتِ أَخْطَأتِ نُمْـرَةً[6] فَأَعِيْدِيْ الـ * * رَّقْـمَ أُخْـرَى تَـأَكَّدِيْ واسْتَبِيْني»

فهنا كلمة (نمرة).

١- نفسه ص:١٣٨

٢- هذه اللفظة لها معان عديدة في العصر الحاضر، ولكن الشاعر يقصد بها نوع السيارة التي تقله.

٣- مرافئ الحب ص:٢٦٧-٢٦٨

٤- دكتور: جاء في معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي: هذه كلمة من الكلمات الدخيلة التي عَرَّبتها العربية، وشاعت في لغة العصر الحديث؛ ومن ثم لا يكون هناك ما يمنع من استخدامها جنبًا إلى جنب مع الكلمة العربية خصوصًا وأنه لا مفر من استخدامها للتعبير عن حامل الدرجة الجامعية «الدكتوراه» التي ليس لها مرادف عربي. ومعيد: جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة : من يتولَّى منصبًا تعليميًّا في الجامعة قبل أن يحصل على منصب مدرِّس مساعد «تمّ تعيين الأوائل معيدين بالجامعة

٥- مرافئ الحب ص:٢٦٨

٦- التخطيط: الكلمة يقصدها الشاعر بالمعنى المعاصر: كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة مصدر خطَّطَ/ وهي وضع خطُّة مدروسة للنواحي الاقتصاديَّة والتعليميَّة والإنتاجيَّة وغيرها تنفَّذ في أجلٍ محدودٍ "تخطيط اقتصاديّ/ تربويّ/ لغويّ».

٧- مرافئ الحب ص:٢٧٠

٨- نمرة: رقم الهاتف أو الجوال.

وقوله:

«ذِكْـرَاكَ فـي جُلْجُـلانِ القَلْبِ رَاسِخَةٌ
مَهْمَـا بَنِيْنَـا قُصُـوْرًا كـانَ أَمْ «فلَـلا»[1]»[2]

فهنا كلمة (الفلل)

وظهور هذه الألفاظ المستجدة دلالة واضحة على اطلاع الشاعر الواسع، وادراكه، وفهمه لتلك المصطلحات.

ولاحظنا أيضا من خلال دراسة الألفاظ، والمفردات في نصوص الشاعر ورود ألفاظ غريبة مثل قوله:[3][4]

«تـجَلْمَـدْتُ[4] لَمَّابَكَى لِيْ السُّـؤَالْ * * وتُهْـُ على سَاجِيَـاتِ الـرِّمَـالْ»

فهنا ظهرت كلمة (تجلمدت).

ولمسنا كذلك بعض المفردات الأعجمية مثل قوله:

«ومَنْ يَـنْتَظِـرْ مِـنْ حِـزْبِ «بِلْفُورَ»[5] مُنْجِدًا
فَعائِـدُهُ المَنْظُـوْرُ صَـابٌ وعَلْقَـمُ»[6]

فهنا كلمة «بلفور» وهو اسم لوزير خارجية بريطانيا .

وقوله:

«جَـمْـرَةُ «الفِيْتُـوْ»[7] لَـهُ مَشْبُـوْبَـةٌ
تَجْعَـلُ الآمـالَ قَشًّـا مُضْـرَمـا»[8]

١- فلل: كلمة معاصرة تطلق على المباني الحديثة.

٢- مرافئ الحب ص:١٥٤

٣- مرافئ الحب ص:١٤٨

٤- تجلمدت: صاغ الفعل من الجلمود، والجلمود هو الصخر كما جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي.

٥- اسم لوزير خارجية بريطانيا.

٦- مرافئ الحب ص:٢١٥

٧- الفيتو: قانون يستخدم في مجلس الأمن للاعتراض ونقض قرار ما.

٨- مرافئ الحب ص:٢١٠

فهنا كلمة (الفيتو)، وهو أسلوب يتخذه مجلس الأمن لنقض قرار ما .

وقوله:

«حَنَنْـتُ إلـى المَـاضِـيْ السَّحِيْقِ فَحَلَّقّـتْ
بِيَ الـرُّوْحُ تَطْوِيْ البِيْدَ بالمِيْلِ والمِلِّيْ»[1][2]

فلنظر لكلمتي (الميل والملي).

فحضور المفردات الحديثة في قصائد شاعرنا، لهو دليل واضح على تأثر الفكر العربي بالثقافة الأجنبية، بإدخال مصطلحاتها إلى العربية، بالإضافة إلى ثقافة الشاعر الواسعة، وإدراكه وفهمه لتلك المصطلحات؛ لذا ظهرت لنا جلية في بعض نصوصه.

وتتراوح المفردات لدى الشاعر الفيفي ما بين الألفاظ القوية، والألفاظ الرقيقة، وذلك يتلاءم مع نفس الشاعر، وظروفه، وعواطفه؛ فتتجلى لنا الرقة أيضا في الشعر الوجداني المعبرة عن نفس الشاعر المكلومة الحزينة، وخاصة عند شكواه عن البعد والشيب والمرض، وكذلك في الغزل عند تناوله الحديث عن محبوبته، عند مشهد الوداع والفراق، ووصف المحاسن، وجمال الروح لديها، وكذلك وصف الطبيعة، التي صاحبها ألفاظ رقيقة تلاءمت مع وصف الشاعر للمطر، والشجر، والطبيعة الخلابة، والخضرة، والنضرة، ويتضح لنا من خلاله شخصية الشاعر المتعلقة بطبيعة الديار الساحرة، والمتطبعة بطبائعها، أما في الشعر السياسي فيتضح لنا من خلال الدراسة مدى صلابة الألفاظ وقوتها، لتعبير الشعر السياسي عن الكثير من القضايا التي عانت منها الأمة الإسلامية، مثل:(احتلال فلسطين الذي مازال قائما إلى يومنا هذا، وغزو الكويت، وقضايا لبنان والبوسنة)، ويظهر لنا من خلالها نفس الشاعر الغاضبة، المنفعلة بتلك الأحداث، وفي الشعر الوطني تعبر الألفاظ القوية عن شخصية الشاعر المعتزة، والمفتخرة بالوطن، وخاصة في الحديث عن خدمة الحرمين الشريفين،

١- الميل والملي : وحدتان لقياس طول المسافة.

٢- مرافئ الحب ص:١٦٥

وتحكيم الشريعة الإسلامية، والنهضة والجيش والقادة، وفي الشعر الاجتماعي تتراوح الألفاظ بين الرقيقة، والقوية، حيث تتجلى لنا الرقة عند تناوله الحديث عن المرأة(الابنة)، عدا الأم التي تلاءم مع الحديث عنها القوة، والصلابة، والرقة في الوقت نفسه؛ فقد وجدنا لدى الشاعر الأم القوية الصابرة المتغلبة على مصاعب الحياة، ومتاعب العيش، وكذلك الأم الحنون العطوف المعطاءة لأبنائها، وتجلت القوة والصلابة أيضا عند مناقشته لقضايا سائدة في المجتمع مثل(قضايا المرأة والشباب)، ومعالجتها، وإظهار موقفه منها، وتتجلى أيضا في إشارة الشاعر إلى صعوبة الحياة، والعيش في الزمن الماضي، وعند حديثه عن تغير المجتمع وتبدله.

* التراكيب:

الألفاظ هي الأساس في تركيب الجمل، والألفاظ لدى الشاعر تتميز بالسهولة، والسلاسة، والجزالة، والوضوح في أغلب نصوصه ، تبرز في صياغة قوية وسبك تام، وأدت هذه الألفاظ وظيفتها اتجاه التراكيب؛ فتناسبت معها، وجعلت النص ذا دلالة، ومعنى قوي.

ولننظر في هذه الأبيات:[1]

«ولاحَ الشَّيْبُ كالشَّبَحِ المُخِيْفِ * * يُهَدِّدُني بِمُعْتَرَكِ الخَرِيْفِ
أَطَلَّ مِنَ السَّوَادِ كَضَوْءِ نَجْمٍ * * بَدَا في حِنْدِسِ الحَلَكِ الكَثِيْفِ
أُحِبُّ كُلَّ أَبْيَضَ إلاّ هذاً * * وأُكْرِمُ كُلَّ ضَيْفٍ إلاَّ ضَيْفِي
أُتَابِعُهُ بِمِنْظَرَةٍ وما لِيْ * * سِوَى التَّسْلِيْمِ بالحَدَثِ الطَّرِيْفِ
أُشَبِّهُهُ-لِتَهْدِئَةِ اضطِرَابِيْ * * بِنَوْرِ الزَّهْرِ في الشَّجَرِ الوَرِيْفِ
أَقُوْلُ -تَعِلَّةً - هذا وَقَارٌ * * ونُضُجُ الأَرْبَعِيْنَ رَبِيْعُ رِيْفِيْ»

ففي تراكيب الشاعر للنصوص وجدناه قد مزج بين الجمل الخبرية، والإنشائية؛ فالإنشائية تتلاءم مع ذات الشاعر المترجية، والمتمنية، والخبرية

١- مرافئ الحب ص:١٢٧.

تتناسب مع إخباره، ووصفه لحاله ومعاناته، وكذلك مزج بين الجمل الاسمية والفعلية؛ فرأينا الشاعر كان متوازنا في التنويع ، وهذا مما أضفى على نصوصه قوة ورونقًا، ومما زادها متانة وإيحاءً، أنها جاءت عفوية لديه، دون تكلف أو تصنع، ويمكننا تقسيم التراكيب إلى محورين هما: الجمل الإنشائية والخبرية، والجمل الفعلية والاسمية.

الجمل الإنشائية والخبرية:

فلننظر لتوالي الاستفهامات واختيار الألفاظ والمعنى ذي الدلالة المعبر:[1]

«يا مُلْهِمَ الشِّعْرِ أَيْنَ البَحْرُ والماءُ؟ * * أَيْنَ الرَّواجُ وسُوقُ الشِّعْرِ غَوْغاءُ؟
أَيْنَ الأزاهيرُ أَلوانًا تُفَتِّقُها * * براعمٌ مثلما تَفْتَرُّ غَيْداءُ؟
أَيْنَ البلابلُ قد كانتْ مُغَرِّدَةٌ * * جَلْىَ تُناغِمُها في الأَيْكِ وَرْقاءُ؟
هل صَوَّحَ الرَّوْضُ؟ هل نامتْ بلابلُهُ؟ * * هل طَحَّتْهُ من الأرواحِ هَوْجاءُ؟"

فالإكثار من التساؤل، وتوالي الجمل الاستفهامية، يتضح لنا من خلاله ذات شاعرية متحيرة ومتعجبة من كل ما يدور حولها: (أين البحر والماء؟، أين الرواج، أين الأزاهير، أين البلابل). وأسلوب الاستفهام هنا يفيد التمني، وكما تعطي القارئ فرصة للتأمل، والتعايش مع ما قاله صاحب النص.

ولننظر لهذا الاستفهام الممزوج بالتعجب:[2]

«يا مَعِيْنَ الهَوَى ومَرْسَى التَّلاقِيْ * * كَيْفَ يَنْسَى الأَلِيْفُ فِيْكَ الأَلِيْفا؟!
كَيْفَ يَنْسَى مَنْ ذاق فَيْكَ ابْتِدَاء * * لَذَّةَ الحُبِّ والأَسَى والرَّغِيْفا؟!»

فهنا أسلوب قوي وإيحائي، من خلال استخدامه وتكراره لأسلوب الاستفهام(كيف ينسى)؟!، على الرغم من المباشرة في الحديث، وفائدته هنا أنه يوضح مدى تعلق الشاعر بالديار والأحباب، واستنكاره على نفسه تجاهلهما ونسيانهما، فهما الحب الذي امتزج بالدم والعرق.

١- نفسه ص:٣٩

٢- نفسه ص:١٢٦

ونلاحظ استخدام الشاعر لأسلوب النداء؛ فللنداء لدى الفيفي وقعٌ خاصٌ، ومذاقٌ حلوٌ، وإن كان قليلًا في شعره، فمنه ما جاء بصورة متفرقةً، ومنه ما جاء بصورة متكررة، ومتوالية. ومن الحروف التي كررها الفيفي (ياء) النداء كما في قوله:[١]

«يـا رُؤَى يـا حَبَّـةَ القَلْـب، ويـا إِنْسَـانَ عَيْنِي
يـا نَمِيْـرًا سَلْسَبِيْـلاً سَلِسًا عَـذْبَ المَعِيْـنِ
يـا شَـذا الكـاذيْ ويـا أَنْسَـامَ زَهْـرِ اليَاسَمِيْـنِ
يـا ضِيَائِيْ إنْ سَجَى لَيْـلُ الحَيَارَى يـا يَقِيْنِي
يـا نَعِيْمًا نـامَ في قَلْبِيْ على أَوْتَـارِ زَنْدِي»

فإذا نظرنا للنداء المتوالي، وجدناه يلعب دورًا كبيرًا في هذا النص، حيث ناسب الوصف، وأعطاه معنًى ذا شاعرية وإيحاء: (يا روى، يا حبة القلب، يا شذا الكاذي، يا أنسام زهر الياسمين، ياضيائي، يانعيمًا)، فنلاحظ التكرار في النداء حتى في البيت الواحد من النص، وقد أسهم تكرار النداء في نجاح الشاعر في إيصال مشاعره للمتلقي، وبيان المكانة، والحب الشديد الذي يتقلده الموصوف في قلبه، ولتكرار (ياء) دلالته هنا التحبب.

وقال في موضع آخر:[٢]

«يـا سـادرًا في طريقِ الغَيِّ مُرْتَفِقًا
وَطَـاوِطَ البَعْـثِ لا تَغْتَـرَّ بـالنَّسَـبِ
يا صِنْـوَ شَمْشُـوْنَ إنْ تَـعْمَى فلا عَجَبٌ
أَنْ يُفْـرِزَ البَـعْثُ تمثـالًا مِـنَ النُّصُبِ»

فالتكرار في النداء هنا يكشف عن مدى غضب الشاعر، واعتراضه على ما صنعه ذلك الطاغية في بلاد عربية، وشعب عربي مسلم؛ لوصفه له بالسادر

١- مرافئ الحب ص:٢٦٥

٢- نفسه ص:٥٨

في طريق الغي، وصنو شمشون، ولتكرار حرف النداء (ياء) دلالته هنا التقريع، والتوبيخ.

ومن أساليب الإنشاء غير الطلبية(التمني)، الذي وجد بصور متفرقة في نصوص الشاعر منها قوله:[1]

«لَيْتَ شِعْرِيْ الجُعْلانُ في أَيِّ وَقْتٍ * * تَنْبَرِيْ في ثِيَابِها الـمُسْبَلاتِ»[1]

وغيرها مبثوث في نصوص الشاعر؛ فقد تنوع أساليب التمني عنده ما بين الأمر، والاستفهام، وليت.

وكما طرق الشاعر أساليب الإنشاء، كان لأساليب الخبر نصيب:[2]

«وإذا الزَّمَانُ هُوَ الزَّمَانُ وظَرْفُهُ * * قدْ خُطَّ فيهِ تَمَرُّدٌ وتَمَزُّقُ
وإذا الحَيَاةُ هِيَ الحَيَاةُ بِبُؤْسِها * * وشَقَائِها حتى يَشِيْبُ المَفْرِقُ
سُوْقُ التَّبَاغُضِ و التَّدَابُرِ رَائِجٌ * * أَبْوَابُهُ مَفْتُوْحَةٌ لا تُغْلَقُ
والحِقْدُ عَشَّشَ في القُلُوْبِ يَبُثُّهُ * * فينا التَّخَاذُلُ والعَدُوُّ المُحْدِقُ
والماءُ رَنْقٌ والشَّرَابُ مُكَدَّرٌ * * كُلُّ المَنَاهِلِ قَدْ عَلاها الغَلْفَقُ
دَسَّ التَّحَاسُدُ في النُّفوْسِ بُذُوْرَهُ * * فَزَكَتْ وآزَرَها النِّفَاقُ المُوْبِقُ»

فهنا استخدم شاعرنا أسلوب الخبر، حيث أخبر عن الشيب الذي لاح في رأسه، ووصف المشهد بأسلوب خبري بوضوح وبساطة، وقد عبرت الألفاظ عن الحال، في اختيار جيد من قبل الشاعر، وهنا يخبر عن حال الناس المتقلبة بألفاظ سهلة، وذات دلالة، تتلاءم مع الحال الموصوف، فاختار الشاعر ألفاظًا وجملًا معبرة، تؤدي المعنى (الناس في صخب، سوق التباغض، والحقد عشعش، والعيش ضنك، دس التحاسد).

١- نفسه ص:٦٢

٢- مرافئ الحب ص:١٣٦.

ولننظر لجزالة الألفاظ في حديث الشاعر في ثنايا عودته إلى دياره:[1]

«وعادَ لِوَكْرِهِ الطّيْرُ الطّلِيْقُ * * تُحَرِّكُهُ الوَشَائِجُ والرَّفِيقُ
أُحَلِقُ في الخَيَالِ وفي الأمَانِيْ * * وبَيْنَ جَوَانِحِيْ طَرَبٌ وشَوْقُ
قَطَعْتُ الدَّرْبَ يَحَفِزُني اشْتِيَاقِيْ * * وكادَ القَلْبُ يَقْطَعُهُ الطّرِيْقُ"

فهذه الحالة يتناسب معها أسلوب الإخبار، في اختيار و تركيب بارع للجمل، وتأثير قوي على المتلقي؛ لخروجها من قلب متألم مشتاق، ولننظر للجملة التي بثت في النفس طربًا وإيحائية:(وبين جوانحي طرب وشوق)، زرعت في نفس المتلقي ارتياحًا، وشعورًا بالانسجام، فمن خلال اختيار الشاعر الدقيق للألفاظ نجح في إيصال مشاعره، وما صل إلى قلبه من فرح إلى المتلقي؛ مما جعل القارئ يشعر بها، ويتآزر معها، وعاش معها تلك اللحظة المعبرة.

- الجمل الإسمية والفعلية:

وكان للجمل الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام، بعكس الفعلية التي تدل على التجدد، والحدوث، حضور بارز في شعر الفيفي كما في قوله:[2]

«الشِّعْرُ وَجْدٌ، وإحساسٌ، ومَوْهِبَةٌ * * وبَسْمَةٌ، وانطباعاتٌ، وأَهْواءُ
الشِّعْرُ حَرْفٌ، وأطيافٌ، وأَخيْلةٌ * * ورَوْضَةٌ من رياضِ الفِكْرِ غَنّاءُ
الشِّعْرُ بذْلٌ، وإيثارٌ، وتَضْحِيةٌ، * * ونَبْضُ حُبٍّ، وأَنسامٌ، وأفياءُ
الشِّعْرُ جَرْسٌ، وقِيثارٌ، وأغنيةٌ، * * وحُرْقَةٌ، وانتماءاتٌ، وحَوَّاءُ
الشِّعْرُ خَفْقُ فؤادٍ باتَ مضطربًا * * يَغُطُّهُ في عميقِ الحُزْنِ إغماءُ"
الشِّعْرُ، ما الشِّعْرُ إلا فكرةٌ نَضَجَتْ * * وكان منها على القرْطاسِ عَصْماءُ"

ففي النص لو نظرنا إلى مفردة الشعر نجدها تعبير عن مدى تعلق الشاعر بالشعر، الذي رأى فيه الصديق الصدوق الذي لا يكذب، بل ويرى فيه الملجأ، والملاذ، والدواء؛ للتعبير عن خلجاته، وأحاسيسه، ومشاعره الصادقة، وعواطفه، فهو السند، والعون؛ لتفريغ ما في النفس من أحزان وأفراح.

١- نفسه ص:١٣٨

٢- مرافئ الحب ص:٤٠.

ولنلاحظ ابتداءه باسم الإشارة (تلك)، مشيرًا إلى فيفا في البيتين التاليين:[1]

«تِـلْكَ فَيْـفَا أُحِـبُ فيهـا قَدِيْـمًـا * * يَجْعَلُ القَلْـبَ يَسْتَلِــذُّ الـوَجِيْـفـا
تِـلْكَ فَيْـفَا فَرَشْـتُ خَدِّيْ وقَلْبِي * * تَحْـتَ أَرْدَانِـهَا مِهَــادًا طَــرِيْفـا»

فالإشارة هنا تكشف الستارة عن قلب شاعر طالما عشق دياره، وجعلها نجمة في سماء شعره، وطائرًا يحلق في فضائه، يكرر اسمها كلما مرَّ طيفها في ذهنه، ومغازلة فكره؛ فذكرها يجعله يلتذ بالمرارات، ويعشق الصعوبات؛ من أجل الوصول إليها.

وللجمل الفعلية التي تدل على التحول والتبدل، حضور في شعر الفيفي، ويطالعنا توالي الفعل الأمر في قصيدة (رسالة إلى أطفال الحجارة) في وصفه لأطفال الحجارة، وتشجيعهم وبث روح الحماس فيهم: [2]

«أَمْطِرُوْهُمْ مِنْ راجِمَاتِ الـحِجَارَةْ * * وَابِـلاً مُلْهِبًـا يَـذُوْقُـوْنَ نَـارهْ
حاصِـرُوْهُمْ في كُلِّ صِقْـعٍ وصَوْب * * طَـارِدُوْهُـمْ في كُـلِّ حَي وحَـارَةْ
ابْصُقُـوا في وُجُوْهِهِمْ واصْفَعُوْهُـمْ * * ثُـمَّ خُطّـوا في كُـلِّ وَغْـدٍ أَمَـارَةْ
اجْلِـدُوْهُمْ بـأَلْفِ سَـوْطٍ وسَـوْطٍ * * واصْلُبُـوْهُمْ على جِـدَارِ الـمَرَارَةْ
أَفْهِمُـوْهُمْ أَنَّ الـحِجَـارَةْ أَنْـكَـى * * مِنْ صَـوَارِيْـخِهِمْ وأَقْـوَى إِثَـارَةْ
عَلِّمُـوْهُمْ أَنَّ الـحِسَـابَ الـمُصَفَّى * * حَـانَ، والبَـغْيُ لا تُقِـرُّوا قَـرَارَهْ
رَدِّدُوا بـالتَّكْـبِيْـرِ في عُنْفُـوانٍ * * أَعْـذَبَ اللَّـحْنِ، ما أَلَـذَّ شِـعَـارَهْ!"

فتوالي فعل الأمر هنا يُظهر مدى الحزن الذي انتاب شاعرنا؛ لما يعانيه هؤلاء الأطفال الذين اغتصبت أراضيهم، ولا يوجد لديهم ما يردعون به عدوهم، سوى الحجارة، التي رأى فيها الشاعر كل القوة، وأنها أنكى من أسلحة وصواريخ العدو، وتكرار الشاعر للفعل الأمر في هذا النص، ما هو إلا محاولة للفت انتباه المتلقي، وملامسة قلبه؛ لإيصال المعنى لنفسه مباشرة.

١- نفسه ص: ١٢٥

٢- مرافئ الحب ص:٨٦

ولنلاحظ توال للفعل الماضي:[١][٢]

«جاءتْ كنَفْح المِسْكِ ذاتَ مساءِ * * خَجْلَى تُهَامِسُنيْ على استحياءِ
جاءتْ كزنبقةِ الرَّبيعِ، كبَسْمَةٍ * * مزهوَّةٍ، كالدِّفْء، كالأنداءِ
قالتْ: "مساء الخيرِ"، وانكشفَ الدُّجَى * * عن وَهْجِ وَجْهٍ مُشْرِقٍ وضَّاءِ
أَلْقَتْ سلامًا أريحيًّا وأَرْدَفَتْ * * حَيَّاكَ، أهلاً بالقريب النَّائي»

فتوالي الفعل الماضي هنا من خلال:(جاءت، قالت، ألقت)، أفاد في الكشف عن مكامن النفس العاشقة، المولعة بالمحبوب، الذي ترى فيه كل الجمال، والطهر، والحسن؛ لذا رأينا شاعرنا يكرر أفعال محبوبته، ويواليها لنا، محاولًا لفت انتباهنا لما يحمله قلبه من الحب، بقصد إخبارنا بمكانتها في نفسه.

***

١- نفسه ص:٤٥

٢- لاستقامة الوزن: «ألقت سلاما أريحيا». أردفت بحذف الواو، كما أشار المحقق في ديوان مرافئ الحب

الفصل الثاني
الموسيقى

* الموسيقى الخارجية

* الموسيقى الداخلية

* الموسيقى الخارجية

وتتمثل في الوزن والقافية؛ فالوزن يختص بالتفعيلات التي تمسى بحورا، وتنوعت نصوص الشاعر على بحور العروض على النحو التالي:

التسلسل	البحر	عدد القصائد	النسبة
١	البسيط	١٣	٢٢,٤١٪
٢	الخفيف	١١	١٨,٩٧٪
٣	الطويل	٧	١٢,٢٤٪
٥	الكامل	٧	١٢,٧٪
٧	الوافر	٥	٨,٦٢٪
٨	مجزوء الرمل	٤	٦,٩٪
٩	الرمل	٣	٥,١٧٪
١٠	المديد	٢	٣,٤٥٪
١١	المتقارب	٢	٣,٤٥٪
١٢	مجزوء الخفيف	١	١,٧٢٪
١٣	المجتث	١	١,٧٢٪
١٤	السريع	١	١,٧٢٪
١٥	مجزوء الرجز	١	١,٧٢٪
١٦	المجموع	٥٨	١٠٠٪

لذا يمكننا تقسيم البحور لدى الفيفي في ديوانه إلى مراتب ثلاثة:

الأولى: بحور أكثر الشاعر من استخدامها هي : البسيط والخفيف.

الثانية: بحور كان متوسطا في استخدامها هي: الطويل و الكامل والرمل والوافر.

الثالثة: بحور قلل من استخدامها هي: المديد والمتقارب والمجتث والسريع ومجزوء الرجز.

فنجد الشاعر قد أكثر من استخدام بحر البسيط، وبحر الخفيف، وهما بحران مركبان، تفعيلات الأول: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)، وتفعيلات الثاني (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن)، ويبدو أن هاتين النغمتين، أعني نغمتي البسيط والخفيف، هما المحببتان لدى الشاعر، وإن كان بحر البسيط قد فاق الخفيف في الاستعمال، ولكن كليهما طرقا الموضوعات نفسها؛ فمن هذه الموضوعات الحديث حول الموضوعات المتعلقة بوجدان الشاعر، والمتعلقة بتصوير حالة المجتمع، المتعلقة بالمدح والرثاء.

***

*** القافية:**

والتي احتلت مكانا هاما في الشعر، حتى نسبت القصائد إلى قوافيها، فيقال: همزية، وبائية، وسينية، ولامية، وهكذا، «والقافية كما قال الخليل: هي آخر ساكن في البيت إلى الساكن الذي قبله مع المتحرك الذي يليه»، وقيل هي: «من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله»[1]

ومن أحرف القافية (الرويِّ)، وهي لدى الشاعر على النحو التالي:

التسلسل	الروي	عدد القصائد	النسبة
١	النون	١١	١٨,٩٧٪
٢	الراء	٩	١٥,٥٢٪
٣	الميم	٩	١٥,٥٢٪
٤	اللام	٦	١٠,٣٤٪
٥	القاف	٥	٨,٦٢٪
٦	الباء	٤	٦,٩٪
٧	الدال	٤	٦,٩٪
٨	الهمزة	٣	٥,١٧٪
٩	العين	٢	٣,٤٥٪
١٠	الفاء	٢	٣,٤٥٪
١١	التاء	١	١,٧٢٪
١٢	الهاء	١	١,٧٢٪
١٣	الياء	١	١,٧٢٪
١٤	المجموع	٥٨	١٠٠٪

والمُلاحظ من خلال جدول الإحصاء لحروف الرويِّ عند الشاعر، أنه أهمل أكثر من نصف الحروف الهجائية، ونجد في استخدامه النصف الآخر من الحروف الهجائية قد أكثر من استخدام حروف، وتوسط في أخرى، وندر استخدامه لحروف؛ فمن الحروف التي أكثر من استخدامها (النون،

١- شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ط:٢/ ١٩٧٨م، ص:٩٩

الراء، الميم)، وقد نوع من استخدامه لهذه الحروف الثلاثة في الموضوعات ما بين وجداني واجتماعي ووطني وسياسي، فلا يكاد يخلو موضوع من هذه الموضوعات من النظم على هذه الأحرف، وربما لأنها سهلة رقيقة، وتتناسب مع حالة السرد، وبث الشكوى، ونقل معاناة المجتمع إلى المتلقي، وتوسط في استخدام رويِّ (اللام، القاف، الباء، الدال)، وقلل من استخدامه لحرف (الهمزة، العين، الفاء، التاء، الهاء، الياء).

وعلى كل حال، فالشاعر لم يخص موضوعا محددا بقافية معينة، بل نوع في القوافي عند نظمه للموضوعات الشعرية، ففي الموضوع الوجداني نوع بين قافية (الفاء والراء واللام والباء والتاء والعين والقاف والميم والدال والنون والهمزة)، وفي الموضوع الاجتماعي نوع بين قافية (الباء والدال والراء والنون واللام و الهمزة والقاف)، وفي الموضوع السياسي نوع بين قافية (التاء، والباء، والراء، والميم، والهاء، والنون)، وفي الموضوع الوطني نوع بين قافية (الهمزة، والراء، والقاف، والياء، والنون، والباء، والدال، والميم).

*** القافية المقيدة والمطلقة**

فالمقيدة هي:» ما كانت ساكنة الروي»[1]، والمطلقة هي» ما كانت متحركة الروي» [2]؛ أي سواء أكانت مفتوحة أم مكسورة أم مضمومة، وهي الشائعة، و الغالبة على قصائد الشاعر، وتتجلى في أغلب النصوص لديه بينما قل فيه الساكن(المقيد).

١- عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. ص:١٦٤

٢- نفسه ص:١٦٥

وهذا الجدول يوضح نسبة استخدام القافية المقيدة، والمطلقة في شعر الفيفي:

التسلسل	نوع القافية	عدد القصائد
١	المقيدة	٧
٢	المطلقة	٥١
أنواع القافية المطلقة	المضمومة	١٥
	المفتوحة	١٣
	المكسورة	٢٣

والمُلاحظ من خلال جدول الإحصاء للقوافي المقيدة والمطلقة، أن الشاعر قد أكثر من استعمال المطلقة في إحدى وخمسين قصيدة، نوع فيها بين المضمومة والمفتوحة والمكسورة، غير أن المكسورة فاقت المضمومة والمفتوحة؛ فقد جاءت في ثلاث وعشرين قصيدة؛ وذلك يتلاءم مع حالة الحزن واليأس والمعاناة من ظروف الحياة؛ فقد تم استخدامها في أغلب الموضوعات، ولاسيما الوجداني، والاجتماعي، ونراه قلل من استخدامه للقافية المقيدة، فلم تأتِ إلا في سبع قصائد فقط.

* الموسيقى الداخلية

بعد حديثنا عن الموسيقى الخارجية من وزن وقافية (رويّ) ننتقل للحديث عن الموسيقى الداخلية التي لا تقل أهميتها عن الموسيقى الخارجية، و «ليس الشعر في الحقيقة إلا كلاما موسيقيا، تنفعل لموسيقاه النفوس، وتتأثر بها القلوب»[١].

والبواعث المعنوية والحسية، وتكون الأولى معتمدة على تصوير الشاعر لشيء ما، سواء كان بلفظ رقيق أو لفظ قوي؛ فلو كان التصوير لشيء رقيق كانت

١- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية،ط:٢/ ١٩٥٢م، ص: ١٥

الألفاظ رقيقة، ولو كان المعنى قويا فإن الحديث يتطلب لفظًا قويا يتناسب مع ذلك المعنى، أما الأخرى فيدرج تحتها الطباق، والجناس، والتصريع، والاقتباس، والتضمين، والتقسيم، والتكرار.

وأغلب محطات حياة شاعرنا يائسة مضطربة؛ فالحزن والتشاؤم والبؤس والأسى هي المهيمنة، والمسيطرة على حياته؛ نظرًا لظروف الحياة المحيطة به، يتجلى لنا ذلك في كثير من المفردات لدى الشاعر:(البؤس، الأسى، فاغتال، مكتئبا، ليل مغدر، عابسة، حزينة، عليلة، حسيرة، منفطر، منكسر، أوحش ، جراح تثور، الكوابيس، حشرجات، نازف، نصب وضيق، شؤم ونحس)، كل هذه المفردات الحزينة التي وجدناها في نصوص شاعرنا تعكس مدى التعب والشقاء، الذي عانى منه طيلة حياته، فنراه قد اختار بحر البسيط، وهو من البحور المركبة في قصيدة(ملهمات الشعر)، مع روي الهمزة المطلق؛ وذلك يتناسب مع حالة الشاعر المتحسرة، والباكية: (غوغاء، هوجاء، جوفاء)[1]. واختاره في قصيدة (السلام عليكم) مع الروي المطلق المكسور؛ فتلاءم ذلك مع حالة الشاعر المتألمة؛ فقد عبر عن حاله فيها بكثير من المفردات والجمل الحزينة:(الطعنة النجلاء في كبدي، التمزيق في بدني)[2]. كما اختاره في قصيدة (الله أكبر)، مع الرويِّ المطلق المضموم:[3]

«**الله أَكْـــبَرُ! إنَّ المَـــوْتَ جَبَّـــارُ * * إنْ صَـــالَ صَوْلَتَهُ لـــم يَبْقَ دَيَّارُ**»

وتناسب ذلك مع حالة الحزن والبكاء، التي انتابت الشاعر على المرثي.

وهنا تظهر شخصية الشاعرة الخنساء في رثائها لأخيها صخر :[4]

«**مـا هـاجَ حزنَـكِ أمْ بالعَيْنِ عَـوَّارُ * * أمْ ذَرَفَتْ إذْ خَلَـتْ مِـنْ أَهْلِها الدَّارُ**»

١- مرافئ الحب ص:٣٩

٢- نفسه ص:٧٦

٣- نفسه ص:٩٨.

٤- الخنساء، ديوان، تحقيق: د/ إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، الطبعة:١ / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ص:٢٩٨

واختار مجزوء الرجز، والرجز من البحور الصافية في قصيدة(كابوس)، مع روي الراء المطلق، المتناسب مع حالة الشوق والحنين للماضي، ولا مجال للإطالة لدى الشاعر؛ نظرًا لشدة التحسر، فنجده يكثر من التساؤل:(يا حسرتي ماذا أرى؟، أين السماء في زمان خيرها ينهمر؟، أين الرعود والبروق، أين صبيب الماء، أين حياة الحب والأفراح؟). كل ذلك يعكس لنا نفسا متحسرة على ماض لن يعود، نابذة لكل تغير رأته في الزمن الحديث[1].

ونجده قد اختار بحر الخفيف، وهو من البحور المركبة في قصيدة(طال سهدي)، مع روي مطلق المتمثل في التاء المنتهية بالكسر؛ فتناسب ذلك مع حالة الشاعر اليائسة والمنكسرة من ظروف الحياة:(حسراتي، عبراتي، الذكريات، كلماتي[2].

واختاره في قصيدة (مرافئ الحب)، مع روي الفاء المطلق وألف المد [1]؛ فتلاءم ذلك مع حالة الشوق، والحنين المصاحبة لشاعرنا في بعده عن فيفا، وعبر عن ذلك بكلمات عذبة رقيقة:(وريفا، الطريفا، الغريفا، دفيفا، المنيفا، القنيفا[3].

واختاره أيضًا في قصيدة (الشاعر)، مع روي الراء الساكن:[4]

«لا أَرَى في الوَرَى رَقِيْـقَ المَشاعرْ ** * * مثـلَ قَلْـبِ الحَزيـنِ أو قَلـبِ شـاعِـرْ**

أو مُحِـبٍّ قَـدْ صَيَّـرَ الحُبُّ مِنْــهُ ** * * حَبَّةَ القَلْـبِ مِثْلَ جَمْرِ المَجامـــرْ»**

وذلك يتلاءم مع حالة الشاعر المكلومة، المهمومة، والروي الساكن يفيد بأن الشاعر يعبر عمَّا بداخله ببيت ثم يسكت، ويأخذ نفسًا، ثم يعود ليعبر، ويسكن وهكذا.

* البواعث الحسية:

ولمسنا خلال الدراسة الفنية لشعر الفيفي الكثير من البواعث الحسية في شعره من: طباق، و جناس، ومقابلة، وتكرار، وتصريع، واقتباس من القرآن

١- مرافئ الحب ص ١٠١

٢- نفسه ص:٦٠

٣- نفسه ص: ١٢٠

٤- نفسه ص: ٧٩

الكريم، وتضمين للشعر العربي القديم:

١-الطباق :

والطباق حلية بلاغية أضافها الشاعر إلى نصوصه من أجل تحسين المعنى؛ فأضافت إليها العذوبة، وساعدت على فهم المعنى ووضوحه؛ لذا وجدناه في أكثر من موضع لدى الشاعر كما في قوله: [١]

«فِي النَّوْمِ أَضْرِبُ فِي البِلادِ مُسَافِراً * * وإذا صَحَوْتُ عَرَفْتُ أَنِّي أَحْمَقُ!»

فالشاعر هنا يطابق بين النوم والصحو، وجعل القارئ متأملا بين الحالين، و قوله:[٢]

«فِيهِ أَفْرَاحِيْ وأَتْرَاحِيْ وحُزْنِيْ واكْتِئَابِيْ
فِيهِ إِعْلانِيْ وسِرِيْ ويَقِيْنِيْ وارْتِيَابِيْ»

فنجد الشاعر هنا طابق بين (الأفراح والأتراح)،وبين (الإعلان والسر)، وجعل القارئ في تأمل حالة الشاعر، وأن ذلك الطباق ما هو إلا كشف لحاله المتقلب.

و قوله:[٣]

«والنَّارُ كانتْ بِمَا قَاسَيْتُ مَنْ عُقَد * * فِيْ مَعْهَدِ فَيهِ أَشْرَارُ وأَخْيَارُ»

فهنا طابق بين(الأشرار والأخيار)، فعكس لنا ذلك الصراع المستمر بين الخير والشر.

و قوله:[٤]

«يَجْتَازُ أَجْوازَ الفَضَاءِ مَرْفُرفًا * * حُلُمٌ لَهُ بَيْنَ الحَقَائقِ رَوْنَقُ»

فطابق بين (الحلم والحقائق)، ليؤكد للمتلقي تشتت ذهنه بين الأحلام والحقائق.

١- مرافئ الحب ص:١٣٦

٢- نفسه ص:١٨٧

٣- نفسه ص: ٩٦

٤- نفسه ص:١٣٤

و لننظر لقوله: [1]

«سما نجمُكُمُ بـالسَّعـدِ والمَجْدِ والحُبِّ

يُضِـيْء دُرُوْبَ الفخر في البُعْدِ والقُرْبِ»

حيث طابق بين (البعد والقرب)، وله دلالته هنا في اثبات معنى حقيقي، هو بعد الشاعر عن الممدوح، وآخر مجازي، هو قربه من قلبه.

وغير ذلك كثير مبثوث في ديوان الشاعر، ونلاحظ أن الطباق، أو الجمع بين متضادين، قد حدث لدى الشاعر عفويًا، من غير تكلف، وعفويتها جعلت النصوص أكثر شاعرية وإيحاءً، يدركه المتلقي، وينفعل به، ويتفاعل معه.

٢-الجناس :

حضر الجناس في بعض النصوص لدى الشاعر، فلنلاحظ ظهوره في كلمة البن، وهي شجرة تصنع منها القهوة، وكلمة البان، وتعني الشجر الرقيق في البيت التالي: [2]

«بَيْنَ الرِّياضِ رِياضِ البُنِّ والبَانِ ** وفي جِنَان جِنانٍ ذاتِ أَفْنَانِ»

فالكلمتان بينهما جناس ناقص؛ لاتفاقهما في تركيب الكلمة، واختلافها في المعنى.

وبين كلمة (جِنان) التي تعني القلب، وكلمة (الجنون) التي تعني فقدان العقل في البيت التالي: [3]

"وخَيَالٌ يُصَوِّرُ الحُسْنَ قُبْحًا ** وجِنَانٌ يَقُوْدُنِيْ للجُنُوْنِ"

وبين كلمة(الآلام)التي تعني التعب والأسقام، وكلمة (الآمال) التي تعني التفاؤل في البيت التالي: «فِيهِ آلامِيْ وآمَالِيْ وعَزْمِيْ واضْطِرَابِيْ» [4]

١- نفسه ص:٥٤

٢- مرافئ الحب ص:٢٥٠

٣- نفسه ص:٢٧١

٤- نفسه ص:١٨٧

وإدخال الكلمات المتجانسة في النصوص أحدث تناغمًا، وموسيقية بين الألفاظ.

٣-التصريع :

والتصريع موجود، وحاضر في أغلب القصائد لدى الشاعر، وظهر على سبيل المثال في قوله:[١]

«قالوا: تَقَاعَدَ، قُلْتُ: لا، بَلْ أُقْعِدا * * ما ضَرَّ لو قالوا: عجوزًا أُبْعِدا»

بين كلمتي (أقعدا وأبعدا)

وقوله:[٢]

«مَنْ رَسُوليْ لِمَرْتَعَ الأُنْسِ فَيْفَا؟ * * للذُّرَى، للسُّهُوْلِ، قَفْرًا، ورِيْفا»

بين كلمتي (فيفا وريفا)

وقوله:[٣]

«ما لهذا العَصْرِ، أَجَدْبٌ ضَنِينُ؟ * * أَمْ مُصَابٌ بالعُقْمِ؟ أَمْ عِنِّيْنُ؟»

بين كلمتي (ضنين وعنين).

فقد أضاف التصريع إلى النصوص لدى الشاعر موسيقية عذبة رقيقة، فيشعرنا ذلك بترابط البيت، وتناغمه، بحيث يقرأ الشطر الأول، ويكون عقل القارئ على استعداد لسماع الكلمة الأخيرة من الشطر الثاني، والتي تسير على النغمة الموسيقية نفسها للكلمة الأخيرة في الشطر الأول، ومباشرة الألفاظ أدى دورًا كبيرًا في جمال التصريع في نصوص الشاعر، ومما يزيد هذه المفردات رونقا الجناس، الذي كان بجانب التصريع، فزادها قوة، ووقعا في النفس أكثر، فبين كلمتي: (أقعدا وأبعدا) وكلمتي:(فيفا وريفا) وكلمتي:(ضنين وعنين) جناس ناقص.

١- نفسه ص: ٦٤

٢- نفسه ص:١٢٠

٣- نفسه ص:٢٣٦

٤-الاقتباس:

ويعني» أن يُضمَّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه»[١].

وقد برز الاقتباس من القرآن الكريم لدى الشاعر بشكل ملموس في بعض الأبيات،فظهرت كلمة (شواظ) في قوله:

«أَلْفَاظُها مِنْ شُواظ كُلّها لَهَبٌ

تَكْوِيْ فُؤاديْ وأَحْشَائيْ وشِرْيَاني»[٢].

فهذه المفردة دلت على شدة اللهب والاحتراق، واستخدام الشاعر لها دلالة واضحة على شدة وجده، واحتراق فؤاده، وهي مقتبسة من قوله تعالى ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣].

وجمل:(كنت تقيا، وما كنت شقيا، ما دمت حيا)، حيث يقول الشاعر:[٤]

"حَوِّلِ الإعصارَ عَنْ وجْهِيَ إنْ كُنْتَ تَقِيَّا

قَدَرِيْ المَشْؤوْمُ أنْ أَشْقَى وما كُنْتُ شَقِيَّا

وسَأَبْقَى حافِظًا سِرَّ الهَوَى ما دُمْتُ حيًّا»

وهي مقتبسة من قوله تعالى:﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾[٥]، وقوله تعالى:﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[٦]

١- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)،تحقيق: إبراهيم شمس الدين،فريد الشيخ، وإيمان الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:١،/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص:٣١٢

٢- مرافئ الحب ص٢٥٤

٣- الرحمن الآية: ٣٥

٤- مرافئ الحب ص:١٨٥

٥- مريم الآية: ١٨

٦- مريم الآية: ٣١-٣٢

والاقتباس يظهر مدى ثقافة شاعرنا الدينية، وتأثره بكلمات القرآن الكريم، وظهور ذلك جليًا وملموسًا في شعره يمنح النص قوة، ويكون أكثر وقعًا في نفس المتلقي.

٥- التضمين :

ويعني «أن يضمن الشعر شيئا من شعر غيره، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء»[١]. يقل التضمين، أو يكاد ينعدم في نصوص الشاعر، فلم يتضح لنا في سوى بيتين اثنين. يقول الشاعر سلمان الفيفي في قصيدة له:[٢]

«هـذا مكــانُكَ قَــالَهَا مَنْ قَـبْلَنـا * * مـا الــحُـبُّ إلاّ للحَبِيْبِ الأَوَّلِ»

فقد ضمن الشاعر الفيفي الشطر الثاني بتمامه من بيت أبي تمام الذي يقول فيه:[٣]

«نَقِلْ فُؤَادكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الهَوَى * * ما الحُبُّ إلاّ للحَبِيْـبِ الأَوَّلِ»

وقال شاعرنا في بيت آخر:

«وظُلْــمُ ذَوِيْ الـقُرْبَى أَشَـدُّ مَضَــاضَـةً

وأَنْكَى جِراحًا مِنْ شَبَا السَّيْفِ يَجْزُرُ»[٤]

فقد ضمّن الشطر الأول من بيت الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد الذي قال فيه:

«وظُلْــمُ ذَوِيْ الـقُرْبَى أَشَـدُّ مَضَــاضَـةً

على المَـرْءِ مِـنْ وَقْـعِ الحُسَامِ المُهَنَدِ»[٥]

وعلى الرغم من قلة التضمين في نصوص الشاعر، فإنه أظهر لنا مدى تأثره

١- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ص:٣١٦

٢- مرافئ الحب ص:١٧١

٣- أبو تمام، ديوانه، شرح: الخطيب التبريزي، دار الفكر العربي، بيروت، ط:١، الجزء، ٢ ص:٣١٢

٤- مرافئ الحب ص:٩١

٥- طرفة بن العبد، ديوان، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط:٢/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص:٢٧

بالشعراء القدامى، الذين ربما عاشوا تجارب مشابهة لتجاربه، على الرغم من بعد الزمان بينهم وبينه.

٦-التقسيم :

ويعني: «ذكر متعدد ثم إضافة ما لكُلٍّ إليه على التعيين»[١].

كما في قوله:

«والـوَجْـدُ أَنْـحَلَنِي، والشَّـوْقُ أَسْهَــرَنِي
والبُعْــدُ أَهْــزَلَـنِيْ، والبَيْــنُ أَفْنَــاني.
يـا مُنِيَـةَ الــرُّوْحِ، يـاحُبِّـي، ويـا أَمَلِيْ،
يـابَلْسَمًـالِـجرَاحِيْ، هَلْ سَتَنْسَـاني؟»[٢]

وتقسيم الأفكار و ترتيبها، يكون أوقع في النفس، ويمنح ذهن المتلقي سرعة الاستيعاب؛ فتسهيل الشيء، وترتيبه، يكون أوقع وأقرب إلى النفس من التعقيد، ووجوده بارز مطرد في نصوص الشاعر.

٧-التكرار

من الظواهر البلاغية لدى الشاعر "التكرار"، الذي ظهر بطريقة عفوية في مواضع من نصوصه، وبطريقة مقصودة في مواضع أخرى؛ أي أنه ليس شرطًا أن يكون للتكرار دواعٍ أو أسباب لدى الشاعر، أو أنه يقصد من ورائه تأدية وظيفة شعرية ما.

* تكرار الأصوات

فمن الظواهر الأسلوبية التي جاءت في نصوص الشاعر (تكرار الأصوات) على سبيل المثال تكرار صوت التاء (تجلمدت) و(تهت)، وصوت الصاد والحاء في (الصحصحان) في قوله:[٣]

١- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، ص:٢٧٠

٢- مرافئ الحب ص:٢٥٦

٣- نفسه ص:١٤٨

«تَجَلْمَدْتُ لَمَّا بَكَى لِيْ السُّؤَالْ * * وتُهْ على سَاجيَاتِ الرِّمَالْ
أهيمُ على الصَّحْصَحانِ * * على مَتْنه تَسْتَكينُ التِّلالْ»

فحرف التاء لحقت الفعل في (تجلمدت، وتهت)، وهو حرف مهموس رقيق له دلالاته هنا، يتناسب مع حالة الشاعر في هدؤها وحزنها، وتكرار صوت (الصاد والحاء) في كلمة (الصحصحان)، فحرف الصاد حرف إطباق؛ مما جعله يتميز بالقوة، بعكس حرف الحاء الذي يتميز بالرقة، ولكن اتحاده مع حرف الصاد منحه القوة، ولهما دلالتهما هنا، يتناسبان مع حالة الشكوى، وشدة الألم.

وأمر آخر في القوة نراه في البيتين التاليين:[1]

«قالوا: تَقَاعَدَ، قُلْتُ: لا، بَلْ أُقْعِدا * * ما ضَرَّ لو قالوا: عجوزًا أُبْعِدا
ما انفكَّ يَعْصِرُ فِكْرَهُ حتى غَدا * * مُتَبَخِّرًا كدُخانِ جَمْرٍ أُخْمِدا»

فتكرار صوت «ألف المد» في كلمات(تقاعد، أقعدا، أبعدا، دخَان، أخمدا)، كأنه هنا يدل على انقضاء الشيء، وانتهائه، وتبخره، ويتلاءم مع صوت التحسرعلى انقضاء تلك الفترة.

ولننظر في قوله:[2]

«تكالَبَتِ الأَعْداءُ مِنْ كُلِّ جانِب * * تَاعَتْ على الإِسْلامِ تِلْكَ الشَّرَاذِمُ
«سَرَايِيْفُ» - يارَبَّاهُ - أَضْحَتْ كماتَرَى * * تُدَاسُ بأَقْدَامِ النَّصَارَى وتُهْدَمُ
وتُنْتَهَكُ الأَعْراضُ فِيْها وحَسْبُنا * * قَراراتُ شَجْبٍ واعْتِراضٌ مُنَعَّمُ
وقامَ «الصَّلِيْبُ» الوَغْدُ يَغْتَالُ عِزَّنا * * يُساعِدُهُ غَدْرٌ وجَيْشٌ عَرَمْرَمُ
رَأَوْا منْ أُسُوْدِ اللهِ نَوْمًا فَعَرْبُو ا * * كذا يَفْعَلُ الخِنْزِيْرُ إنْ نامَ ضَيْغَمُ
تُهانُ كَراماتُ العَفِيْفَاتِ جَهْرَةً * * ويُهْتَكُ سِتْرُ المُسْلِماتِ وتُلْطَمُ
يُنَادِيْنَ أَيْنَ المُسْلِمُوْنَ وهذهِ * * شَوارِعُنا نارٌ وعارٌ وعَنْدَمُ؟!
فكَمْ مِنْ حَصانٍ ذاتِ خِدْرٍ مَصُوْنَة * * يُراقُ على أَقْدامِها الطُّهْرُ والدَّمُ

١- مرافئ الحب ص:٦٤

٢- نفسه ص:٢١٤

وكَـمْ مِـنْ رَضِيْع جُـرَّ مِنْ حِجْرِ أُمِّه * * لـيَحْضُنَـهُ صَـدْرٌ غَـرِيْـبٌ مُحَرَّمُ»

فتكرار صوت «الياء» في كلمات(سرايِيْف، الصلِيْب، الخنزِيْر، ينادِيْنا، رضِيْع، غرِيْب)، تبقى له دلالاته على الاشتداد، وارتفاع حدة الصوت، حيث يبعث في النفس حالة الغضب، والاغتياظ مما حدث.

ولنرى رقة الحروف، وعذوبتها في قوله:[1]

«في رحـابِ الشَّمـالِ طـابَ اللقـاءُ * * يـا شَـذا الطِّـيْبِ لَـوْ يطـولُ البقـاءُ
في حَشـا عَـرْعَـر تَحلُّـونَ أهــلاً * * رَحَّـبَ السَّهْـلُ والـرُّبَى والـفَضـاءُ
فـاحَ منهـا القَيْصُــوْمُ والشِّيْـحُ لَّمـا * * جـاءَهـا الحَظُّ والـمُنَى والرَّجــاءُ»

ففي هذه الأبيات الثلاثة نلمس الرقة، والعذوبة، والهدوء، وتكرار "واو المد" في كلمات (يطُول، تحلُّون، القَيْصُوم) تبعث حالة البهجة، والسرور، والانسجام، وكذلك تكرار "حرف الشين" في كلمات (الشمال، والشذا، وحشا).

وتكرار الأصوات لدى الشاعر نلاحظ أنها جاءت بطريقة عفوية؛ فلم يقصد الشاعر بها وظيفة بعينها، ولكنها أدت وظيفة جمالية في نصوصه.

* تكرار الكلمات:

ثم ننتقل لتكرار الكلمات في شعر الفيفي؛ فنراه يكرر كلمة (الشعر) في قوله:[2]

«الشِّعْرُ، ما الشِّعْـرُ إلا فكرةٌ نَضَجَتْ * * وكان منها على القِرْطاسِ عَصْماءُ
يـا مُبْـدِعَ الشِّعْـرِ إنَّ الشِّعْـرَ آيتُـهُ * * تَـوَهُّــجٌ وانـدِفـاقـاتٌ ولألاءُ»

وفائدة التكرار هنا تكمن في أهمية الشعر لديه، وأنه بمثابة الصديق، والملاذ الذي يحكي كل الأفكار، والأحداث، والظروف، والتجارب التي مرَّ بها الشاعر.

١- نفسه ص:٤٢

٢- مرافئ الحب ص:٤٠

ونراه يكرر كلمة (الجهاد)، في هذا البيت:[1]

«الـجِهَـــادَ الجِهَادَ، واللهِ إنَّـا * * قَـدْ حَلَفْنــا ماتُسْــدِلِيْنَ السِّتَارَةْ»

وتكمن دلالته في: أهمية الجهاد، وأنه سنام الدين، وهو الحل الوحيد -برأي الشاعر- للخلاص من العدو، وإخراجه من الأرض المحتلة.

ويكرر كلمة (أنا)في هذا البيت:[2]

«وأَنَّا أَنَا.. كـالأَمْـسِ أَفْتَشُ الأَسَى * * ويَــزُجُّ بيْ في الهَــمِّ فِكْــرٌ أَخْرَقُ»

وكأنه يريد التوكيد، ولفت انتباه المتلقي، لما عاناه من آلام وأحزان، عصفت بفكره وقلبه.

ونراه هنا يكرر أسلوب الاستفهام (أين):[3]

«وأَيْـنَ؟ وأَيْـنَ؟ ومـاذا أَقُـــوْلُ؟ * * وقـد نَـدَّ عَنِّـي جَـوَابُ السُّـــؤَالْ»

الذي يظهر لنا شخصية الشاعر المتحيرة، المتسائلة، ولم تجد لأسئلتها أجوبة، فيظهر لنا شاعر يعيش صراعًا مع ذاته، ومع الأشياء من حوله، ولاسيما المتغيرات التي لا تقبلها نفسه.

وتكرار الكلمات في النصوص نرى أنها لم تأتِ عفوية لدى الشاعر، ولم تأتِ من فراغ، بل قصد بها وظيفة وهدفًا؛ فهو يعكس لنا انفعاله، ومقصده من التكرار في كلمة ما؛ للتنبيه أو للتأكيد على أمر ما، وبيان مدى أهميته لديه، بالإضافة إلى ما أحدثه تكرار الكلمات في بعض النصوص من إيقاع، وموسيقية عذبة.

١- نفسه ص: ٨٦

٢- نفسه ص:١٣٦

٣- نفسه ص: ١٤٩

الفصل الثالث
الصـــــورة

* تعريف الصورة
* الصورة الوصفية
* الصورة الذهنية
* الصورة البلاغية
* الصورة الحسية
* الحس القصصي والحواري

* تعريف الصورة:

والصورة لم تعد تقتصر على الصور البلاغية فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى صور أخرى لها علاقة بخيال المتلقي وذهنه، وهي (وصفية، ذهنية، حسية).

وقد أورد الباحثون تعريفات كثيرة، فمنهم من قال: «وأما الصور الشعرية فنعني بذلك أنك حين تقرأ للشاعر قطعة يكون الشيء كأنه مرسوم أمامك بوضوح شديد ومجسم «بارز» تجاه بصرك»[1]، وقال آخر» هي ما يلجأ إليه الشاعر للتعبير عما يريد، بعيدًا عن المباشرة والتقرير والوصف الحرفي المنطقي للأشياء، مستفيدًا من خياله الذي يضفيه الموقف، وقدرته على الجمع بين العناصر المختلفة زمانًا ومكانًا وروابط، وتقديم ذلك في سياق متآلف يروع السامع ويبهره، ويستبد بإعجابه»[2]. «إذاً الصورة هي وسيلة الشاعر لنقل تجربته إلينا» [3].

١- علي علي صبح الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، الجزء:١ ص:١٣٧

٢- حيدر الغدير، عاشق المجد (عمر أبو ريشة شاعرًا وإنسانا)، دار الرسالة، بيروت، ط:١/ ١٤١٧هـ، ص:١٩٤

٣- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط:٦/ ٢٠٠٥م، ص:٤١٧

ولاحظنا الصورة لدى الشاعر وما مدى تأثير البيئة والطبيعة عليها، فكانت الصورة لدى الفيفي تعبيرًا عن خلجاته، و التغيرات التي طرأت على حياته من ظروف ومصاعب، وفي حديثي عن الصورة سوف أعرض أنماط الصورة لدى الشاعر الفيفي، هي :

أ- الصورة الوصفية.

ب- الصورة الذهنية.

جـ- الصور البلاغية (التشبيه، الكناية، الاستعارة، التشخيص).

د- الصور الحسية (البصرية، السمعية، الشمية، الذوقية).

هـ-الحس القصصي والحواري

أ-الصورة الوصفية:

الصورة الوصفية لدى الشاعر هي «الوصف الذي يجسد به انفعالاته بالأشياء في حدود الوصف المباشر، أو الصورة الحسية، والمشهد والحادثة»[1].

ولننظر في هذا النص مشهد الأم والأبناء: [2]

«أولادُهـــــــا مِـــنْ حَـوْلِـهـا ** كـــالعَيْـنِ فيـــها الـبَـصَرُ
تَـــــقْسِـمُ مِــنْ لُقْمَتِـهـا ** ليَـأْكُلُـــوا ويَكْـبُـــرُوا
وأَصْـغُـــر الأَبْـنَــاء يَـبْـــ ** ـكِـيْ، أَتْعَبَتْـهُ «الكَـوْثَـرُ»!
يَـكْـتُـبُ طُـوْلَ اللَّـيْـلِ مِـنْ ** تِلْقائِـــه لا يُـــؤمَـــرُ
وكُـــلَّمـا يَـكْـتُـبُ فِي الــ ** ـــلَّوْحِ تَمِيْـــلُ الأَسْطُـرُ
سِـــراجُـــهُ مِـسْـرَجَـــة ** ذَابَـــلَةٌ والـقَمَـــرُ»

ففي هذه الصورة يصف الأم وأبناؤها من حولها، وهي تقسم لقمتها حتى يشبعوا، ويصور أصغر الأبناء، وهو يدرس، و يقرأ، ويكتب، ولم يكن معه من

١- خالد محمد الزواوي، الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط: ١/ ١٩٩٢م، ص:١٠٣-١٠٤

٢- مرافئ الحب ص:١٠٣-١٠٤

الضوء سوى مسرجة ذابلة والقمر. وتعبر هذه الصورة عن مقدار إخلاص الأم، وحنانها، وعطفها على أبنائها، حتى في أحلك الظروف التي تمر بها، ويظهر لنا من خلال هذه الصورة مدى الشقاء والتعب، الذي عانت منه، وعانى منه أبناؤها، فكأننا نشاهد صورة الابن الأصغر وهو يدرس ويقرأ ويكتب، وصورة المسرجة الذابلة وصورة القمر، فهما يعبران عن مقدار صعوبة التعلم التي واجهها الجيل القديم، وعلى الرغم من تلك الصعوبات، فإن هناك الكثير من الطموح والعزيمة تعلوهم.

وتبدو لنا الصورة الكلية متكاملة العناصر، والأجزاء كلوحة فنان مبدع، مليئة بالحركة، ونبض الحياة، بل تحكي حياة الأسرة المكافحة منذ بواكير الصباح:[1]

«كُلُّ صَبَاح جاهِزٌ ** «يَمْخَنُ» أو «يُحَفِّرُ»
وواحدٌ مُنْهَمِكٌ ** «يَفْرُسُ» أو يُزَبِّرُ»

فيصور أكبر الأبناء في صحوه في الصباح الباكر يمخن أو يحفر، وثالث الأبناء يفرس أو يزبر، قد أنهكهما التعب، وتعبر هذه الصورة عن مدى شقاء الإنسان الفيفي، واشتغاله بالزراعة والفلاحة، وحرصه على الزرع، ورعايته له.

ويصور الشاعر المجتمع الفيفي في العيد:[2]

يَسْتَعْرِضُوْنَ في ثِيَا ** بِ العِيْدِ كُلٌّ يَفْخَرُ
وتاجُها «مِقْلَمَةٌ» ** يُطِلّ مِنْها الشَّعَرُ
والحُسْنُ «والألْبَابُ» في ** مَفْرِقِها والعَنْبَرُ
وخَاتِمٌ مِنْ فِضَّة ** تَذُوْبُ فِيْهِ البُنْصُرُ
وعَزَبٌ مُنَظَّمٌ ** في مَشْيِهِ تَبَخْتُرُ
«مُصْنَفُهُ» مُنَيَّلُ ** و«كُوْتُهُ» مُزَرَّرُ
أو «مِبْرَدٌ» مُهَدَّبٌ ** و«مِعْدَلٌ» مُشَجَّرُ
مَفْرِقُهُ مُطَيَّبٌ ** وجِسْمُهُ مُعَطَّرُ»

١- نفسه ص:١٠٥

٢- مرافئ الحب ص:١٠٨-١٠٩

فيعرض لنا صورتهم وهم يستعرضون في الثياب الجديدة، في فخر وزهو، فالمرأة تاجها مقلمة يطلُّ منها الشعر والحِسْن واللباب، والعنبر طيبها، وخاتم من فضة زينتها، وثمة شاب يتبختر في مشيه مطيب ومعطر، بمصنف منيل، وكوت مزرر، ومبرد مهدب، ومعدل، ومشجر. إنها لوحة شعرية متكاملة منتزعة من الواقع الذي يعيشه الشاعر في بلدته الجبلية (فيفا)، وهي بحق وثيقة شعرية للحياة التي عاشها أهالي فيفا منذ حين من الدهر ليس ببعيد، وهنا تكمن شاعرية الفيفي، وتبدو أهمية شعره في صدق ما يتناوله، وفي جمال تقديمه، وحسن عرضه.

وهذا وصف لوادي الفاحم أحد أودية فيفاء:[1]

«تّكَّرْتُ وَادِيْ (الفَاحِم) الوَارِفَ الظِّلِّ ** وأَشْجَارَهُ تَـزْدَانُ بالزَّهْرِ والطَّلِّ
تَـذَكَّـرْتُـهُ في لَـيْلَةٍ مُـدْلَهِمَّةٍ ** غُـدَافِيَّـةٍ لا يُهْتَـدَي مَضِعُ الرِّجْـلِ
تَكَّرْتُ حَبَّـاتِ الحُصَيَّـاتِ عِنْدَمَـا ** تُجَـرِّحُ أَقْدامًـا تَجَرَّدْنَ مِنْ نَعْـلِ
تَـذَكَّـرْتُ أَشْـوَاكَ السَّيـال تَشُكُّني ** بِوَخْزٍ يُضَاهِيْ وَخْزُهُ إِبْرَةَ المَصْلِ
ومـا أَبْـدَعَ الـوَادِيْ! وجَلَّـتْ يَدُ الذي ** حَبَاهُ جَمَالاً في سِنِيْ الغَيْثِ والمَحْلِ
وكَـمْ لّـيْلَـة غَـطَّى الغَمَامُ نُجُوْمَهَا ** وأَرْجَفَتِ الأَرْجَـاءُ بالبَرْقِ والـوَبْـلِ
يَـهُزُّ أَزِيْـزُ البَرْقِ والرَّعْدِ والصَّدَى ** حِجَى ظَبْيَـةِ الـوَادِيْ فَتَوِيْ إلى الشِّبْـلِ
ويَسْتَقْبِـلُ الوَادِيْ مِنَ السَّيْـلِ مَا بِهِ ** يَعُـوْدُ على الخِـلاَّنِ بالبَيْنِ والبَـتْلِ
فتَمْتَزِجُ البُشْـرَى مَعَ الحُزْنِ والأَسَى ** أَجَلْ، حَيْثُ حَانَتْ بالحَيَا فُرْقَةُ الشَّمْلِ»

فتبرز لنا صورة الوادي المهيبة، ويتجلى لنا كل ما فيه من ظل وأشجار وحصى وزهر وطل وليل والسيال والشوك والزرع والسيل، وهذه الأبيات عبارة عن لوحة مليئة بالمشاهد فالأشجار متزينة بالزهر والمطر، وليل مظلم غطى نجومه الغيوم، فلا يهتدي الماشي فيه لموضع قدمه، والقدم التي تمشي بدون نعل فوق الحصى، فتجرحها الأشواك، وضوء البرق الذي يلمع في

١- مرافئ الحب ص:١٦٣-١٦٤-١٦٥

السماء، وصوت الرعد، وصدى صوت المنادي، والسيل: الذي يأتي بكل ما فيه من خير وشر، وربما قصد الشاعر بهذه الصورة الأضرار التي كان يخلفها السيل من غرق، أو تدمير لمال من مزارع أو ماشية. إنَّها لوحة اشتغلت على جميع الحواس وتجاوزتها إلى الخيال الماتع.

ويرسم الشاعر بكلماته لوحة أخرى معبرة لفتاة تحاور حبيبها، وقد يئست من الارتباط به:

«وقّفَتْ تَنْدُبُ حَظَّا عاثِرًا يَجْفُوْ ويَقْسُو
وتُنَاجِي نَفْسَها: بَختْيْ أنا شُؤْمٌ ونَحْسُ
فمتى يا ربِّ يأتينيْ الهَنَا والفُلْكُ يَرْسُو؟
كيفَ أَحْظَى بطَبِيْبِ لِجراحِ القَلْبِ يَأْسُو؟
كُلُّ مَنْ حَوْلِيْ جماداتٌ غِلاظٌ لا تُحِسُّ
ليسَ ليْ مِنْهُمْ جميعًا إلاَّ تَحْرِيْشٌ ودَسُّ
وافتراءاتٌ وظَنٌّ واتِّهاماتٌ وحَدْسُ
حُبُّنا أَطْهرُ حُبٍ ما بِهِ مَسٌّ ولَمْسُ
قُلْتُ مَهْلاً، يا سَوادَ العَيْنِ، ما في الأَمْرِ بَأْسُ
كُلُّ شَيْء في حياةِ المَرْءِ تعليمٌ ودَرْسُ
وانْثَنَتْ عائدةً توديعُها دَمْعٌ وهَمْسُ»[1]

فعبر الشاعر هنا بصورة كاملة تحكي حبه، هو ومحبوبته، مستخدما تقنية الحوار، وأسلوب القص، وهي واقفة تندب حظها التعيس، وهو يرد عليها ويواسيها، وتظهر لنا المحبوبة في حالة من البؤس والشقاء، بينما يظهر المحبوب بمثابة الطبيب المواسي لها في حزنها، على الرغم من أنه ليس ببعيد عنها؛ فلقد عصف بقلبه الكثير من الأحزان والمآسي.

١- نفسه ص:١٨٠-١٨١

ب-الصورة الذهنية :

«إنَّ بعض الدلالات القديمة لكلمة الخيال تشير إلى ما نسميه الآن بالصورة الذهنية، أي أنها تشير إلى مادة الخيال لا إلى ملكة الخيال نفسها»[1]

ففي هذه الصورة الذهنية يظهر لنا مدى يأس الشاعر من الواقع الذي يعيشه، ورغبته في الهروب منه إلى الخيال:[2]

«فِي البَحْرِ يَسْبَحُ بِيْ خَيَالٌ مُغْرِقُ ** ويَسِيْحُ بِيْ فِي الأَرْضِ فِكْرٌ مُعْنِقُ
وأنا الأَسِيْرُ لِسَيِّدٍ لا يُعْتِقُ ** فِي اليَمِّ فِي نُجُدِ البِلادِ يَطُوْفُ بِيْ
حُلُمٌ لَهُ بَيْنَ الحَقَائِقِ رَوْنَقُ» ** يَجْتَازُ أَجْوَازَ الفَضَاءِ مُرَفْرِفًا

فيصور نفسه وكأنه يسبح في بحر عميق، والفكر يلوي به، وكأنه أسير لا يُعتق، فيتحدث عن ألم المعاناة في الواقع، ولنا أن نتصور شاعرًا داهمه المرض، وهو في شبابه؛ فبسببه سافر، وابتعد عن الأهل والديار.

ولننظر في هذه الصورة لذات متعذبة بلهيب الحياة وجمرها:[3]

«هَلْ تُدْرِكُوْنَ عَذابِيْ ** وما بِفِكْرِيْ مِنَ الغَمْ؟!
أَبِيتُ لَيْلِيْ عَلِيْلاً ** كَأَنَّ بِيْ أُمَّ مِلْدَمْ
كَأَنَّ جَمْرًا لَهِيبًا ** بَيْنَ الجَوانِحِ مُضْرَمْ»

فتعكس معاناة الشاعر وعذابه، وتجعل القارئ يشعر هو الآخر بالألم، فهذه الصورة معبرة، وتظهر الكثير من هموم الشاعر وأكداره، وعلى الرغم من تصويره لتلك المعاناة بشكل مباشر، فإنه نجح في إيصال تلك المعاناة لنا، وشعرنا معه بالألم والإحساس الذي عاشه.

١- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:٣/ ١٩٩٢م ص:١٥

٢- مرافئ الحب ص:١٣٤

٣- نفسه ص:١٩٢-١٩٣

وهذه صورة ذهنية أخرى تختصر لنا قصة عشق طويلة صرح بها مرارًا وتكرارًا في أشعاره:[1]

«قالتْ: بعيدٌ ذاكَ إنَّ حرارتي ** تشويكَ ثمَّ تموتُ في أفيائي»

فيظهر هنا لهيب الحب والشوق للمحبوب، و أخذ يسرد حوارات بينه، وبين محبوبته، يسلي بها خاطره المكلوم الحزين.

وفي هذه الصورة نرى أنوار السعادة التي تضيء قلب شاعرنا:[2]

«وأَنْوارُ السَّعَادَةِ في فُؤادِي ** تُضِيْئُ بِقُرْبِكُمْ في كُلِّ حِيْنِ»

فهذه السعادة شعر بها عندما كان قريبًا من أهله وأحبابه ودياره، فعكست لنا لحظة فرح داعبت قلبه وذهنه.

ج-الصور البلاغية.(التشبيه-الاستعارة-الكناية)

ونعني بها في شعر الفيفي: التشبيه، والاستعارة، والكناية.

فالتشبيه» الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى»[3]

وقد حضر التشبيه بصورة لافتة في شعر الفيفي بمختلف صوره وأنواعه، وفي وصفه لمحبوبته يشبِّهها برائحة المسك الزكية الطيبة، ويشبهها تارة بفراشة الربيع الجميلة، التي تطير فوق الأزهار هنا وهناك، وتارة يصفها بالبسمة الزاهية في بهائها، وبالدفء في لطفه وخفته، وبالندى في رقته ونعومته:[4]

«جاءتْ كنَفْحِ المِسْكِ ذاتَ مساءِ ** خَجْلَى تُهَامِسُنيْ على استحياءِ
جاءتْ كزنبقةِ الرَّبيعِ، كبَسْمَةٍ ** مزهوَّةٍ، كالدِّفْء، كالأنداءِ»

١- مرافئ الحب ص: ٤٦

٢- نفسه ص:٢٥٨

٣- الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ص:١٦٤

٤- مرافئ الحب ص:٤٥

وها هي تشبيهات مستوحاه ومستمدة من الطبيعة، ويقصد بذلك إضفاء مزيد من الجمال، مع محاولة إبراز مكانة الموصوفة في قلبه، ويستدعي ذلك وصفها بهذه الصفات، التي تدل على العذوبة والجمال والرقة.

ويشبه الصباح الكسول بالشخص المكبل بالقيود؛ مما يجعل مشيه خفيفا وبطيئا:[1]

«والصَّبَاحُ الكَسُوْلُ يَـمْشِـيْ وَئِيْـداً ** مِثْـلَ مَـنْ في القُيُـوْدِ يَـمْشِـيْ رَسِيْفـا»

والمقصود من التشبيه هنا محاولة إيصال معاناته للمتلقي، وطول الهم عليه، وتأخر الفرج.

ويصف السرور بالأنسام المعطرة:[2]

«فَـاضَ السُّـــرُوْرُ كـأَنْسَامٍ مُعَطَّـــرَةٍ

تَبُثُّ في النَّفْسِ دِفْءَ الفَجْرِ والشَّفَـقِ»

ويقصد بهذا الوصف نقل حالة السرور للمتلقي التي انتابته، وتبث في النفس الطمأنينة والراحة والابتهاج.

ويشبه الجيش القوي الحازم في هجومه واجتياحه للأعداء بالعاصفة التي تهب، فتشل وتزيح ما أمامها، وتجعله أثرًا بعد عين، كما يشبهه في سرعته بالصاعقة المدمرة الساحقة الماحقة، يدافع عن أرضه، ويرويها بالعرق والدم، ويقدم الروح هدية لها دونما مقابل:[3]

«لُـيُوْثُنـا في تُخُـوْمِ الأرْضِ عاصِفَـةٌ

هَـوْجَـاءُ تَسْفِـيْ على الأَعْـدَاءِ بـالنِّقَـمِ

صُقُــوْرُنا في عَنَـانِ الجَـوِّ صَـاعِقَـةٌ

تَـنْقَضُّ في الـحَرْبِ تُـرْوِيْ أَرْضَنا بِـدَمِ»

١- مرافئ الحب ص:١٢٤

٢- نفسه ص:١٤٥

٣- نفسه ص: ٢٢١

والمقصود من التشبيه إبراز هيبة الموصوف، وبيان قوته، من خلال وصفه بألفاظ ذات دلالة (ليوث، صقور، عاصفة، صاعقة).

وهنا يشبه الشاعر محبوبته في جمالها وبهائها بالقمر المضيء في منتصف الشهر، وهو مما جرت به ذائقة القدماء:[1]

«أتمنَّى يا ضياءً لاحَ كالبدرِ المُنِيرِ»

ويقصد من التشبيه إبراز الحسن الذي تحلى به الموصوف، وبيان المكانة التي يحملها في قلبه له.

ويشبه غناء البلبل بنعيق الغراب:[2]

«وغنَاءُ البُلْبُلِ النَّاعِمِ في الدَّوحِ الكَثِيْفْ
كنَعِيْقٍ مِنْ غُرَابٍ صَاحَ بالصَّوتِ العَنِيْفْ»

وترى الباحثة بأنه تشبيه غريب، لم يوفق الشاعر في وصف صوت البلبل بنعيق الغراب؛ لأن الشاعر بالغ في وصف الحال. والتشبيه هنا يحمل معاني سوداوية، تدل على نفس الشاعر اليائسة، والنظرة التشاؤمية للحياة.

وفي مدحه لخاله يصفه بالسيف:[3]

«كُنْتَ سَيفًا صَارِمًا ذَرِبًا ** حاسِمًا في ساعةِ الحَرَدِ»

فلفظة «السيف» هنا دلالة على الشجاعة والإقدام في ساعة الحرب، وعندما يتطلب الأمر لذلك، ووصف الشاعر دلالة على المكانة العالية التي يتقلدها الممدوح، وتتوالى الكلمات التي تدل عليها، وتؤدي معناها: « صارم، حاسم، ذرب»، هذه الكلمات دلالة على معنى الشجاعة، والحكمة، وعلى الرغم من أن الصورة مألوفة فإنَّ المباشرة في التعبير تكون أقرب إلى قلب القارئ، وذهنه من التعقيد.

١- نفسه ص:١٧٣

٢- نفس ص:١٨٨

٣- مرافئ الحب ص:٧٤

وهنا يشبه الفتية بالمصابيح:[1]

«مَصَابِيْحُ إِيْمَانٍ مَتِيْنٍ مُؤَطَّرٍ
تَسَامَتْ بِهِ الأَهْدَافُ وانْدَاسَ عُنْصُرُ»

فصورة الفتية تُظهر المكانة العالية التي يعتليها العلم، والإيمان وأهله، واستخدم الشاعر ألفاظا تدل على المعنى، وتؤديه: « إيمان، الأهداف، متين»

ومن صور التشبيه ورود لفظ «توءم الجوزاء» في تعبيره عن محبوبته:[2]

«قُتُ، وقد مَلَكَ الجمالُ مشاعريْ ** مَنْ أنتِ؟ أَنتِ تَوْءَمُ الجَوْزَاءِ!
أُدْنِيْ،اجلسيْ ياشمسُ،يَنْقَلِبُ الدُّجَى ** نُوْراً أَقِيْمِيْ بواحتيْ الَجرْدَاءِ»

ويقصد ذلك التشبيه التعبير عن شدة الجمال والبهاء، الذي يتصف به الممدوح، ويشعر القارئ بذلك الجمال المكنون في روح الشاعر المُحب.

ويشبه حزب تكريت بالشوكة:[3]

«ما حزبُ تكريتَ إلا شَوكةٌ زُرعتْ ** في تُرْبِكِ الطاهرِ المزروعِ بالعِنَبِ»

ورود لفظ (شوكة)تعبير عن خبث النوايا والأهداف، التي يضمرها ذلك الحزب، وعلى الرغم من البساطة في التعبير، فإنه أبلغ في تأدية المعنى، وإيصاله إلى ذهن المتلقي.

ويشبه الملك فهد-رحمه الله- بالأنشودة: [4]

«ويا فَهْدُ، يا أنشودةً في فَمِ الدُّنَى
تُحِيْطُ بِكَ الأَحْداقُ، يا خَيْرَ قائِدِ»

«فأنشودة» تعبير عن الذكر الطيب الذي تمتع به ذلك القائد العظيم-رحمه الله-، وعبرت عن مكانة كبيرة احتلها في قلوب أبناء شعبه، فأصبح أنشودة الدنيا

١- نفسه ص:٩٤

٢- نفسه ص:٤٦-٤٨

٣- نفسه ص:٥٧

٤- مرافئ الحب ص: ٧٠

على مدى الأيام، وذلك يعكس مكانة قائد عظيم في قلب شاعر، ويشرك القارئ ويعزز هذه المكانة في قلبه.

ومن أنواع الصور البلاغية (الاستعارة)، وهي: «ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه، مع طرح ذكر المشبه من البين لفظًا وتقديراً. وإن شئت قلت: هو جعل الشيء الشيء « أو جعل الشيء للشيء» لأجل المبالغة في التشبيه»[1].

وظهرت جلية في بعض نصوص الشاعر منها:[2]

«والمنــايــا تَجُــوْلُ فـي كُـــلِّ وادٍ

يـا عُبــابَ النِّيْــلِ دَعَــا مِنْــكَ داعٍ»

فالمنايا تجول في كل واد، فقد شبه المنايا بالرَّحالة الذي يجوب الأرض، من أقصاها إلى أقصاها، واستعماله لكلمة «تجول» دلالة على عدم النجاة من القدر المحتوم، وفي هذا السياق إشراك للقارئ، وتنبيه له من قبل الشاعر، بأنَّه لا نجاة من الموت الذي هو نهاية كل حي، والحكمة والموعظة التي قدمها الشاعر جديرة بأن يكون لها الوقع الكبير في نفس القارئ.

وجعل الحنين كثياب تلفه وتغطيه في قوله:[3]

«كُـلَّمـا أَبْـرَقَـــتْ تَبـاشيـرُ وَصْلِـيْ

وارْتَـدَيْــتُ الـحَنِيْـنَ رَخْصًـا شَفِيْـفًـا»

واستعماله لكلمة «ارتديت» دلالة على شدة الغربة، وقسوتها عليه.

وثمة استعارة أخرى في قوله(أبرقت تباشير)؛ فالتباشير كالأنوار المضيئة التي تبرق، وهناك تشخيص لمحناه، فالتباشير كتلك الفتاة الحسناء تَقدِم في أجمل مظهر، وأبهى صورة.

١- شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م،ط:١ الجزء:٧،ص:٤٣

٢- مرافئ الحب ص:١١٩

٣- نفسه ص:١٢١

وجعل الحلم كالطائر المحلق في الفضاء في قوله:[1]

«حُلُمٌ جَمِيْلٌ في الفَضَاءِ مُحَلِّقٌ

فَوْقَ السَّحَائِبْ سَابِحٌ لا يُسْبَقُ»

واستعمال الشاعر لكلمات :(حلم، الفضاء، محلق)، يبين مدى قسوة الظروف على شاعرنا لدرجة إحساسه برغبة شديدة في التخلص من واقعه المؤلم، والتحليق بحرية في عالم الخيال، كالطائر المحلق في الفضاء بحرية.

بداية الطفولة والصبا، وجلسات السمر كالهواء يتنفسه في دياره الشماء، في قوله:[2]

«فَفِيْها تَنَسَّمتُ زَهْرَ الصِّبا

وأَسْمَارَ جَدٍّ وعَمٍّ وخَالْ»

وقوله: (زهر الصبا) دليل على أن تلك المرحلة كانت من أجمل مراحل حياته، وهذه الصورة تحكي قصة حنين وشوق، لطالما صرح بها الشاعر في نصوصه، ولاسيما تلك الأشعار التي تتحدث عن فيفاء، وأنسامها، وهوائها، وجبالها، ووديانها، وأشجارها، وأطيارها.

ومن أغراض الاستعارة التشخيص: «فالتشخيص يعطي الشاعر القدرة على الانطلاق في عالم الخيال والأحلام، بل إن من التعريفات القديمة للخيال ما يشبه تعريف التشخيص»[3]

وقد ظهر في كثير من النصوص لدى الشاعر. ورغبته في الهروب إلى الحلم جعلته يصور الشمس وهي تحلم، والصباح نائم، وظهر ذلك جليًا في قوله:[4]

«وشُرُوقُ الشَّمْسِ حَالِمةً ** في صَبَاح نَامَ في الصَّرِدِ»

١- مرافئ الحب ص: ١٣٥

٢- نفسه ص:١٤٨

٣- أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، نهضة مصر،١٩٩٦م، ص:٥٠٩

٤- مرافئ الحب ص:٧٢

وهذا ينقل رغبة الشاعر في تحقيق أحلامه وآماله، ولكن هناك شيئًا ما يحول بينه وبين تلك الأماني.

ونرى الكون غاف، والمصابيح تراقب الريح والظلام في قوله:[١]

«في الدُّجَى والسُّكُوْنِ والكَوْنُ غافٍ ** والرُّؤَى تَحْفِزُ الخَيَالَ الجَفِيْفا.
والمصابيحُ في رُفُوْفِ الزَّوايا ** تَرْقُبُ الرِّيْحَ والظَّلامَ العَنِيْفا"

وتمثل هذه الصورة حالة الشاعر المستيقظة و الساهرة في الليالي الطويلة الهادئة، نتيجة ما عاناه.

وكأننا نشاهد الصباح يمشي بكسل وبطء، كالمقيد بالسلاسل:[٢]

«والصَّبَاحُ الكَسُوْلُ يَمْشِيْ وَئِيْداً ** مِثْلَ مَنْ في القُيُوْدِ يَمْشِيْ رَسِيْفا»

فطول الليل على الشاعر جعله يستعجل طلوع الصباح، ولا عجب؛ فصاحب الهموم والأحزان لا ينام، بل ويرى الليل طويلا وثقيلا عليه، كثقل تلك الهموم على صدره.

وتظهر الخزامى كفتاة جميلة لها خدود وقطرات الندى تداعبها، والشمس فتاة خجول، تخجل من كل حسناء أشرق وجهها البهي الوضاء:[٣]

«والنَّدَى ذَابَ في خُدُوْدِ الخُزَامَى
واسْتَفَاقَتْ حَوَّاءُ تُرْخِيْ النَّصِيْفا
تَخْجَلُ الشَّمْسُ إنْ تَبَدَّتْ صَبَاحًا
مِنْ شُرُوْقِ الخُدوْدِ مِنْ كُلِّ هَيْفا»

وهاتان الصورتان تشعران القارئ بروح الشاعر الهادئة، والجميلة كجميل ما وصف، وتداعبان قلب المتلقي وذهنه، وتضيفان إليه حسنًا ورقة وهدوءًا.

١- نفسه ص: ١٢٣

٢- مرافئ الحب ص: ١٢٤

٣- نفسه ص:١٢٤-١٢٥

وهذا الليل يقبل بردائه الأسود، يغطي الكون، ويحل السكون:[1]

«يُقْبِـلُ اللَّيْـلُ يَتَهـادَى مُسَجَّـى ** بِـرِدَاءِ السُّكُـوْنِ، واليَـوْمُ وَلَّـى»

وتمثل هذه الصورة تقلب حياة الشاعر من حال إلى حال.

وهذه فيفاء كفتاة حسناء، ترتدي ثوب الجمال، تغفو وتصحو على قطرات الندى تداعبها، وعلى غناء الطير الصادح فوق الأشجار:[2]

«فَيْـفـاءُ ما أَحْلَـى ذُراكِ الـغُـرَّ مُتَّكـأَ النُّجُـوْمِ
تَغْفُـوْ على تَسْبِيْـحِ قَطْـر فـاضَ مِنْ مُهَـجِ الغُيُـومِ
تَصْحُـوْ على أَنْغـامِ طَيْـر عَـبَّ مِنْ سَكَـرِ الكُـرُومِ»

وهذه صورة تعكس الهدوء والرقة، وهو تشخيص نهض بجمالية الأبيات، ومن ثم النص بتمامه.

والأزهار ترقص فرحا وابتهاجا:[3]

«تَـرْقُـصُ الأزهـارُ نَشْـوَى في ابتهـاج وانشـراحِ»

فهنا صورة تعبر عن لحظة تفاؤل، غازلت قلب شاعرنا المفعم ،آذنته بهذا التشخيص ، الذي يهز المشاعر، فتطرب له الحواس.

وها هو المسجد الأقصى يصرخ ويستنجد:[4]

«مَسْجِـدُ القُـدْسِ يُنَـاديْ الحَـرَما ** ساكِبًـا مِنْ مُقْلَـةِ الـدَّمْعِ دَمـا
وَيْـحَ مَسْـرَى سَيِّـدِ الخَلْـقِ عَـلا ** صَـوْتُـهُ مُسْتَنْجِـداً مُسْتَرْحِما
صَرْخَـةُ المِحْـرابِ تُـذْكِـيْ أَلَـمِي ** جُـرْحُهُ الدَّامِيْ يُشِيْـبُ اللِّمَمـا
يَشْتَكِـيْ مِنْ وَطْـأَةِ القَسْـرِ ومِـنْ ** مُسْتَبِـدٍّ لا يُـراعِـي الـذِّمَمـا
يَنْـدُبُ المِحْـرابُ أَسْمَـى مَجْـدِهِ ** ضَـاعَ فالمِحْـرابُ يَشْكُـو الأَلَما»

١- نفسه ص:١٥٧

٢- نفسه ص:٢٢٣

٣- مرافئ الحب ص:١٧٨

٤- نفسه ص:٢٠٧-٢٠٩

وهذه لوحة رسمها الشاعر من وحي الخيال، الذي صدقته الأحداث والوقائع.

ومن أنواع الصور البلاغية الكناية: و «هي اللفظ الدال على جانب الحقيقة، وعلى جانب المجاز فهو يحمل عليهما معا»[1]، والكناية من الظواهر البلاغية، التي برزت ولكن بشكل قليل، وعلى الرغم من قلتها في نصوصه، فإنها أظهرت جمال النصوص التي لوحظت فيها، وعبرت عن المعاني بطريقة إيحائية، تعبر عما في نفس الشاعر، ويصل مباشرة إلى المتلقي، ويتفاعل معه، ومن صور الكناية رمز الشاعر للطائرة: (والطريق السماء) في قوله:[2]

أو تقـــولـــوا: «بَعِيْـــدَةٌ» لا بَعِيْدٌ ** عـندناالـيـومَ والطريـــقُ السَّمـــاءُ!

(فالطريق السماء) كناية عن الطائرة، وأراد الشاعر ايصال معنى للمتلقي، بأنه لا بعيد؛ لوجود الطائرة التي تختصر كل المسافات، وتوفر الوقت والجهد.

ويخاطب محبوبته في قوله:

خَـلِّـيْ بسـاطَكِ «أَحْمَدِيًا»، رَدِّديْ عَـذْبَ الكـلامِ ولَـطِّفيْ أجـوائي[3]

(فبساطك أحمديًا) كناية عن رفع التكلفة، وإزالة الرسمية مع الطرف الآخر.

وهنا يخاطب بغداد:[4]

ذُرِّيْ غُبـارَ الإبـاء في عَيْـنِ مُضطَّهِـدٍ

ولَــقِّنِيْــهِ دُرُوْسَ الـذُّلِّ والـحَرَبِ

(فذري غبار الإباء) كناية عن الحرب، والشاعر هنا يطلب من بغداد أن تعلن ساعة الحرب، وتثور على النظام الفاسد؛ لاستعادة إبائها وعزها.

١- أبو الفتح ضياء الدين الموصلي، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت/ ١٩٩٥م، الجزء:٢، ص: ٢١٢

٢- مرافئ الحب ص:٤٤

٣- مرافئ الحب ص: ٤٦

٤- نفسه ص:٥٨

ولننظر لقوله:

يُقِضُّ مضْجَعَ مَنْ داسُوا لَهُ شَرَكًا

كأَنَّهُ في ظُهُورِ القَوْمِ مِنْشَارُ[1]

(يُقض مضجع) كناية عن شجاعة الممدوح، الذي يُقض مضجع كل من يعاديه، أو يدس له الدسائس.

هـ-الصور الحسية (بصرية- سمعية- لمسية- شمية-ذوقية).

نصوص الفيفي عبارة عن مزيج من الصور الحسية (البصرية التي تعني قدرة الشاعر على عرض مشهد في بيت شعري، يستطيع المتلقي استخراجها بواسطة حاسة البصر)، والسمعية، واللمسية، الشمية، الذوقية، ومن خلال الدراسة لشعره وجدناه يُكثر من الصور البصرية في كل موضوعات شعره، وتظهر السمعية بنسبة تلي البصرية، وجعل كذلك نصيبا -لابأس به- للصور الشمية والذوقية.

*** الصور البصرية:**

ومن هذه الصور صورة المتقاعد بعد انقضاء فترة عمله، كيف كان، وأين صار؟:[2]

«كانتْ أريكتُهُ حريرًا ناصعًا ** والآنَ يَفْتَرِشُ الحَصِيْرَ الأسْوَدا

تلكَ الأناملُ قدعَلَتْها رَعْشَةٌ ** أمّا اليراعُ فقدْ أبَى أَنْ يَجْمُدا»

فهنا صورة المتقاعد قبل التقاعد، وهو يفترش الحرير الناصع، وصورته بعد التقاعد، وقد افترش الحصير الأسود، وصورة الأنامل المرتعشة، وهذه الصور تعكس لنا حالة الشاعر اليائسة، وتغير ظروفه من حال إلى حال، وهنا صورة بصرية تعززها حاسة اللمس.

١- نفسه ص:١٠٠

٢- مرافئ الحب ص:٦٥-٦٦

ولنمعن النظر في قوله:[1]

«يَوْمَ الوداعِ وقـدْ حاولتُ في عَبَث ** أنْ أَمْسَـحَ الدَّمْعَ مِنْ خَدِّيْ بأَرداني
مَـدَدْتُ كَفِّـيَ للتَّوْدِيْعِ مُرْتَعِشًا ** كادتْ تشَـلُّ مِنْ الإعياءِ أَرْكـاني
عَضَّـتْ أناملَـها في لَهَفَـةٍ وبَكَـتْ ** فَحَرَّكَتْ مِـنْ نِيَاطِ القَلْبِ أَشْجَانِي»

فلنلاحظ صورة الشاعر، وهو يودع محبوبته، صورة جال فيها الشعراء وأكثروا، لكن تناول شاعرنا مختلف، فيظهر لنا وهو يمسح الدمع عن عينيه، ويمد يده لتوديعها، وقد كان مرتعشا وحزينا، وصورة المحبوبة، وهي تبكي، وتعض أصابعها، وأثر ذلك كله على ذات الشاعر المولعة اليائسة. وهذه الصورة تعبر عن مقدار الكرب، والضيق الذي انتاب شاعرنا في هذا الحدث، وهنا اقتناص جماليات الأبيات والانفعال بها.

وهذه صورة تعكس لنا حال الشاعر:[2]

«بَـدَأَتْ تَـسْقُـطُ في الأَرْجَـاءِ أَوْرَاقُ الـخَرِيْـفْ
وذَوَى الـغُصْـنُ ومـاتَ العُشْـبُ والظِّـلُّ الوَرِيْـفْ»

فأوراق الخريف تتساقط، ورقة تلو الأخرى، والأغصان ذابلة، والعشب مات واصفر، ومات معه الظلِّ، فتشعرنا هذه الصورة بتعاسة العيش الذي تعرض له الشاعر، وتعكس أثر حالة الغربة و البعد عن الأحباب والديار، وانقضاء العمر وهو بعيد عنهم، والبصر رسول الشاعر إلى المتلقي هنا.

ولننظر لبشاعة الصورة هنا:[3]

«رُبَّ طِفْـلٍ مُحْـرَقٍ في مَهْـدِهِ ** كـانَ يَبْـدُو نـاضِـرًا مُبْتَسِما
جِسْمُـهُ النَّـاعِـمُ أَضْحى شاحِبًا ** وَجْهُـهُ الوَضَّـاءُ أَمْسَى هَرِما»

١- نفسه ص:٢٥٢-٢٥٣

٢- نفسه ص:١٨٧

٣- مرافئ الحب ص:٢٠٧

فتبدو لنا هنا صورة طفل فلسطيني قد أُحرق، وأصبح جسمه شاحبا، بعد أن كان ناعما نظرا، وتغيرت ملامحه، بعد أن كان وجهه مشرقًا وضاءً، وهي ملتقطة من الواقع المعيش للشعب الفلسطيني المعذب، وعماد الصورة هنا البصر.

وهذه الصور تصف الحرب في لبنان، وليست ببعيدة عن سابقتها:[1]

«يا مَنْ رَأَى الأَشْلاءَ مَشْوِيَّةً ** بَيْنَ رَمَادٍ مِنْ وَقُوْدِ الغُزَاةْ
ما هَالَنِيْ مَرْأًى سِوَى طِفْلَةٍ ** مَحْرُوْقَةِ الخَدَّيْنِ "يا رَحْمَتَاهْ"
مَقْطُوْعَةِ الكَفَّيْنِ، يا مَنْظَرًا ** يَا لَيْتَني ما كُنْتُ يَوْمًا أَرَاهْ
مُضَمَّدٌ يَرْنُوْ بِعَيْنِ الأَسَى ** مَنْ حَوْلَهُ؟هَلْ أُمُّهُ لا تَرَاهْ؟»

فهذه صور الأشلاء في الحرب قد أحرقت، وهناك طفلة محروقة الخدين، ومقطوعة اليدين، وطفل مضمد. فمن فلسطين إلى لبنان، تنتقل عدسة شاعرنا ورؤيته؛ لتوثق مآسي الشعب العربي المظلوم المكلوم.

* الصورة السمعية

وننتقل للحديث حول الصورة السمعية، وتهزنا هذه الصورة، التي قدمها شاعرنا للطير يشدو على فنن:[2]

«والطَّيْرُ يَصْدَحُ بالتَّغْرِيْدِ مُبْتَهِجًا ** كأنَّ أَنْغَامَهُ تَطْرِيْبُ عِيْدانِ»

وقوله:[3]

«والطّيْرُ يَشْدُوْ صَادِحًا ** غَنَّى بصَوْتٍ يَسْحَرُ»

ففي البيتين تبدو لنا صورة الطير، وهو يصدح بالغناء، كتراتيل عباد.

١- نفسه ص:٢٨٠-٢٨١

٢- نفسه ص:٢٥٠

٣- نفسه ص:١٠٣

وهنا يظهر لنا صوت المحبوبة:

«أَلْقَتْ سلامًا أريحيًّا وأَرْدَفَتْ
حَيَّاكَ، أهلاً بالقريب النَّائي[١]
في صوتِها المخنوقِ رَجْفَةُ خائفٍ
والخوفُ طبعُ الغادةِ الحسناءِ»[٢]

فتبدو لنا المحبوبة، وهي تلقي السلام، وتحيي المحبوب، وفي صوتها رجفة وخوف، من حياء، وخجل، وهذا طبع الجميلات العفيفات، والصورة حسية سمعية.

ولنمعن النظر في قوله:[٣]

«وفَحِيْحٌ مَنْ هُبُوْبِ الرِّيْحِ يَغْتَالُ الحَفيْفْ
وصَدَى بُوْمٍ وغِيْلانٍ وأَشْباحٌ تُخِيْفْ
وغنَاءُ البُلْبُلِ النَّاعِمِ في الدَّوحِ الكَثِيْفْ
كنَعِيْقٍ مِنْ غُرَابٍ صَاحَ بالصَّوتِ العَنِيْفْ»

فصوت الريح التي هبت، اجتاحت الأرض من شدتها، وأصوات البوم، والأشباح، وغناء بلبل أصبح كنعيق الغراب، كشفت لنا عن حالة الشاعر المتقلبة، واليائسة، ونظرته السوداوية للحياة، من خلال استخدامه لألفاظ تدل على التشاؤم:(البوم، الأشباح، نعيق الغراب).

١- كذا الشطر الأول في المخطوط والمطبوع من القصيدة، واستقامة الوزن: «ألقت سلامًا أريحيًا. أردفتْ»، بحذف الواو. كما أشار المحقق.

٢- مرافئ الحب ص:٤٥

٣- نفسه ص:١٨٧-١٨٨

ولننظر في قوله: [١]

«فَقُلْتُ: رَأَيْتُ أَمْواجًا تُدَوِّيْ ** وغَيْرِيْ سَابِحٌ وأنا الغَرِيْقُ
وقُلْتُ لِبَيْتِنَا الوَاهِيْ: تَكَلَّمْ ** عَسَى أَنْ يُسْعِفَ الماضِيْ العَرِيْقُ
وصَوْتٌ نَاعِمٌ لَدْنٌ رَخِيْمٌ ** رَقِيْقٌ لا يُكَدِّرُهُ النَّعِيْقُ؟
غِنَاءُ الوَارِدَاتِ بِكُلِّ دَرْب ** غِنَاءٌ كُلُّهُ أَدَبٌ وذَوْقُ
تَرانِيْمٌ مُنَغَّمَةٌ تُضَاهِيْ ** تّرانِيْمَ العَنَادِلِ بَلْ تَفُوْقُ»

فهنا صور سمعية متتابعة أرسلها الشاعر، تحكي عن بيت، وفناء، ودرب يردد فيه الغناء في سابق أيام مضت، وتركت في قلب الشاعر نقشًا لا ينمحي، وآهات تعاوده، كلما ادلهم وقته، وألمت به الملمات.

ولننظر لهاتين الصورتين في قوله: [٢]

«يَرْفَعُ الصَّوْتَ مُهِيْبًا صارخًا ** عاشَ شَعْبِيْ يَعْرُبِيًّا مُسْلِما»

وقوله: [٣]

والأُمُّ يا طِفْلاهُ مَحْمُوْلَةٌ ** على سَرِيْرِ النَّعْشِ واحَسْرَتَاهْ!
بَكَيْتُ -واللهِ- بُكَاءَ امْرِئٍ ** مُلوَّعٍ لَوْ كَانَ يُجْدِيْ بُكَاهْ»

ففيهما يظهر اشتعال الأوضاع، وغضب الشاعر، وارتفاع حدة الصوت؛ ودلَّ على ذلك استخدامه لمفردات وجمل تعبر عن ذلك: (يرفع الصوت، واحسرتاه، بكيت).

* الصور الشمية:

وكان للصور الشمية حضور في نصوص الشاعر منها قوله: [٤]

«ذاك البِساطُ المُوَشَّى رِيْحُهُ عَبِقٌ ** بناجِمِ الزَّهْرِ مِنْ شِيْحٍ ورَيحانِ»

١- نفسه ص:١٣٩-١٤٠-١٤١

٢- مرافئ الحب ص:٢٠٨

٣- نفسه ص:٢٨١

٤- نفسه ص: ٢٥٠

ففي هذا البيت صورة شمية متمثلة في الرائحة العبقة المنتشرة من الزهر، والشيح، والريحان، وهذه الصور تشعر المتلقي بالجمال، وبالراحة النفسية، التي يعيشها الشاعر، وهي قليلة.

والشاعر أمام عناصر الطبيعة مبهور، وسعيد، وعلى الأخص حين يقف في دوح، أو بستان:[1]

«قـلـتُ: الشَّـــذا الفـوَّاحُ ضَوَّعَ ريحُهُ ** عنديْ قُبيْلَ مجيئكِ الوَضَّـاءِ
مَـنْ أَنْـتِ؟، قـالـتْ: وردةٌ فـوَّاحَةٌ ** مِـنْ رَوضــةٍ محميَّةِ الأرجـاءِ»

وهذه الصورة ليست بعيدة عن التي قبلها، فتبدو لنا رائحة العبير المنطلقة من الورد الفواح الجميل، الذي يُشعر النفس بالارتياح والانسجام، وكلتا الصورتان تعكسان ذات الشاعر الهادئة الرقيقة.

وصورة شمية أخرى في قوله:[2]

«أُمِّ الشَّهِيْــدِ يَـفُـوْحُ مِـنْ شِـرْيَــانِهِ ** مِسْـــكٌ ومَنْظَـرُهُ نَجِيْــعٌ قــانِي»

فهنا صورة شمية تعززها أخرى بصرية، فيظهر الشهيد، وقد انبعثت من عروقه رائحة، أشبه برائحة المسك الزاكية، ويعبر المشهد عن علو مكانة من تصفه الصورة.

ولننظر في قوله:[3]

«فـاحَ منهـا القَيْصُوْمُ والشِّيْحُ لَـمـا ** جـاءَهـا الحَظُّ والمُنَى والـرَّجـاءُ»

فتبرز الصورة الشمية محسوسة، متمثلة في رائحة القيصوم، والشيح، تعبر عن معاني الجمال، والمكانة التي يتقلدها الموصوف.

١- نفسه ص:٤٦

٢- مرافئ الحب ص:٢٦٣

٣- نفسه ص:٤٢

* الصورة الذوقية:

ومن الصور الحسية (الصورة الذوقية)، وهي ليست بكثرة سابقاتها، ولكنها حاضرة لدى شاعرنا في قوله:[1]

«أَمْ شَرْبَةٌ مِنْ زُعَافِ السُّمِّ تُنْقِذُنِي؟ ** ويُعْلَنُ النَّعْيُ للقاصِيْ وللدَّاني
«ونَشْرَبُ المَاءَ رَقْرَاقًا فيُنْعِشُنا ** تَبَادُلُ الكَأْسِ يَشْفِيْ عِلَّةَ العَانِي»

فهنا صورتان ذوقيتان متمثلتان في «شربة من زعاف السمِّ، وشربة الماء رقراقًا»، رسمهما الشاعر، فالأولى سلبية، تظهر صورة الموت، والتعب والشقاء، والملل من حياة أصبحت مليئة بالكبد واليأس، والثانية صورة إيجابية، يبرز فيها فرح اللقاء، والتخلص من الهموم والأحزان، بشربة هنيئة رقراقة.

* الحس القصصي والحواري:

يبدو الحس القصصي والحواري لدى الشاعر في كثير من نصوصه، حيث كان التأثير ايجابيًا، وجعل النصوص أكثر ترابطًا ومتانة؛ فقد وفق الشاعر عبر تقنيتي القص والحوار، ومن خلال عرض أفكاره بشيء من التفصيل، أن يوصل تجربته ومعاناته إلى المتلقي؛ مما ساعد القارئ على استيعاب تجربة الشاعر استيعابًا تامًا، وتكثر النزعة القصصية عند الشاعر في الموضوع الوجداني، لا سيما عند الحديث عن الحب، وما عاناه في سبيله، وفي الموضوع الاجتماعي، خاصة عند عرض مشهد الأم والأبناء، وعرض صور مظاهر العيد في المجتمع الفيفي؛ فقد عرض لنا صورًا شعرية موحية، وسرد لنا قصصًا، وصوَّر لنا لوحات لونها بألوان الطبيعة ، وكأننا نشاهد تلك الصور؛ فصور الديار والتراث والإنسان، وسرد لنا الأحداث، ونقلها كما هي في واقعه، ولعل القصد من ذلك هو رغبة الشاعر في تقريب معاناته للمتلقي، والتفريغ عما في نفسه بشيء من التفصيل، وكانت العاطفة الصادقة، والعفوية هما المصاحبين لشاعرنا، ولعبت الظروف في شعره دورًا كبيرًا، فكانت المهيمنة على كل اللوحات، ولم يأتِ ذلك الحس القصصي من فراغ، بل كان لتلك الظروف الفضل الكبير في صقل موهبته، فلولا المرض والبعد والحب، ما رأينا ذلك الشعر بالصورة المتكاملة،

١- نفسه ص: ٢٥٣-٢٥٦

والتعبير العذب الرائق.

ومن اللوحات الفنية المتكاملة، هذه اللوحة التي سرد لنا فيها حكاية المحبوبة، وهذا يشعرنا بثقل الهم، وألم المعاناة، فيبيِّن معاناتها في هذا الحوار الذي دار بينهما:

«تقـولُ: حَسْبِيْ علـى مَنْ كَـانَ فَرَّقَنامِنْ غَيْـرِ ذَنْـب سِـوَى أَنَّـا حَبِيَبانِ[1]

قُـلْ لـيْ بِـرَبِّـكَ حَقًّـا لا مُجـامَــلَةً ** رَأْيَ الصَّـراحَـةِ يَهْـدِيْ كُـلَّ حَيْـرَانِ

مـا ذَنْـبُ مِسْكِـيْنَةٍ تَشْكُـوْ الغَـرامَ وقَـدْ ** أَضْحَـتْ مُقَيْـدَةً في بَيْـتِ سَـجَّـانِ؟

يـا وَيْـلَهـا إِنْ أَطْلَـتْ مِـنْ نَـوَافِـذِه ** السَّـوْطُ يُـلْهِبُها مِنْ كَـفِّ سُـلْطَـانِ

تَبْكِـي مِـنَ الحُـزْنِ حتى جَـفَّ مَدْمَعُـها ** إِنْ غاضَـتِ العَيْنُ فـاضَـتْ بـالدَّمِ القَاني

يا سُوْءَ حَظِّي أَبِيْتُ اللَّيْـلَ ساهِـرَةً أنا ** ودَمْـعِيْ وجِلْـفٌ يَـتَـحدَّانـي

فالمحبوبة في حالة من التحسر، تدعو وتتحسب على من تسبب في فراقها عن محبوبها؛ فيظهر لنا طرف ثالث، وهو ذلك المتسلط الذي وقف في وجه الحب من جهة، ومن جهة أخرى تسأل محبوبها سؤال عتاب، لأنه عجز أمام تلك التحديات التي تصدت لحبهما.

ونراها هنا تعود لرشدها:[2]

هـذا جَـزاءُ الـذي يَـنْسَى عـواطِفَهُ ** تُعْمِيْهِ جَـوْهَـرَةٌ في بَطْـنِ ثُـعْبَـانِ

فتُظهر ندمها الشديد لتحكيم العاطفة.

ويظهر لنا في هذا النص شدة الألم:[3]

قالـتْ: مَزِيْـجٌ مِـنَ الأَفْكَـارِ تَعْصِرُنـي ** وعـاصِفُ الحِقْدِ طُوْفَـانٌ بِطُوْفَـانِ

هَـلْ أَتْـرُكُ المَخْـدَعَ المَشْـؤُوْمَ ناشِزَةً؟ ** وأُخْبِـرُ النـاسَ عَـنْ كُرْهِـيْ وعِـصْياني

---

١ مرافئ الحب ص:٢٥٣

٢ مرافئ الحب ص: ٢٥٣

٣- نفسه ص:٢٥٣

أَمْ شَرْبَةٌ مِنْ زُعافِ السُّمِّ تُنْقِذُني؟ ** ويُعْلَنُ النَّعيُ للقاصِيْ وللدَّاني
أَمْ أُحْرِقُ المَنْزِلَ المَلْعُوْنَ ناقِمَةً؟ ** أَمْ أَرْتَمِيْ لِحَبِيْبِيْ بَيْنَ أَحْضَانِي؟»

فجعلها الألم في حيرة وتساؤل، بين التمرد، والاستسلام، هل تترك مخدعها، وتعلن التمرد والعصيان؟!، أم تشرب السم، وتنقذ حالها من الألم؟!، أم تحرق المنزل بهذا المتسلط، الذي وقف في طريقها؟! أم تلتقي بحبيبها، وتنسى كل تلك المعاناة؟!

ويأتي هنا دور المحبوب في الرد على عتاب محبوبته:

أَقُوْلُ إِنْ كانَ ذَنْبِي أَنَّنِي رَجُلٌ
أَنْفِتُ بَيْعَ الهَوَى مِنْ غَيْرِ مِيْزَانِ
فَسَامِحيْنِي! وأَرْجُوكِ، كَفَى عَتَبًا!
فما نَسِيْتُ وليسَ الغَدْرُ مِنْ شَاني
طُرْقُ الوَفَا قِيَمِيْ، حُبُّ الصَّفَا شِيَمِيْ
والوُدُّ يَنْشُرُهُ في الأَرْضِ دِيْوَاني
وكَيْفَ أَنْسَى وفي قَلْبِيْ مَوَدَّتُكُمْ؟!
وفي كِيانيْ، وفي سِرِّيْ، وإِعْلاني
لكنْ مِنَ الحَزْمِ أَنْ نَرْضَى بِوَاقِعِنَا
إِنَّا قَرِيْبَانِ لكِنَّا غَرِيْبَانِ!»[١]

فيرد عليها محاولا تهدئتها، وها هو يعتذر لها؛ لعجزه فعل شيء من أجل ذلك الحب، ويطلب منها أن تسامحه، وتكف عن عتابه؛ فليس ذلك غدرًا ولا خيانة منه ، وأخذ يعدد لها صفاته في الوفاء، والصفاء، والود، ويحاول أن يطمئن قلبها، بأنه لن ينسى مودتها، ويختم الحوار بينهما بقوله: لابد من الحزم في هذا الأمر، وأن يرضيا بواقعهما، أنهما غريبان عن بعضهما على الرغم من تقارب قلبيهما. ومن خلال الأبيات الأخيرة يشعر القارئ بأن البطل قد استسلم، ويحاول اقناع محبوبته بذلك.

١- نفسه ص:٢٥٥.

الخاتمة

قامت هذه الدراسة على مقدمة ومدخل، بعدهما تم تقسيم البحث إلى بابين، تناولت المقدمة الحديث عن ملامح الدراسة، والأسس التي قامت عليها الرسالة، والأهمية والدوافع والأهداف التي جعلتني أختار هذا الموضوع، والمصادر التي تم الاعتماد عليها، والصعوبات التي استطعنا -بحمد الله- التغلب عليها، والمدخل احتوى على سيرة الشاعر، وملامح حياته الأدبية والعلمية والعملية، واهتماماته الأدبية، والمؤثرات في شعره.

استطاع الشاعر الفيفي إيصال تجربته إلينا إيصالًا ناجحًا من خلال حديثه المتكرر عن معاناته وآلامه من غربة، ومرض، وبعد عن ديار الأهل والأحباب والصحب، وعن مرابع الطفولة والصبا، وكان الشعر بالنسبة للشاعر بمثابة السجل والرفيق، والمتنفس الذي يبث فيه كل ما بداخله.

وتم تقسيم البحث إلى بابين: الباب الأول عالج الدراسة موضوعيًا، واحتوى على أربعة فصول كل فصل من هذه الفصول احتوى على محاور صغيرة.

تناول الفصل الأول الموضوع الوجداني الذي لخص لنا حياة الشاعر والظروف والمتاعب التي اصطدم بها في حياته، وبكاءه وشكواه ومرضه الذي أرهقه وأبعده عن ديار الأحبة. وظهرت من خلاله شخصية الشاعر المتدينة المؤمنة، وتناول موضوع وصف الطبيعة، وأبدع الشاعر-رحمه الله- في وصف الطبيعة، مستخدمًا عناصر الطبيعة المتحركة والساكنة؛ مما يجعل المتلقي يتخيل هذه الصور والمشاهد أمام ناظريه، وظهرت معالم الطبيعة بكل ما فيها من أودية وجبال وصحراء.

واحتوى الفصل الثاني على الموضوع الاجتماعي الذي أظهر لنا مدى تعلق الشاعر بمجتمعه وحرصه على صلاحه، من خلال حديثه عن الشباب الذين هم عماد الأمة والمجتمع، وعن المرأة التي هي نصف المجتمع، ويظهر لنا مدى

تحيز الشاعر ودفاعه عن حقوقها وعن قضاياها، فهو ينتصر لها ويطالب بحقها من وجهة نظر إسلامية.

و تناول الفصل الثالث الموضوع السياسي، حيث تحدث عن قضايا عديدة تناولها الشاعر على الصعيد العربي الإسلامي، فقد كانت فلسطين على رأس الحديث كما لدى العديد من الشعراء، وكذلك غزو الكويت وقضايا لبنان، وقضية البوسنة كان لها نصيب.

وتناول الفصل الرابع الموضوع الوطني الذي أظهر لنا مدى اعتزاز الشاعر وفخره بوطنه، والتغني به، وبإنجازاته في جميع المجالات من: نهضة وتعليم وجيش ومقدسات وقادة.

أما الباب الثاني فقد عالج الدراسة فنيًا، وركز على الملامح الفنية لشعر الفيفي، وقد احتوى على ثلاثة فصول.

ركز الفصل الأول من هذا الباب على اللغة الشعرية، وبيان لغة الشاعر البسيطة والمباشرة والبعيدة عن التعقيد، وتم التعرف من خلاله على المعجم ومدى تأثر الشاعر باللهجة العامية، وتأثره بألفاظ القدماء، و بألفاظ معاصرة مستجدة في هذا العصر، **وقد تم تقسيم المعجم إلى ثلاثة أقسام:**

١. الألفاظ المتأثرة بالبيئة (العامية).
٢. الألفاظ المتأثرة بالتراث العربي.
٣. الألفاظ المعاصرة التي استجدت في هذا العصر.

وركز القسم الأول على تأثر الشاعر باللهجة الشعبية الدارجة في البيئة الجبلية، وهي الغالبة في شعره، وركز القسم الثاني على الألفاظ العربية الأصيلة، وبيان سير الشاعر على نهج القدماء، والقسم الثالث تناول الحديث حول تأثر نصوص الشاعر بالألفاظ العصرية المستجدة في هذا العصر، وأبرزت لنا مقدار ثقافة الشاعر، واطلاعه على الثقافات غير العربية؛ فقد يلاحظ الدارس بعض الألفاظ الأعجمية واردة في شعره.

وجاء بعد ذلك الحديث عن «التراكيب»، والتي ركزت على الجمل الإنشائية والخبرية، والجمل الإسمية والفعلية.

وتناول الفصل الثاني من الدراسة الفنية الموسيقى، وانقسمت إلى موسيقى خارجية تناولت الوزن والقافية، وتم توضيحها في جداول، فلاحظنا بحورًا أكثر الشاعر من استخدامها هي : البسيط والخفيف، وبحورًا كان متوسطا في استخدامها هي: الطويل و الكامل والرمل والوافر، وبحورًا قلل من استخدامها هي: المديد والمتقارب والمجتث والسريع ومجزوء الرجز، وكما لاحظت الدراسة من خلال تناول الوزن والقافية أن الشاعر قد أهمل أكثر من نصف الحروف الهجائية في روي قصائده؛ فركزت على نسبة شيوع حرف الروي، والعلاقة بين حرف الروي والعاطفة أو الموضوع.

وموسيقى داخلية ركزت حول البواعث المعنوية والجرس الداخلي للكلمة، وحديث مفصل حول الظواهر الأسلوبية من: «الطباق» الذي أبرز المفردات المتضادة لدى الشاعر، وبين كيفية ظهوره لدى الشاعر بطريقة عفوية وبدون تكلف.

و«الجناس» الذي ركز على الألفاظ المتجانسة والمتفقة في اللفظ دون المعنى، وظهر ذلك متوسطًا في شعره على النقيض من الطباق الذي كان أكثر بروزًا. ولاحظت تنويع الشاعر بين الجناس التام والناقص.

و«التصريع» الذي أبرز التناغم بين شطري القصيدة الواحدة.

و«التكرار» الذي ركز على تكرار الكلمات من أسماء وأفعال، وتكرار أسلوب الاستفهام.

و«تقسيم الأفكار» الذي ركز على التوازن والترتيب بين جمل البيت الواحد أو البيتين.

و«الاقتباس» حيث لا حظت اقتباس الشاعر في نصوصه من مفردات القرآن الكريم، ويظهر لنا مدى تأثير القرآن الكريم على شعره، وتلاحظ الدراسة أن

الكلمات التي تم اقتباسها من القرآن كانت أكثر قوة وأكثر وقعًا في نفس المتلقي.

و«التضمين» الذي يُلاحظ من خلاله النصوص التي تم فيها تضمين لأشعار القدماء لدى الشاعر، ويظهر مدى تأثر ثقافة الشاعر-رحمه الله- بثقافة القدماء، ويبين لنا اطلاعه الواسع على دواوين الشعراء القدماء.

وتناول الفصل الثالث من هذا الباب «الصورة» بدأته الباحثة بتمهيد بسيط حول الصورة الشعرية، ومن ثم تم تقسيم الصورة لديه إلى:

«وصفية» وقد وضحت من خلالها المشاهد، ورسم الشاعر للوحات شعرية متكاملة، وكأنها أمام ناظري القارئ.

و«ذهنية» يعتمد استخراجها على ذهن المتلقي وخياله.

و«حسية» تنوعت بين البصرية والسمعية والشمية والذوقية، وتعتمد على مشاهد محسوسة؛ فالبصرية ركزت على المشاهد البصرية؛ كصورة الأم والأبناء، وصورة الحقل، ومشاهد الفرح والعيد، وانسياب المياه والجداول، و«السمعية» تعتمد على الصوت، كصوت المطر وصوت الرعد، و«الشمية» تعتمد على حاسة الشم، كرائحة الزهور وعبق النسيم، و«الذوقية» تعتمد على التذوق، وقد ظهرت لدى شاعرنا بصورة ضئيلة، تتمثل في الماء العذب، والشراب".

والصور البلاغية المتمثلة في "التشبيه"، وأغلب الصور الشعرية في نصوص الفيفي تعتمد على التشبيه؛ فقد برز بصورة كبيرة.

"والاستعارة" التي تلي التشبيه من حيث الاستعمال لدى الشاعر، وقد برزت بشكل متوسط، ومن أغراض الاستعارة "التشخيص" الذي برز جليًّا من خلال بث روح الحركة في الجمادات والسواكن، كصورة الشمس الخجول، وصورة الأقصى وهو يصرخ؛ فجعل من الصور الجامدة صورًا حية لم نرها كذلك إلا في عالم الخيال،

"والكناية" التي كانت الأقل في نصوص الشاعر بالنسبة لسابقاتها.

وركزت الصورة كذلك على أساليب القص والحوار والوصف الملحوظة لدى الشاعر بشكل كثيف؛ فأغلب نصوصه قائم على رسم المشاهد واللوحات الفنية والصور، وسرد القصص والوصف.

والصور الشعرية في عمومها عند الشاعر مباشرة بعيدة عن التعقيد، وذلك أقرب إلى نفس المتلقي، فعلى الرغم من مباشرتها فإنها كانت ذات شعرية موحية مؤثرة، لها وقع جميل على ذهن ونفس القارئ.

ولا تستطيع الدارسة أن تغفل شخصية الشاعر المرحة التي ظهرت لنا في بعض النصوص لاسيما في قصيدة(حروف من صفحات الماضي) ، وإن كان الحزن والأسى والسوداوية هي المخيمة على حياة شاعرنا وشخصيته.

وتستطيع الباحثة أن تورد الشاعر في دائرة المحافظين، فقد أخذ من المحافظين جزالة الألفاظ وسكبها، وشرف المعنى وبيانه، والتزام الوزن والقافية، والصور والخيال مألوف بعيد عن التعقيد. إذن: نحن بصدد شاعر واضح الفكرة والصورة والألفاظ، غير أنه تطرق لموضوعات جديدة ناسبت عصره الذي يعيش فيه، فناقش على المستوى الاجتماعي قضية حرمان الفتاة من التعليم، والتقاعد، والشباب، وعلى المستوى السياسي ناقش قضايا الأمة الإسلامية وعلى رأسها قضية فلسطين وغزو الكويت ولبنان، فهذه الأحداث التي تطرق لها الفيفي من أهم الأحداث الدائرة في زمنه، فحاول التعايش مع مشكلات عصره، لأنه كان واعيًا لما يدور حوله.

وهناك موضوعات أخرى نظم فيها شاعرنا لم تتطرق لها الباحثة في الدراسة الموضوعية؛ لقلتها في شعره مثل: الرثاء الذي امتاز لدى شاعرنا بالحكمة، وبحرارة العاطفة وصدقها، وذكر الموت، والاستسلام للقضاء والقدر، والإيمان الكامل بحكمة الله سبحانه وتعالى في كل شيء، وذكر شمائل وصفات المرثي من: تدين وحنكة وشجاعة وغيرها، وبيان أثر فقده، سواء على الشاعر أو أهله من بعده، وظهر لنا ذلك جليًا في رثائه للشيخ محمد بن أحمد

الحكمي شيخ قبائل بالحكم في فيفا، وعاطفة صادقة تظهر في رثائه للأستاذ صالح القبيسي(مدير تعليم البنات بالحدود الشمالية)، ورثائه نفسه عندما أخبره الأطباء بمرضه، ويأسهم من شفائه، فيلاحظ الدارس تركيز الشاعر في رثائه على رثاء نفسه و أحبابه: (أسرته وأصدقائه)، وموضوع آخر نعده ضمن أشعار الفكاهة، ويظهر لنا فيه مدى شخصية الشاعر المرحة الفكاهية

وبعد هذه الخلاصة أستطيع أن أجمل أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها:

١. يلاحظ الدارس لشعر سلمان الفيفي-رحمه الله- أن البساطة والعفوية كانت المهيمنة على شعره.
٢. بروز ملامح شخصية الشاعر من حالة نفسية، وثقافية، ومكانة اجتماعية، من خلال شعره؛ فهي شخصية متفاعلة، حساسة، مصطدمة بكل ما يجري حولها من ظروف وتغيرات.
٣. أوضحت الدراسة غنى شعر الفيفي على مستوى الموضوعات؛ فقد نظم في أغلب الاتجاهات الشعرية، وظهر من خلال ذلك الذات المتواصلة مع مجتمعها وبيئتها، المتفاعلة مع كل ما يدور حولها، فشعره -واقعيًا موضوعيًا-، حاول الخروج به إلى عالم الفن والإبداع.
٤. توافر التجربة الشعرية الصادقة، وظهر ذلك جليًا في شعره.
٥. تفوق الشعر على مستوى الأسلوب والصورة.
٦. كشفت الدراسة من خلال شعره عن أهم المؤثرات التي كان لها الفضل في صقل موهبته الشعرية.
٧. إبراز الألفاظ، وكشف تأثرها، وإبراز التراكيب والظواهر الأسلوبية في شعره.
٨. تقنيتا القص والحوار من أهم المقومات التي بني عليها شعره، ويمكن للباحثين فيما بعد مناقشة موضوع السرد في شعر سلمان الفيفي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم

- **الفيفي، سلمان محمد قاسم**، مرافئ الحب. تحقيق: د/ عبد الله بن أحمد الفيفي ، نادي جازان الأدبي، ط:١/ ١٤٢٨هـ_٢٠٠٧م.

ثانياً: المراجع:

- **أمين، أحمد أحمد**، النقد الأدبي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج:١م/ ١٣٧١هـ١٩٥٢م .
- **أمين، بكري شيخ** ، الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، دار العلم للملايين، ط/ ١/ ١٩٧٢م.
- **أنيس، إبراهيم**، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:٥/ ١٩٨٤م.
- **أنيس، إبراهيم**، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط:٢/ ١٩٥٢م.
- **الأندلسي، عبد الله البكري**، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط:٣، الجزء:٤.
- **البحيري، أسامة محمد**، دراسات في الأدب السعودي المعاصر، نادي جازان الأدبي، ط:١/ ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- **بدوي، أحمد أحمد**، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، سبتمبر/ ١٩٩٦م.
- **أبو تمام**، ديوانه، شرح: الخطيب التبريزي، دار الفكر العربي، بيروت، ط:١، الجزء، ٢.

- **التنوخي، أبو يعلي**، القوافي، تحقيق: د/عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ط: ٢/ ١٩٧٨م، الجزء:١.
- **الجرجاني، علي بن محمد بن علي**، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ،بيروت،الطبعة:١/ ١٤٠٥ه، الجزء:١.
- **الجوهري، إسماعيل**، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤/ ربيع الأول ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الجزء:٦.
- **حركات، مصطفى** ، أوزان الشعر، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط:١/ ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- **الحازمي، حجاب بن يحيى** ، لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي، نادي جازان الأدبي، ط:١/ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- **الحازمي، حجاب بن يحيى**، جازان الشعر، نادي جازان الأدبي ط:١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- **الحامد، عبد الله** ، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن(١٣٤٥هـ-١٣٩٥هـ)، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط:١/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- **الحموي، ياقوت**، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، الجزء:٥.
- **الخنساء**، ديوانه، تحقيق: د/ إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، الطبعة:١ / ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- **الدمشقي، عبد الرحمن** ، البلاغة العربية، دار القلم،دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط:١/ ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الجزء:٢.
- -**ابن الدمينة، عبد الله بن عبيد الله**، ديوانه، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، مصر .

- **الراغب، عبد السلام**، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط:١/ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الجزء:١.
- **أبو ريشة، عمر**، ديوانه، دار العودة بيروت،١٩٩٨م، الجزء:١.
- **الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي**، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، عدد الأجزاء / ٤٠.
- **الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد**، تهذيب اللغة، تحقيق : محمد عوض مرعب.
- دار إحياء التراث العربي، بيروت/ ٢٠٠١م،ط:١، الجزء:١٥.
- **الزواوي، خالد**، الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط:١/ ١٩٩٢م.
- **السحرتي، مصطفى عبد اللطيف**، الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية، ط:٢/ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- **الشايب، أحمد** ، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط:١٠ / ١٩٩٤م.
- **الشهراني، عبد الرحمن محمد**، التكرار مظاهره وأسراره/ ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- **شوقي، أحمد** ، الشوقيات، راجعه وضبطه: د/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان ج٢.
- **صبح، علي علي**،الصورة الأدبية تاريخ ونقد،دار إحياء الكتب العربية، الجزء: ١.
- **الصعيدي، عبد المتعال**، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط:١٧/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م الجزء:٢.

- **صالح، بشرى موسى**، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:١/ ١٩٩٤م
- **ضيف، شوقي**، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، ط:٣، الجزء:١
- **الطاهر، علي جواد**، منهج البحث الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفرس للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، ط:٦ / ٢٠١٢م
- **طرفة بن العبد**، ديوانه، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:٣/ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- **عباس، إحسان**، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشرق للنشر والتوزيع ، ط:٣/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م
- **عباس، فضل حسن**، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط:٨/ ٢٠٠٥م.
- **عتيق، عبد العزيز** ، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **عصفور، جابر**، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:٣/ ١٩٩٢م.
- **عوض، إبراهيم**، في الشعر العربي الحديث(تحليل وتذوق)، المنار للطباعة والكمبيوتر/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- **عياد، شكري**، موسيقى الشعر، دار المعرفة، القاهرة،ط:٢/ ١٩٧٨م.
- **الغدير، حيدر**، عاشق المجد. عمر أبو ريشة شاعرًا وإنسًانا، دار الرسالة، بيروت،ط:١/ ١٤١٧هـ.
- **الفراهيدي، الخليل بن أحمد**، كتاب العين، تحقيق: د/ مهدي

المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، الجزء:٨

- -**الفيفي، عبد الله المغامري**، الصورة البصرية في شعر العميان (دراسة نقدية في الخيال والإبداع)، النادي الأدبي، الرياض/ ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- **القزويني، الخطيب** الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)،خفاجي، إبراهيم شمس الدين، فريد الشيخ، وإيمان الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:١،/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- **القط، عبد القادر**، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الشباب، ١٩٨٨م.
- **امرؤ القيس**، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، القاهرة ط/ ٤
- **المتنبي**، ديوان، تحقيق: د/ مصطفى عليان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ،ط/ ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م
- **أبو موسى، محمد** التصوير البياني(دراسة تحليلية لمسائل البيان)، مكتبة وهبة، القاهرة،ط: ٣/ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م
- **مختار، أحمد**، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط:١/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الجزء: ٤.
- **مختار، أحمد**، معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، عالم الكتب، القاهرة، ط:١/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الجزء:٢.
- **مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد ،عبد القادر، حامد، النجار، محمد،** المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، الجزء: ٢.
- **مصطفى، محمود**، أهدى سبيل إلى علمي الخليل (العروض والقافية)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب،بيروت-لبنان، ط:١/ ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

- **المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي**، المصباح المنير، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الجزء:٣.
- -**ابن الأثير، ضياء الدين**، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت/ ١٩٩٥م، الجزء:٢.
- **ابن، منظور** ، لسان العرب، دار صاد، بيروت، ط:١، الجزء:١٥.
- **النويري، شهاب الدين أحمد**، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، ط: الأولى الجزء:٧.
- **هلال، محمد غنيمي** ، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط:٦، يونيو ٢٠٠٥م.
- **الولي، محمد**، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، ط:١/ ١٩٩٠م.
- **يموت، غازي** ، بحور الشعر العربي (عروض الخليل)، دار الفكر اللبناني، ط:٢/ ١٩٩٢م.

الرسائل العلمية:

- **سيد، مفرح إدريس أحمد**، الاتجاه الإسلامي في شعر محمد بن علي السنوسي (دراسة تحليلية فنية)، سلسلة الرسائل العلمية - ١١ -/ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- **الشافعي، خالد ربيع**، شعر محمد بن أحمد العقيلي(دراسة تحليلية)، سلسلة الرسائل الجامعية -٥-، نادي جازان الأدبي، ط:١/ ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- **الصم، أحمد بن عبدالله** ، شعر علي بن أحمد النعمي (دراسة موضوعية فنية)، نادي جازان الأدبي، ط:١/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.